روايات عبير

ساندرا مارتون

احتضنني اللهب

www.elromancia.com
مصورية

٢٠٧
مكتبة محمد علي الصغير

روايات عبير

HARLEQUIN - «ABIR» - No. 207

احتضنني اللهب

غير قادرة على تخليص نفسها من المأزق على نحو سوى، وجدت بيج نفسها ضحية خطة بارعة لتزويجها من آلان فولر الذى كانت معجبة به ولكن دون حب شغوف. وكانت مفاجأة أن ترى في حفلة بقاعة مزدحمة، قبل زفافها بثلاثة أيام، رجلاً كان له تأثير مذهل على مشاعرها.. كوين، الأخ الأكبر لآلان.

كوين، الذى إكتشف أن والد بيج كان يختلس أموال مؤسسة آل فولر، وأعتقد أن بيج متورطة. وعن يقين بأن بيج قد أوقعت آلان فى شباكها عن قصد، أخذ كوين بالثأر....

لبنان	١٩,٢٠ ل.ل	الكويت	١,٦٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر	السودان	١,٢٨٠ م
سورية	١٩,٢٠ ل.س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د		
الأردن	١,٢٨٠ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د	U.K.	£ 2,40
العراق	٨٠٠ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د	France	F 16
السعودية	١٩,٢٠ ر	عمان	٢,٤٠ ر	مصر	[illegible]	Greece	Drs 320
						Cyprus	P 2,40

الفصـــل الأول

(مع كوين .. لا أحد يعرف شيئاً)

رأته بيج جاروز لأول مرة فى الحفلة التنكرية الراقصة عشية عيد جميع القديسين. كان يستند إلى جدار قاعة الرقص بملهى هانت، يراقب الشياطين والقطط السوداء التى تدور فى حلقات دوامية فى دائرة الرقص. كان ذا مظهر خطير، وقوة عضلية رشيقة لافته. وفجأة مرت بمخيلة بيج صورة أسد يكمن فى العشب الطويل، ينتظر قطعياً من حيوان النمو الوحشى عسى أن يقترب قليلاً.

«بيج، بحق السماء، لم ترى آلان بعد؟ لا يمكن أن نقضى سهرتنا فى وقفتنا هذه كأننا نسد مدخل القاعة»

«أجفلت بيج، ونظرت لوالدتها، وابتسمت بخفة قائلة: «آسفة. أنا أحاول العثور عليه يا أمى. لا يبدو أننى أكاد أستطيع..»

«من الطبيعى ألا تستطيعى. فهناك مالا يقل عن دسته من الشبان يرتدون ثياب روميو الليلة». وتنهدت والدتها وأزاحت خصلة من الشعر الأشقر عن وجه إبنتها، وأضافت: «وبالطبع

هناك مالا يقل عن دستة ممن يقمن بدور جولييت. ولكن ليس لإحداهن مثل جمالك يا عزيزتى».

إبتسمت بيج، وقالت: «ولا يوجد روميو فى وساق خطيبي. ولذا سيسهل العثور عليه»

ولكن لم يحدث ذلك. قطبت جبينها خلف قناعها الفضى الرقيق بينما تجوب عيناها البنفسجيتان الحجرة المزدحمة. كان هناك كثيرون بالفعل يقومون بدور روميو. ومن حيث تقف، رأتهم جميعاً متشابهين جداً. ولكن كان آلان شيئاً خاصاً. فهو الرجل الذى خطبت له وستتزوجه، ولابد أن يكون بإستطاعتها تمييزه من بين كل هذا الجمع.

مرة أخرى، وقع بصرها على ذلك الرجل الذى رأته عند دخولها قاعة الرقص. كان ينظر من خلال الأبواب الزجاجية إلى حدائق الملهى. عرفته بيج رغم أنه كان يعطيها ظهره. لقد عرفت الهيئة الأنيقة لكتفيه تحت بدلة السهرة، ومظهر رأسه الشديد الإباء.

إستدار فجأة، ومن خلف قناعه الأسود المحكم، التقت عيناه بعينيها. القاعة، والموسيقى، والراقصون... كل شيء تلاشى فى دوامات سريعة.

«بيج؟» قبض والدها على ذراعها، وقال: «بيج، أليس هذا آلان؟»

مرت لحظة كأنها الدهر قبل أن تستطيع صرف بصرها عن الرجل وتستدير إلى والدها.

سألته: «أين؟» أومأ والدها بإتجاه روميو قريب. قالت: وقد إندفعت الدماء إلى وجنتيها:

«أنا.. أنا لست متأكدة» وفكرت.. كم هو شيء

سخيف. لقد ظلت تلتقى مع آلان مما يقرب من عام وقد خطبت له منذ ثلاثة أسابيع. لابد أن تستطيع التعرف عليه حتى فى الملابس التاريخية. نادت فى تردد «آلان؟.. هل هذا أنت؟» احست بإرتياح عظيم عندما إستدار روميو وابتسم.

«ها أنت يا حبيبى» وابتسمت وهو يأخذ بيديها ويقبل وجنتيها، وقال: «أنت تبدين رائعة الجمال يا جولييت»

«أنت ذاتك تبدو شديد الروعة يا روميو» وابتسمت مرة أخرى. وأضافت: «هل هى تخيلاتى أم أن كل عيون القاعة تتركز علينا؟»

ابتسم آلان إبتسامة عريضة وهو يدس يدها تحت ذراعه، وقال: «ربما» ثم أضاف: «كان الضيوف يتوافدون من خارج المدينة طوال اليوم. وكانت العمة دوروثى تسأل عنك منذ دقائق قليلة. هل تريدين رؤيتها؟»

«ليس بعد.» قالتها بيج بسرعة دفعت الجميع للضحك.

نفضت والده بيج ذرة خيالية من النسالة من على ثوب إبنتها، وقالت: «تشعر بيج بالقلق تجاه مقابلة كل أقربائك»

غمغمت بيج: «بل كل ما فى الأمر أننى لا أرى الظرف مناسباً لذلك. فهذه حفلة تنكرية راقصة تعج بكل هذا الزحام وهذه الحركة».

تنهدت جانيت جاردنر، وقالت: «لا يوجد مجال كبير للإختيار وقد بقيت ثلاثة أيام فقط على الزفاف».

ضحك آلان، وقال: «ترى أمك أنه شيء رائع. لابد أنها قد إستأجرت دسته من الملابس التاريخية و...» ونظر إلى بيج عندما ارتعد جسدها قليلاً، وقال: «هل تشعرين بالبرد

يا محبوبتى ؟ » وزلق ذراعه حول كتفيها ، وسألها : « هل هذا أفضل ؟ »

أومأت بيج ، وقالت بلهجة باسمة : « كانت مجرد قشعريرة » .

وعندما إستدار آلان بوالدها وتبادلا حديثاً فى بعض من شئون العمل ، حادثت بيج نفسها .. ثلاثة أيام .

ثلاثة أيام وتصبح السيدة آلان فولر كان ذلك يبدو مستحيلا . منذ شهر مضى كانت راضيه ، تلتقى بآلان مثلما كانت تفعل على مدى شهور ، وتصد عروضه للزواج .. تلك التى كثرت حتى أصبح من الصعب عليها أن تتنبه لها . ولكن ، فى إحدى الأمسيات وضع أصبعه على شفتيها قبل أن تتمكن من الرفض .

توسل قائلاً : « لا تقولى لا هذه المرة يا بيج . ما رأيك فى شىء مختلف ؟ قولى أنك ستفكرين فى الأمر حتى الغد » .

قالت : « ألا تذكر أننى لن أكون هنا غداً ؟ سترسلنى شركه ماى ووك فى أول رحلاتى الشرائية هذا الأسبوع لن أعود قبل يوم الجمعة » .

ابتسم الآن إبتسامة عريضة ، وقال : « هذا أفضل سيكون لدى أسبوع كامل من الأمل .. بينما سيكون لديك أسبوع كامل تفكرين فى كى لا تقولى (نعم) » .

وقتها إبتسمت بيج ووافقت . برغم كل شىء كانت تكن له الكثير . كان وسيماً وساحراً ، وكانت تعرف أن من عرفهن قبلها من النساء مستعدات لتقديم أى شىء مقابل أخذ مكانها . كانت لقاءتها تنتهى دائماً بقبلات عفيفة مع تحية المساء عند إفتراقهما ، ولكن لم يبد أن رأى فى ذلك أى عائق . ولم يزد

رفضها المتكرر علاقتها إلا خصوصية والفة ، وكأنما كان يزيد من إصراره على المطارده . ما الضرر فى أن تنقضى خمسة أيام قبل أن تقول له (لا) مرة أخرى ؟

ولكن ، عندما عادت فى يوم الجمعة التالى ، عانقتها والدتها ، وقالت بصوت يخالطة البكاء : « أنا سعيدة جداً لأجلك يا عزيزتى . ولكن كان ينبغى أن تخبرينا بنفسك » . وبينما كانت بيج لا تزال تحاول أن تفهم ما يحدث ، قبلها والدها وأخبرها بسعادته لأنها قد قررت أخيراً أن تأخذ بنصيحته وتتزوج آلان .

قال : « لقد ظللت شهوراً أقول لك بأنه الرجل المناسب . أنا سعيد أن قد عاد لك صوابك أخيراً يا فتاتى »

وآلان .. آلان .. بزر بإبتسامته الساحرة المرتبكة وأعترف بأنه قد جرفته الحماسة فذكر ما قالته ، ولكن فقط لوالديها ولوالديه .. ولـ ..

سألت بيج فى غضب : « ماذا تقصد بأنك قد ذكرت ما قلته ؟ أنا لم أقل أى شىء يا آلان لقد طلبت منى التريث ، لأفكر فى الأمر .. »

وقتها وافقها آلان واعترف بأنه كان يعرف ذلك ، ولكن فيما كانت ستفكر ؟ إنهما يحبان بعضهما ، وقد عاشا معاً الكثير من أيام المرح ، وهو سيوفر لها حياة سعيدة .

وتمتم : « لا تغضبى منى يا حبيبتى »

كانت سيماه تنطق بالأعتذار البالغ لدرجة أن غضب بيج قد خفت ، وقالت : « أنا لست غاضبه . فقط أنا ... » مست أصابعها وجنته برقه ، وتابعت : « لا بد أن تعلم أننى لا أحبك يا آلان .. حسناً ، أقصد ، أننى أحبك ، ولكنى لست متيمه

بك. هل تفهم؟ أنت تستحق من زوجتك أكثر مما يمكننى أن أقدمه لك».

فهم آلان ماقصدته.. لقد أخذها بين أحضانه مرات عديدة، منتظراً فى إناه أن تتجاوب مع أحضانه، ومؤكداً لها، عندما لم يحدث ذلك، أن الأمر على مايرام.

«أنا أريدك» قالها ببساطة وهو ينظر فى عينيها باسماً. وأضاف: «مثل أى شىء آخر، سيأتى هذا الأمر فى وقته. وسترين ذلك».

تخضبت وجنتاها إرتباكاً، ولكن لم تضطرب نظرتها مطلقاً، وقالت: «آلان، ما الحل إن لم أفعل ماذا لو....»

أخبرتها نظرته أنه لا يستطيع تخيل ذلك.

قال: «سأظل أحبك بالطبع» ثم إبتسم ابتسامة صبيانية عريضة وقال: «لاتخطر فى ذلك. لن أخـذلك يابيج. وسترين»

«آلان» قالتها وهى تريد أن تخبره بأن مايشغل بالها ليس خذلانه لها، ولكن أخذها بين ذراعية وقبلها مرة اخرى، وعندما دفعته اخيرا برفق، فتح الباب ودخلت والدتها إلى الحجرة.

قالت: بيج، نحن سعداء جدا. أرجو ألا تجدا بأسا اذا رأيت أن نتناول إفطارا بالشمبانيا مع السمان وسرطان البحر. لقد تحدثت مع متعهد الأطعمة.»

وبينما كان آلان يقودها إلى دائرة الرقص، تذكرت بيج كيف حدث كل شىء بعد ذلك بسرعة كبيرة جدا. لقد أراد والد آلان أن يذهب إبنه لإدارة أعمالهم فى أمريكا الجنوبية، ومعنى ذلك أن الزفاف الذى حدد له يونيو القادم سيتم تقديمه إلى نوفمبر، أما الخطوبة الطويلة التى توقعتها بيج فقد أصبحت

فترة قياسية. ثلاثة أيام، هكذا فكرت مرة أخرى وهو يزلق ذراعه حولها، ثلاثة أيام..

«هيه.. أفيقى يا بيج»

نظرت بيج إلى آلان وهزت رأسها، وقالت: «آسفه فقط كنت أفكر. لا أستطيع تصديق أن يوم الزفاف قريب هكذا».

تراجع آلان وابتسم إبتسامة عريضة، وقال: «لقد فات وقت التراجع. ماذا ستظن العمة دوروثى»

ابتسمت بيج ابتسامة سريعة، وقالت: «ستقول أننى إنسانه سخيفة إذا تخليت عنك»

ضحك آلان وهو يديرها عبر ساحة الرقص. وقال: «وأنها قد ضُيعت عليها فرصة حضور حفل العام. لقد أمضت العمة دوروثى وأمى نصف هذا الصباح يتحدثان عن خطط أمى للزفاف».

«فقط نصف هذا الصباح؟ كنت أظن أن زفافنا يستحق أكثر من هذا».

«فعلاً. لقد أمضت العمه دوروثى باقى الوقت تقدم لى خلاصة خبرتها».

ضحكت بيج، وقالت: «هل هى خبيرة؟»

«بطريقة ما» وابتسم وجذبها إليه، ثم أضاف: «لقد تزوجت عمتى ثلاث مرات. وأيضاً ربما ينبغى أن أنصت لنصائح أكثر من أخى الأكبر».

ضحكت مرة أخرى، وقالت: «لاتقل أنه قد تزوج ثلاث مرات».

ندت عن آلان ضحكة خافتة، متعجباً: «كوين؟ مستحيل. لن تستطيع امرأة أن تمسك به على الاطلاق».

www.elromancia.com

«مدهش» قالتها بيج بإغاظة، وأضافت: «ما هى النصيحة التى يمكنك الحصول عليها من شخص كهذا؟»

«خطبة تبدأ بقوله: (لقد جننت إذ تفعل هذا أيها الرجل الكبير) أنت تعرفين القول المعتاد الذى يقوله الأخوة الكبار دائماً: (أنا أكبر وأعقل)»

سألت بيج: «ومتى سأقابل هذا النموذج؟» وأمالت رأسها جانباً وابتسمت لخطيبها.

«بمجرد أن يصل. المفروض أن يصل غداً، ولكن مع كوين، لا أحد يعرف شيئاً. إن..»

وقاطعه صوت والدتها: «آلان، أنت لا تجد بأساً فى أن أرقص مع ابنتى، أليس كذلك؟»

رفعت بيج بصرها بينما تركها آلان وأخذها والدها بين ذراعيه.

«بالطبع ياسيدى.. بيج، محبوبتى، سأحضر لنا بعض الشمبانيا، حسناً؟ سأعود فى دقيقة»

تنحنح والدها عندما استقرت بيج بين ذراعيه، وقال دون مقدمات: «إن والدتك قلقة بشأنك. لقد أرسلتنى لأعرف إذا ما كان كل شىء على ما يرام».

نظرت بيج إلى أندروجا ردز بدهشة، وقالت: «ماذا تقصد يا أبى؟»

«أنتما تتصرفان كما لو كان بينكما مليون ميل، «تغيرت الموسيقى إلى فالس قديمة وأخذ والدها يوجهها عبر دائرة الرقص، وقال: «لقد قلت أنها عصبية اللحظات الأخيرة».

أومأت بيج، وقالت: «أظن ذلك»

حدق والدها فى وجهها، وقال: «إن آلان ملائم لك

يا بيج. إنه شاب رائع. لقد عرفته خلال السنوات التى عملت فيها لحساب والده. و...»

إنها نفس الخطبة التى يلقيها والدها على مسامعها منذ أن زل لسانها وقالت أن آلان قد تقدم لها.»

قالت فى صوت رقيق: «أبى، يمكنك أن تطمئن. أنا سأتزوجه. لقد أخذت بنصيحتك أخيراً»

نظر والدها لها، وقال: «كل ما فى الأمر أننى أردت الأفضل لنا جميعاً».

ضحكت بيج، وقالت: «لنا جميعاً؟ إننى أنا التى ستتزوج وليس أنتما»

«إن أسلوب مجازى فى الكلام يا طفلتى. أنت تعرفين ما أقصد. إن سعادتك تعنى سعادتى وسعاده والدتك» وابتسم والدها، وأضاف: «أنت سعيدة، أليس كذلك؟»

أومأت بيج. بالطبع كانت سعيدة. إن آلان، كما يصر والدها، رجل رائع، ولقد أحبته.. بطريقة ما. وإذا كان هذا يكفيه، فإنه يكفيها. بل هو أكثر مما يكفيها. هكذا حادثت نفسها بينما ترقص الفالس مع والدها فى دائرة الرقص. كانت مولعة باللحن الذى يسميه الجميع الألم العظيم، وقد أردكت طبيعته نظراً للقصة التى يرويها. لقد حاولت أن تنقل أحاسيسها لآلان يوم خطبتها، ولكن لم يعطها الفرصة. وكان على حق أيضاً. ربما إستطاع أن يعلم قلبها كيف يحلق فى الفضاء وأن يعلم إحساسها كيف يغنى. وإذا لم يستطع فإن بهجته ستعطيها البهجة. سيكفى هذا. ربما يكون هو الأفضل. سيكون...

تراقصت قشعريرة على كتفيها. شخص ما كان يراقبها،

عرفت ذلك دون سؤال، تماماً مثلما عرفت من هو. إنه الرجل الغريب الذى رأته منذ فترة.. لابد أن يكون هو. كانت تستطيع أن تشعر بوجوده، وتحس بقوته.

تقدمت بيج مقتربة من حضن والدها الذى ابتسم لها. ردت ابتسامته ولكن مسحت القاعة بعينيها. إحتبست أنفاسها فى حلقها. نعم، نعم، كان هناك، واقفاً على محيط دائرة الرقص. كانت سترته مفتوحة كاشفة عن قميص أبيض مشدود التصق بصدره كما لو كان جلداً آخر. كان يضع يديه فى جيبى سرواله وقد وقف متزناً، منفرج الساقين قليلاً بينما مال رأسه جانبا.. وكان يرقبها. خلف القناع الأسود، كانت عيناه مثبتتان عليها، متقدتان، تجروانها من ثوبها الحريرى الطويل وتتفحصان مفاتن جسدها. تعثرت قدم بيج فشدد والدها ذراعيه حولها.

«بيج؟ ماذا بك؟»

قالت بسرعة: «لا شىء.. لا شىء» وأنتزعت عينيها بعيدا عن الرجل إلى والدها، وأضافت: «مجرد أننى.. لابد أننى متعبة».

أومأ والدها، وقال: «لقد مررت بأسبوع حافل» ونظر لعينيها وقد تغضنت جبهته، وأضاف: «هل تودين الجلوس؟»

حادثت نفسها: «سيأتى لك إن فعلت ذلك. أنت تعرفين أنه سوف...»

سرت رجفة خلالها، وقالت بسرعة: «لا.. أنا أنا أريد الرقص معك يا أبى. حقيقة.. أنا..» وابتلعت ريقها ثم أجرت لسانها تبلل به شفتيها الجافتين.

وقالت بهمس لاهث: «هذا الرجل. تُرى... هل تعرف

من يكون؟»

«أى رجل؟»

قالت بإلحاح: «هذا الذى يقف هناك» وأخذت بضع خطوات ليستدير والدها وينظر فى الإتجاه الذى كانت تواجهه، وأضافت: «الرجل الطويل الواقف بجوار دائرة الرقص»

كرر والدها: «أى رجل؟ أى بدلة تنكرية يرتديها؟»

قالت بيج: «إنه لا يرتدى بدله تنكرية» ونظرت من فوق كتفيه، وتابعت: «إنه...»

لم يكن هناك. وطافت عيناها بالحشد تبحثان عنه، ولكنه إختفى. كان دقات قلبها متلاحقة كأنها تجرى لا ترقص، وفجأة بدا من الصعب أن تلتقط أنفاسها.

قبض أن أندرومانر على كتفى ابنته وأمسكها بقوة.

«ماذا حدث؟ هل تشعرين بالدوار؟»

حادثت نفسها: «لست أدرى ما أشعر به. إثارة بهجة. روعه..»

جذبت بيج نفساً عميقاً، وقالت: «أظن.. أظن أننى يجب أن أذهب الآن لحجرة (التواليت) لأصلح زينتى» وابتسمت، ولكن التعبير الحذر على وجه والدها أنبأها أن الإبتسامة مصطنعة مثلما أحست هى بها. وأضافت: «على أية حال، أنا أريد أن أبدو فى أفضل صوره أمام أقارب آلان»

«دعينى أستدعى والدتك لتذهب معك»

«لا» قالتها بصوت حاد قاطع، ثم حاولت تلطيف ردها فرتبت على ذراع والدها، وقالت: «لا داعى لإزعاج أمى. سأعود خلال دقائق معدودة يا أبى. إذا عاد آلان يبحث عنى فأخبره أننى سأعود حالاً».

«بيج..»

إنطلق صوت والدها فى أثرها وهى تعبر دائرة الرقص. وبينما تأخذ طريقها خلال القاعة، حادثت نفسها.. هذا هو جزاء النوم القليل والإفراط فى العمل. كانت تشعر بالدوار، ومن ذا الذى لا يصيبه الدوار إذا مر به يوم كهذا؟ لقد إستيقظت فى الفجر لتتمكن والدتها من عمل بعض اللمسات الأخيرة لفستانها وقناعها. وكان الغداء مع زميلاتها فى العمل ثم تناولت الشاى مع وصيفاتها..

«عفواً» قالتها بيج وهى تمر بين إثنين يرتديان قناعى مارى إنطوانيت وشيطان ضاحك. وإتصلت أفكارها.. سيتفهم آلان إذا اعتذرت وطلبت منه توصيلها للمنزل. ستقابل أقاربه أولاً، عمته دوروثى والباقين، ثم للمنزل لتخلع ثيابها التنكرية وتحظى بحمام دافىء. كانت قاعة الرقص قد إكتظت تماماً، وارتفعت أصوات الموسيقى، وصار الهواء ثقيلاً ساخناً. ستمشط شعرها، وتصلح من زينتها، ثم تعود لتلقى أقارب آلان بالكلمات الملائمة فهذا ماينبغى. بعد ثلاثة أيام سيمكنها أن تستريح. ثلاثة أيام وينتهى كل هذا. ثلاثة أيام.. أو يا الهى، ثلاثة أيام..

كان هناك طابوراً طويلاً فى حجرة (تواليت) السيدات، قالت بيج: «أريد فقط أن أصل للحوض» ولكن كان من المستحيل أن تتخطى أياً من الموجودات اللاتى يكتظ بهم المكان الضيق. التقطت نفساً عميقاً واستكانت تنتظر دورها خلف فتاة ترتدى ثيابا إسلامية وسيدة ترتدى ثياب قرصان.

وصلها صوت الفتاة تقول فى حماسة بالغة: «... إن مجرد طلب للزواج» ومدت يدها اليسرى قائلة: «أنظرى، اليس

جميلا؟».

نظرت السيدة التى ترتدى ملابس القرصان، ونظر معها الجميع، إلى الخاتم الذى يزين أصبع الفتاة، وابتسموا. كان يحوى ماسة براقة، ماسة أصغر قليلاً من تلك التى تزين يد بيج. لكن بيج تعرف دقات قلب الفتاة تتسارع عندما ينظر لها خطيبها، وهل حدثا أن أحست بصعوبة التقاط أنفاسها إذا التقت عيناه بعينيها فتكشف أسراراً لم تكن تعرفها؟ لم تشعر بيج بهذا الإحساس لدى نظرة آلان. لم تشعر بمثل ذلك فى حياتها على الإطلاق، ولا حتى خلال تلك العلاقة الغرامية القديمة. حتى لحظات خلت، لم تكن تشعر به.. إلى أن نظر لها رجل لا تعرف إسمه من خلف قناع أسود.

صممت الفتاة التى ترتدى ثياباً إسلامية عندما خرجت شهقة مكبوتة من حلق بيج.

قالت: «عفواً» وحاولت أن تبتسم. ولكنها لم تستطع، فقط وجدت شفتيها تنفرجان عن أسنانها فى نموذج ردىء للإبتسامة بينما إستدارت وأخذت طريقها خلف النسوة المنتظرات. «عفواً» قالتها مرة أخرى متجاهلة الحواجب المرتفعة والأوجه الفضولية التى إستدارت تجاهها.

أخيراً، عادت بيج للقاعة مرة أخرى، واستندت إلى باب حجرة (التواليت) وهى تنظر حولها. وخطر آلان ببالها، وتمنت لو يبدو أمامها. غير أن آلان فولر لو كان أحد هؤلاء الذين يرتدون ثياب روميو بالقرب منها لما استطاعت أن تميزه.

بدا صوت الموسيقى أعلى من ذى قبل، وبدا الزحام أشد. كان هناك رجلاً بدينا يرتدى ثياب قرصان ويدخن سيجاراً. كادت رائحته تصيبها بالغثيان. فكرت بيج فى الاندفاع خارجة

من القاعة إلى الشارع يمكنها أن تستوقف إحدى سيارات الأجرة وتعود للمنزل.

ولكن لم يكن هناك شارعاً خارج ملهى هانت. بل كانت هناك ساحة إنتظار للسيارات فوق جرف كونكت كت الذى يشرف على المحيط الأطلنطى. ولن تستطع مجرد السير قليلاً فى الظلام سينزعج آلان ووالديها وسيأتون للبحث عنها. ماذا ستقول لهم عندما يعثرون عليها؟ هل يمكنها أن تقول: لقد رأيت فتاة فى حجرة (التواليت) كانت سعيدة بخطبتها لدرجة جعلتنى أود البكاء؟ هل يمكنها أن تقول: لقد رأيت رجلاً لم أره من قبل على الاطلاق، رجلاً لم أعرف إسمه، وأنه قد جعلنى أشعر بشىء لم يُشعرنى به آلان، وأنه قد أرعبنى لدرجة أن إندفعت أجرى مبتعدة؟

بدت القاعة كأنها تهتز من حولها. وهمست بصوت مسموع: «إلهى العزيز» وفجأة إنزلقت ذراع حول خصرها. شمت رائحة عطر قوى تخالطها رائحة ثياب جلدية، وأحست باحتكاك النسيج الجلدى بوجنتها، وبرجل قوى بجوارها.

سمعت صوتا عميقا يقول: ستكونين على مايرام.. فقط إستندى علىّ»

قالت: «أنا... أنا بخير... فعلا بخير»

ولكنها تركت نفسها تستند على صدر الرجل الذى أحكم ذراعة حولها، وقال: «سيغمى عليك لو لم تستنشقى بعض الهواء النقى.... خذى نفسا عميقا. سيفيدك ذلك»

فعلت بيج ما أمرت به. لم يحدث أن أصابها الإغماء من قبل، ولكنها رأت أنه قد يكون على حق. تحولت القاعة إلى دوامة سريعة الدوران، وتداخلت الألوان الزاهية، وصارت

الموسيقى صراخ مدو. أراحت جسدها على جسده وكأنما تختبىء فيه وهو يقودها خارج الزحام. تراءت أمامها الأبواب المؤديه إلى الحديقة، وعرفت أنه يأخذها إلى هناك.

دفع الباب. هب تيار من الهواء البارد يصافح وجهها، ويزيح عن عقلها خيوط العنكبوت الواهية التى لفته. حان الوقت لتوقفه. كان يمكنها أن تشكره على معونته وتطلب إليه أن يستدل لها على مكان خطيبها.

ولكنها لم تفعل. أدركت بيج الأمر، حتى قبل أن يقودها إلى الحديقة ذات الهواء البارد. عرفت أن الرجل ليس إلا ذاك الغريب الذى يراقبها طوال السهرة، بل إن سرعة دقات قلبها أكدت مالم يعد بوسعها أن تنكره.

كانت تريد أن تأتى هذه اللحظة. كانت تأمل ذلك. والآن، وهى هنا، عرفت أن حياتها لن تعود مطلقاً كما كانت.

الفصل الثانى

(عدينى أن تعودى)

إرتعدت بيج عندما تأرجحت الأبواب الزجاجية منغلقة خلفها. أخر مرة جاءت فيها إلى هنا كانت بصحبة آلان. كان الهواء معبقاً بأريج الزهور وأشجار صريمة الجدى ذات الرحيق الأخاذ كانت رائحة البحر واضحة وهو يضرب رمال الشاطىء تحت الجرف بلا شفقة. وتسللت نفحات الموسيقى خافتة من القاعة المغلقة لتختلط بصوت ارتطام الأمواج بالشاطىء. كان القمر بدراً ينير الشرفه، ولكن عندما رفعت بيج عينيها لوجه الرجل الغريب إندفعت سحابة كبيرة عبر السماء وأغرقت كل شىء فى الظلام.

الحت عليها كل غرائزها أن تسحب نفسها من الذراع الذى يحيط بخصرها وأن تركض عائدة إلى الدفء والضوء داخل الملهى، ولكن بدت قدماها كأن جذورهما قد غاصت فى الأرض.

أحست بأن موقفها يعد حماقة كبرى، واستدارت لتقول بأنها ستذهب. ولكن سبقها الرجل بالكلام.

«خذى نفساً عميقاً»

هزت بيج رأسها، وقالت: «أنا بخير الآن. أنا..»

أحست بضغط يده وهو يقول بلهجة قاطعة: «خذى نفسا.. هيا إستنشقى..»

كان أمراً، وليس نصيحة، أومأت وفعلت ما قال، وجذبت الهواء البارد إلى داخل رئتيها.

«أفضل؟»

أومأت مرة أخرى، وقالت: «نعم. أفضل كثيراً. شكراً لك على...»

قال: «لا تتحدثى. فقط خذى نفساً آخر»

«أخذت شهيقاً آخر، وأحست أنه لا يوجد ما يدعوها للقلق. كانت على يقين أنها تحولت إلى ورقة شاحبة فى تلك القاعة المكتظة. ولقد لاحظ ذلك، وهب لنجدتها. كان مجرد سامرى طيب (نسبة إلى السامرى الذى عُرف فى الإنجيل بنزعاته الخيرة). وما عدا ذلك فليس سوى نتاج خيال جامح.

قالت: «أنا.. أنا بخير الآن وأنا شديدة الأسف لكل ما سببته لك من إزعاج»

«لم يكن هناك إزعاج على الأطلاق» ودفعها ضغط يده لأن تستدير إليه، وأضاف: «فى الحقيقة يمكنك القول بأنك أسديت لى معروفاً».

«أنا؟» هل كانت هناك ابتسامة فى صوته؟ فقط أو تستطيع رؤية وجهه.

ضحك برقه، وقال: «لقد كنت أتمنى دائماً أن أنقذ فتاة فى محنة يا جولييت» ولمست يده وجنتها، وأضاف: «هذا هو إسمك الليلة، اليس كذلك»

قالت بيج بسرعة: «أنا... نعم، نعم هذا صحيح.. وفى الواقع يجب أن أدخل الآن. إن خطيبى...»

أطبقت أصابعه على يدها، وقال: «أظن أننى رأيت شيئاً يتلألأ فى أصبعك أخبرينى يا جولييت.. أين هو؟ أقصد خطيبك».

«إنه... إنه ينتظر فى قاعة الرقص. إنه.. ماذا تفعل؟» سألت رغم أن الإجابة كانت واضحة لقد تلوى خارج من سترة بدلته وبسطها على كتفيها.

قال: «أنت تشعرين بالبرد» ورفع شعرها الأشقر من على كتفيها وأسدله فوق السترة، وأضاف: «يداك كالثلج»

قالت بسرعة: «لا أنا بخير. أنا..»

جذب طيتى صدر السترة معاً، وهو يقول: «لا تجادلينى»

أحست بيج فجأة أنه لا يمكن لأحد أن يجادل هذا الرجل. لا يجرؤ أحد على ذلك. حكت أصابعه جلدها برفق ومر بأصبعى إبهامه فى خفه على حلقها وتمهل فوق التجويف الذى يعلو الترقوه. تساءلت فى تعجب عما إذا كان يشعر باندفاع الدم السريع نابضاً تحت لمسته، وسرت رعشة ببدنها.

اغتصبت ضحكة، وقالت: «ربما أشعر بالبرد قليلاً.. الجو بارد هنا، أليس كذلك؟ أظن أنه هواء المحيط. رغم أننا فى الخريف بالطبع»

اللعنة. إنها تثرثر كالمجانين. أحست أنها تبدو كطالبة مدرسيه هلعه.. أو كأنها مراهقة ترقص لأول مرة بمفردها مع صبى مولعة به. ولكن كان الواقف بجوارها فى الظلام رجلاً، وليس صبياً، رجل لا تعرف إسمه.. ماذا تفعلين هنا يا بيج؟

قبض على يدها قائلاً: «سيرى معى»

قالت: «لا استطيع» ولكن كان يقودها بالفعل على الممر المحيط بالحديقة. وتوسلت: «أرجوك..» «فقط لدقائق قليلة»

أحست كما لو كانت فى حلم، وصلتها الوحيدة بالواقع هى الموسيقى الخافتة المنسابة من القاعة المضيئة كان الرجل المجاور لها طويلاً، أطول مما ظنت. ولو إرتدت حذاء بكعب عال فلن تصل إلا لكتفه فقط. كانت سترته تنسدل حولها كأنها عباءه. تهدلت الأكتاف والأكمام وبدت كأنها طفلة تلهو بإرتداء الثياب. كان قد رفع الياقة عندما بسط السترة على كتفيها، ومس الصوف الناعم للياقة بشرتها برفق. أحست بالدفء وكأن النسيج لا يزال يحمل حرارة جسده. واستطاعت أن تشم عطره، نفس العطر الذى لاحظته من قبل، وكان ممتزجاً بشىء أكثر وضوحاً وإحساساً.. برائحة رجالية صافية مميزه.

أغلقت بيج عينيها، وخفق قلبها وهى تستنشق الرائحة التى أحاطت بها مع حرارة جسده. ثم رفعت أهدابها.. ماذا تفعل؟.. تتسكع فى الظلام بجوار رجل لا تعرفه.. متسارعة الخفقات، جافة الحلق، ولم تفكر لمرة واحدة فى الآلان أو فى خاتم الخطوبة بأصبعها أو فى قسم الزواج الذى سترده بعد ثلاثة أيام.. إشتدت قبضته على يدها، وقال بتؤوه: «لا تخافى»

إغتصبت ضحكة أخرى، وقالت: «لا، أنا لست خائفة أنا..»

توقف واستدار لها قائلاً: «أنت خائفة» ومر بيده على باطن معصمها فى خفة، وقال: «يمكننى الإحساس بتسارع نبضاتك. إن قلبك يدق كقلب أرنب مذعور».

تراجعت بيج فى خطوة سريعة، وهمست: «لابد.. لابد

لن أعود الآن. شكراً على سترتك. دعنى..»

أحكم قبضته على معصمها، وقال: «لا تذهبى» كان صوته خافتاً ومبحوحاً.

ثقل لسانها فى فمها، وقالت بسرعة: «أنا لابد.. إن خطيبى..»

هز رأسه فى تبرم، وقال بخشونة: «الجحيم على خطيبك. إبق هنا معى».

أحاطت يداه بوجهها، وأماله لأعلى. كان بأصبعه خاتم.. خاتم عتيق تتوسطه ياقوته. إستقطب الحجر ذو اللون الأحمر الدموى ضوء القمر والهبه بنيران متألقه.

أحست بدفء أنفاسه على بشرتها. كان الظلام يغلف ملامحه، ولكن بيج عرفتها.. تماماً مثلما أدركت أنها تعرف هذا الرجل منذ الأزل، وأنها قد إنتمت له فى زمن آخر، وفى خلود آخر. إنثنت رأسه تجاه رأسها، وأغلقت عينيها، تنتظر، وتنتظر..

سرى صوت ما فى الظلام الصامت. هل كانت الريح تحف بأوراق الشجر أم كانت موجة ترتفع إزاء الشاطىء تحتها.. لم تكن متأكده.. ولكن كان الصوت كافياً ليعيدها إلى رشدها.

إنتزعت نفسها مبتعدة عنه وهى تقول: «يجب أن أعود. أنا ممتنة لمساعدتك. أنا.. أنا لا أدرى ما حدث لى هناك..»

ماتت كلماتها الشجاعة عندما تحرك نحوها، وقال: «أنت تعرفين ما حدث»

كان هناك شىء فى صوته، إحساس بالثقة لدرجة أثارتها وأرعبتها فى آن واحد، أدركت أنه لم يكن يقصد إحساسها

المفاجىء بالدوار. كان يقصد تلك اللحظات الصامتة من الخلود الذى تقاسماه.. ولم تكن هى للتتحدث عن ذلك. لا فى هذا الوقت، ولا فى أى وقت على الإطلاق.. وبالتأكيد ليس معه.

قالت بسرعة: «أنت على حق.. لقد أحسست بالإعياء، وهذا كل ما فى الأمر. كان الجو دافئاً فى قاعة الرقص. وكانت مزدحمة و...»

شهقت عندما تحولت يداه إلى كتفيها ضاغطاً على لحمها، وقال: «لا تكذبى يا جولييت»

«أنا لا أكذب.. أنا..»

«لقد كنت أراقبك طوال السهرة».

أحست بوخز خفيف تحت حرارة أصابعه، وقالت: «عن أى شىء تتحدث؟»

ضحك بتؤوه، وقال: «هل سنلعب سوياً؟ أنت تعرفين أننى كنت أراقبك».

أحست بالحرارة تندفع وتغمر وجنتيها. وشكرت الله على هذا الظلام.

قالت: «أنت على خطأ. أنا...»

إشتدت قبضته على يدها، وجذبها إليه ببطء وهو يقول: «وأنت كنت تراقبيننى أيضاً»

كان إنكار بيج سريعاً، وقالت: «لم أفعل. أنا لم ألحظك على الإطلاق إلى أن عرضت مساعدتى».

رأت بريق أسنانه البيضاء وهو يقول: «عمن كنت تبحثين عندما دخلت إلى قاعة الرقص يا جولييت؟ عن خطيبك؟»

قالت بسرعة: «نعم خطيبى» تعلقت بالكلمة كأنها ستنقذها من كل ما هو آت مهما كان. وأضافت: «هذا

صحيح ومن المحتمل أن يبحث عنى آلان. إنه ... »

« الجحيم، كان يجب أن يصحبك طوال السهرة » وتحركت يداه على كتفيها، وأضاف: « كنت سأفعل ذلك لو أنك تنتمين لى ».

« أنا لا أنتمى لأحد. ولقد كان ينتظرنى. أقصد، أننى لم ألحظه من أول وهله. أنا ... »

ضحك بهدوء، وقال: « ولكنك وجدتنى جذاباً. » وانزلقت يداه من كتفيها عبر ذراعيها حتى أحاط بهما معصميها، وقال: « وعندئذ تزاحم الحشد وأفتقدت مكانك. هل كان ذلك عندما عثر عليك خطيبك روميو؟ »

أحست بيج بجفاف شفتيها، وبحذر، أجرت طرف لسانها فوقهما.

« نعم. والآن يجب فعلاً أن أعود له. أنا ... »

« المرة التالية التى رأيتك فيها كنت ترقصين مع رجل كبير » ورفع يديها بين يديه وأمسك بهما أمام صدره، وقال: « لم يكن روميو »

كان مجرد تقرير ولم يكن سؤالاً. ورغماً عنها، إبتسمت بيج وقالت: « لا »

« أومأ قائلاً: « والدك على ما أظن. أو خال أثير ».

قالت: « والدى. لقد رأيتك تراقبنا. أنا .. »

« كان الإعتراف قد خرج قبل أن تتمكن من إيقافه. تبدو أى أمل لها فى أن تمر هذه الزله عندما سمعت ضحكته المنتصره الهادئة.

لكنك قلت: أنك لم تلحظينى على الأطلاق ياجولييت ».

قالت فى يأس: « هذا ليس إسمى. إنه مجرد خيال .. »

إنزلقت ذراعاه حولها، وهمس: « هذه ليلة من الخيال، ويمكن أن يحدث فيها أى شىء » ببطء جذبها قريباً منه، وقال: « يمكنك أن تبقى هنا وترقصى معى ».

كانت الموسيقى المتسللة من قاعة الرقص قد تحولت إلى نغمات بطيئة حالمة. وضعت بيج يديها على صدره عندما بدأ يتحرك على إيقاعها الرتيب.

ثم توقفت فى تصلب بين ذراعيه، والتقطت أنفاسها قائلة: « لا تفعل، أرجوك » كانت تقاوم رغبتها فى أن تذوب بين ذراعيه. إنها ليلة من الخيال، كما قال، وهذا ما يحدث، اليس كذلك؟ مجرد خيال غير مؤذ.. أضغاث أحلام إضطرب قلبها، وهمست: « حسناً، رقصة واحدة فقط ... »

رد ببساطة: « رقصة واحدة. ثم سنفعل أى شىء تريدينه »

سنفعل أى شىء تريدينه.. هل كان هناك تهديد فى الكلمات البسيطة؟ لا، ليس تهديداً. كانت بيج تحادث نفسها عندما بدءا يتحركان عبر المربعات الحجرية التى تغطى الأرض. كانت كلماته تحمل شيئاً أكبر. هل هى ثقة أم إقتناع بأنه أدرك ما تريده رغم أنها لم تعترف به لنفسها بعد؟

فليفكر هذا الغريب فيما يشاء. رقصة واحدة معه، هذا كل ما فى الأمر، ثم تعود إلى آلان. وستحكى لآلان عن ذلك خلال أسبوع أو أسبوعين، وستحكى عن ذلك القدر الضئيل من الحماقة التى تمكنت منها فى تلك الليلة قبل ثلاثة أيام من زفافهما. سيضحكان بشأن ذلك مثل ضحكهما بشأن الحفلة التى يخطط أشابين العريس لإقامتها مساء الغد فى ملهى غرف بنادلات حانته القصيرات الثياب، وذلك إحتفالاً بتوديع آلان لحياة العزوبية.

«إن أحد طقوس الإنتقال» هكذا يسميه آلان، وهذا ينطبق على ما يحدث الليلة. اليس كذلك؟ هذه الرقصة مع غريب كانت فعلاً آخر مذاق للحرية. وسيبتسم آلان عندما تحكى له عنها و...»

من الذى تخدعه، لن يمكنها إطلاقاً أن تحكى لآلان. لن يمكنها مطلقاً أن تحكى لأى إنسان. لقد كان هذا جنوناً.. جنوناً خطراً. لم تكن ملذه أخيرة أو أحد الطقوس الغير بريئة للإنتقال..

قربها الرجل منه أكثر، وقال: «هل عيناك فعلاً بلون بنفسج الربيع؟»

سرى صوته خلالها، ناعماً ومبحوحاً، كأنه حضن مخملى. وفى صمت الليل الثقيل إستطاعت بيج أن تسمع دقات قلبها السريعة المضطربة.

سألته وقد كتمت أنفاسها: «من أنت؟»

ضحك بتؤوه، وقال: «أنت تعرفين من أنا يا جولييت. أنا الرجل الذى ظل طوال الليل يريد أن يبادلك الحب»

ذهب الاعتراف بأنفاسها. تعثرت قدمها فضمها بقوة إلى جسده القوى.

همست: «لا تفعل» ولكنها أحست بنفسها تذوب أمامه. إنتشرت يداها على صدره، أحست بضربات قلبه المكتومة تحت كفيها.

«جولييت..»

سمعا صوت الباب يُصفق فجأة إرتفعت صرخة ضاحكة مع أصوات أقدام على الممر المفروش بالحصى. وبسرعة عادت بيج للواقع. تكورت يداها إلى قبضتين ودفعته بهما.

وقالت فى همس يائس: «دعنى أذهب.. أرجوك..»

أمسك بيدها وقال بصوت خافت: «تعالى معى..»

«هل أنته مجنون؟ خطيبى..»

«أنا لا أبالى مقدار ذره بخطيبك. وكذلك أنت لا تبال به. ولو كان الأمر يهمه لما كنت معى الآن»

أرسلت كلماته رجفة خلالها، وقالت: «أنت لا تعرف ما تقول. إنه يعنى كل شىء لى. إنه»

«إذن ليس لديك ما تخشينه بمجيئك معى. اليس كذلك؟» ادخل أصابعه بين أصابعها، وأضاف: «علاوة على ذلك، فإذا رآنا أحد هنا فربما يسىء الظن».

ودت أن تقول له أن آلان سيفهم، ولكن كان ذلك مجرد أمل وليس يقيناً. إقترب وقع الأقدام والضحكات أحس الرجل بترددها فأحكم قبضته على يدها.

جذبها خلفه، وهو يقول: «سننهى رقصتنا.. هناك، على الشاطىء ثم، إذا أردت فسأعيدك إلى روميو الخاص بك».

كان جنوناً أن تتبعه عبر الممر المفروش بالحصباء والذى يهبط الجرف، أحست بيج بذلك وهى تسير بجانبه. وكان جنوناً أن تلقى بصندلها عندما لمست قدماها الرمال ثم تخطو إلى ذراعيه المنتظرين. ولكن فالجها إحساس رائع فى إستنادها إلى حضنه وتحركها على إيقاع الموسيقى. مرت اللحظات، وأغلقت عينيها وأراحت رأسها على كتفيه. عندما أزاحت شفتاه شعرها، بدا واضحاً أن ليس لديها أى إعتراض.

همس «جولييت»

رفعت بيج رأسها ببطء تحركت يد الغريب إلى أعلى ظهرها.. إلى مؤخرة عنقها.. ومضى يجدل شعرها.

وكرر: «جولييت» هرب القمر من السحابة التى تلاحقه، وملأت عينيها منه، حدقت فى إبتهاج فى الملامح التى لم تكن قد القت عليها حتى الآن سوى نظرة خاطفة. كان ذا أنف دقيق وفم محدد، وكانت شفته السفلى ممتلئة ومنيره. برقت عيناه خلف القناع.. زرقاويتان، ظنت ذلك بينما كانت دقات قلبها تدوى فى صدرها.. زرقاويتان أو ربما خضرواتان..

وكأنما كان يقرأ أفكارها، مد يده ونزع البرنس (القناع النصفى) الأسود من على وجهه. تسارعت أنفاسها عندما أماط القناع جانباً وحدق فيها، كانت عيناه بلون الزبرجد النقى. لون بحر الصيف، عميقة الغور، كثيفة الأهداب.

غمغم قائلاً: «والآن هذا دورك».

إرتجفت بيج عندما مد يده إليها. أطبقت أصابعه على القناع الفضى، وكتمت أنفاسها بين ذراعى الرجل مثلما هى فى هذه اللحظة. كانت نظرة عينيه وهى تتصفح وجهها أكثر دفئاً من أى عناق جربته. يا إلهى، ماذا يحدث لها؟

ابتسم قائلاً: «كنت أعرف أن عينيك بلون البنفسج» وأضاف بصوت عميق: «أنت جميلة يا جولييت».

أحاط ذقنها بيده اعتقدت أنه سيقبلها يجب أن توقفه...

ترنحت بيج بينما إنسدلت أهدابها على وجنتيها. ما فائدة الكذب؟ إنها تريده أن يقبلها. كانت تعرف ذلك.. وكان هذا الغريب يعرفه. لقد ظل يبادلها الحب طوال الليل، بداية فى قاعة الرقص، ثم فى الشرفه، والآن... الآن سيقبلها لابد أن تنهى القبلة هذا الخيال وتعيد الواقع. ستضع نهاية لكل هذه الحماقة. وسوف تعود أدراجها وتعتذر لتركها الأمور تخرج من يدها و...

مس فه فها برفق، كانت القبلة خفيفة كرذاذ متطاير من المحيط.

همس بينما تلتف ذراعه حولها: «زهرة.. فك زهرة رحيقها كمذاق العسل» إنثنت رأسه إليها وقبلها مرة أخرى. كان ضغط فه أقوى، وكانت شفتاه جائعة وآمرة بالإستسلام. ولقد فعلت بملء إرادتها. تحول فها ناعماً تحت فه، وانفرجت شفتاها، وبصوت مابين الدمدمة والبهجة بالإنتصار ضمها إليه. وعبثت أصابعها بشعره الحريرى فى مؤخرة رأسه بينما مس لسانه فها بلهب متقد.

«أنت تريدينني. أعرف ذلك»

رباط أخير مع الواقع جعلها تهز رأسها! وقالت: «يجب أن تدعنى أذهب أنا..»

«إلى أين تذهبين؟.. إلى روميو؟»

«نعم» وأرتعدت عندما ضمها إليه مرة أخرى بينما تضيف: «نعم، إنه خطيبى.. أرجوك دعنى أذهب...»

«هل يجعلك تشعرين بما أشعرك أنا به؟» وغاص فه فى فها مرة أخرى فى قبله مثيرة، ملتهبه. رفع رأسه وحدق فى عينيها، وسألها: «هل يفعل؟»

تمنت لو يغفر لها آلان وهى تقول: «لا» قالتها فى همسة خافتة تمنت ألا يسمعها أحد سوى المحيط. بدت إبتسامة كأنها نصب تذكارى يخلد خضوعها. ولكن قبل أن يتمكن من تقبيلها ثانية، دفعت بيج صدره بيديها وقاومت أحضانه قائلة: «ولكنى لن أفعل ذلك. أنا..»

«أنت لا تريديه يا جولييت، أنت تريدينني أنا»

همست: «لا» ولكن حتى هى إستطاعت أن تسمع

الكذب الذى يملأ كلمتها. وكررت: «لا» ولكن كانت ذراعاه محكمتان حولها، وبدأت النجوم تدور. كان القمر قد ارتفع فى السماء ملقياً غلاله فضية على صفحة الماء الداكن، ولمعت ملايين النجوم فى السماء. كان آخر البشر على الأرض، وكان الحب أمراً حتمياً. سرت رعدة خلالها، وهمست «أرجوك.. أرجوك».

قال: «أرجوك ماذا؟» ومست شفتاه شفتيها وقال: «أخبرينى بما تريديه أن أفعله يا جولييت»

وفجأة ترامى إلى مسامعها صوت تعرفه: «... هل أنت هنا؟»

ميزت الكلمات رغم اختلاطها بصوت الأمواج المتكسرة على الشاطىء. وتصلبت بيج بين ذراعيه.

«إنها أمى»

كانت همستها شديدة الاهتياج. لم يقل شيئاً، وظنت أنه لم يفهمها. ثم سمعت لعناته المكبوتة، وأحست بالتوتر المفاجىء فى عضلاته.

غمغم إزاء وجنيتها: «إبق هنا وستذهب بعيداً»

همست بيج: «إنها لن تفعل.. دعنى أذهب.. أرجوك»

توهجت عيناه وحدقتا فى عينيها، وقال: «بشرط أن تعدينى بأن تعودى لى»

هزت بيج رأسها، وقالت: «لا، لا لا يمكننى أنا..»

«.... هل أنت؟» جاءها صوت أمها.

قالت بيج فى همس يائس: «ستأتى إلى هنا. دعنى. أتوسل إليك»

قيدت يداه حركتها، وقال بغلظة: «عدينى أن تعودى»

حدقت بيج فى وجهه قائلة: «لا أستطيع أنا..» بدا شبح أمها عند أعلى الممر الهابط إلى الشاطىء. قالت بأنفاس لاهثة. «حسناً حسناً سأعود»

قبضت يداه على كتفيها وغاصت فى لحمها حتى أجفلت. وهمس فى الحاح: «عدينى بذلك. عدينى بذلك وإلا فسآتى معك الآن. وسأخبر أمك وروميو بأنك لى الليلة».

«لا أستطيع. أنا..»

أطبق فمه على فمها فى قبله حادة سريعة سلبت أنفاسها، وقال: «لا تخدعى نفسك يا جولييت، أنا أيضاً لا أفهم الأمر ولكننى متأكد أن شيئاً كالجحيم قد حدث. وستصيبنى اللعنة إذا تركتك تخرجين من حياتى قبل أن أفهم ذلك. هل تفهمين»

إنتفض قلب بيج بجنون. وهمست «نعم» وغمرها إحساس بالسعادة الفياضة. وكررت: «نعم» وعندئذ سمعت وقع أقدام أمها على حصباء الطريق مست وجنة الرجل وخطت سريعاً إلى الممر، ورفعت صوتها: «أنا هنا يا أمى»

تقدمت والدتها خطوة باتجاهها، وقالت: «بحق السماء يا عزيزتى.. أين كنت؟ لقد أشرفنا على الموت قلقاً عليك»

حثت بيج خطاها خلال الياردات الباقية حتى وصلت لأمها وتأبطت ذراعها ثم جذبتها عائدين بإتجاه الحدائق ومبنى الساطع الأضواء.

«كنت.. كنت أسير على الشاطىء يا أمى. أنا آسفة لإزعاجك»

قالت چانيت جاردنر بينما يتقدمان على الطريق المرصوف بالمربعات الحجرية: «لست وحدى يا بيج لقد أصابنا القلق

جميعاً . والدك وآلان .. ماذا حدث لك ؟ هل كنت وحدك ؟ »

القت بيج نظرة خاطفة من فوق كتفيها . لم يكن خلفها سوى الظلام ، وقالت : « نعم ، بالطبع . أنا آسفة جداً . مجرد .. مجرد أننى أردت أن أخلو بنفسى بعض الوقت على ما أظن »

تباطئت خطوات أمها ، وقالت : « هل أنت متأكدة أنك بخير يا عزيزتى ؟ يبدو عليك شىء ما هذا المساء ... »

« أمى ، أين آلان »

« يبحث عنك بالطبع . إنه .. »

اندفعت بيج قائلة : « يجب أن أتحدث معه . يجب أن أخبره أن هذا .. »

أحاطت جانيت جارونر خصر إبنتها بذراعها ، وقالت مهدئة « آلان يفهم . إنه يعرف أن هذا قلق اللحظات الأخيرة »

« أمى ، أرجوك ... »

« كل العرائس يشعرن بنفس الإحساس . ستكونين بخير يوم الزفاف . ستتلاشى كل هذه العصبية بمجرد أن تشاهدى وصيفاتك والزهور وإبتسام المدعوين لك بينما ينتظرك آلان » .

كانت صلاة إبتهال من أجل راحتها ، ولكنها كانت أيضاً تذكير بالواقع بالمسئولية . وتوقفت بيج فجأة .

وهمست : « أسيحدث ذلك ؟ »

ابتسمت جانيت جارونر ، وقالت : « بالطبع » ثم نظرت إلى عينى بيج فتحولت إبتسامتها إلى عبوس قلق ، وقالت : « إلا إذا كانت لك تحفظات حقيقية يا بيج . هل لديك شىء كهذا ؟ إذا لم تكونى متأكدة .. »

عضت بيج على شفتها السفلى ، وقالت : « نعم ، لا . يا إلهى ، أمى ، أنا .. أنا لا أشعر .. أنا لا أشعر بالاحساس

المفروض تجاه آلان ، هل تعرفين ما أقصد ؟ أنا .. أنا لا أشعر تماماً بذلك الإحساس .. »

ارتفع حاجبا والدتها ، وقالت : « تقصدين الاحساس الذى شعرت به تجاه ذلك الرجل فى نيويورك » كان صوتها جامداً مستهجناً ، وتابعت : « هل هذا ما تقصدين ؟ »

التقطت بيج أنفاسها ، وقالت : « أنا لا أقارن بين الموقفين يا أمى . أنا .. »

« أتمنى ألا يحدث . لن يؤذيك آلان على الإطلاق يا بيج . يجب أن تكونى سعيدة »

« أنا سعيدة . أقصد أننى ظننت ذلك لكن .. »

فتح باب القاعة فجأة ، وأحاطت بهما ضجة قاعة الرقص ودفئها المعبق بالدخان . أطلق آلان تنهيده ارتياح عندما خطا إلى الشرفة .

« ها أنت هنا . ماذا حدث لك يا حبيبتى ؟ »

« أنا .. أنا خرجت فى الهواء قليلاً يا آلان . »

وضع ذراعه حول كتفيها ، وقال : « هل أنت على ما يرام »

أومأت بيج : « أنا بخير »

« لقد بحثت عنك فى كل مكان .. فى (التواليت) وفى السيارة .. »

قالت جانيت جارونر : « أنت لم تبحث على الشاطىء حيث كانت يا آلان . كانت تريح أعصابها بالسير »

تورد وجه بيج ، وقالت : « أمى . بحق السماء »

ابتسم آلان ابتسامة عريضة ، وقال : « تذكرى أننى من يُفترض أن يكون عصبياً . هذا إمتياز مقصور على العريس »

التقطت بيج أنفاسها ، وقالت : « هل أنت كذلك ؟ »

«وضع آلان يديه على كتفيها وسدد نظراته إلى عينيها قائلاً بصوت رقيق: سنكون سعداء. أعدك بذلك»

حدقت بيج فى خطيبها. وحادثت نفسها.. سيكونا سعداء. بالطبع سيكونا. إن ما أحست به منذ لحظات قليلة، بين ذراعى رجل غريب، لم يكن سعادة. كانت تعرف ذلك مثل غيرها.. ربما كان شىء أفضل..»

قالت والدتها: «لقد دعانا السيد والسيدة فولر لتناول القهوة بمنزلهما يا عزيزتى. سأستدعى والدك وأعود لكما»

ابتسم آلان عندما إنطلقت والده بيج، وقال بلهجة مُغيظة «ستتناولين القهوة والكعك مع كل آل فولر. تريد العمة دوروثى أن تقابلك. والعم سام. وسرب لا نهائى من الأقارب». وأحنى رأسها وقبلها ثم تابع: «أنا سعيد لعثور أمك عليك يا حبيبتى. لا نريد أن نشعرهم بخيبة الأمل، أليس كذلك؟»

«بالطبع.. بالطبع لا نريد»

ابتسمت له ابتسامة سريعة وهو يقبض على يدها ويقودها خلال الملهى إلى رواق المدخل الأمامى ذى الأعمدة.

كم سينتظرها ذلك الرجل على الشاطىء؟ خمس دقائق؟ عشرة؟ هل سيصاب بخيبة الأمل أم يغضب أم..»

«ها نحن يا أولاد. لم لا تطلب من السايس إحضار السيارة» وأنتحت بها والدها جانباً بينما يتقدم والدها مع آلان تجاه الرصيف، وهمست: «كفى عن إظهار القلق. إنها مجرد عصبية اللحظات الأخيرة. ثلاثة أيام من الآن وتصبحين السيدة آلان فولر، وستضحكين عندما تتذكرى ما أحسست به الليلة»

أومأت بيج وتمتمت برد ملائم. ولكن عندما خطت إلى

سيارة خطيبها، وتركت تعهدات والتزامات حياتها الجديدة تبتلعها، أدركت أن والدتها كانت على خطأ.

ستذكر هذه الليلة، ولكنها لن تضحك على الأطلاق. ستكون ذكرياتها حلوة جداً ومريرة جداً.. ولكن هكذا يكون الخيال فى الغالب.

www.elromancia.com

الفصل الثالث

«بيج ؟.. بيج، هل رأيت غصن القرنفل الذى سأخيطه بتاج عرسك»

كانت بيج تنقب فى خزانة ثيابها عن الزوج الثانى من الحذاء الفضى الذى تمسكه بيدها، جلست على عقبيها وتنهدت.

ثم رفعت صوتها قائلة: «لا يا أمى. ولكنى لن أقلق بشأنه. فالتاج يبدو جميلاً كما هو»

دلفت جانيت جارونر إلى حجرة ابنتها، وبحثت خلال قطع الثياب المزركشة المتناثرة على منضدة الزينة.

تمتمت: «هل خلطته مع هذا الملابس؟» ثم تنهدت وأجابت نفسها: «لا، لاشىء هنا سوى ملابس داخلية لجهازك» نظرت المرأة الكبيرة لإبنتها، وقالت: «ألم تنتهى من حزم حقائبك يا عزيزتى؟ حفل الزفاف غدا، ويجب أن تذهبى أنت وآلان إلى المطار فى الخامسة على أقصى تقدير.

جثت بيج على قدميها، وقالت: «هناك فسحة كبيرة من

الوقت يا أمى. سأقوم بالباقى الليلة، بعد أن نعود من (بروفة) الحفل» تغضنت جبهتها، وأضافت: «هذا إذا ذهبنا أساساً» وطوحت بالحذاء الفضى على الفراش قائلة: «لا استطيع العثور على الزوج الثانى لهذا الحذاء فى أى مكان»

قالت والدتها: «أليس هذا هو.. نعم، إنه هو» والتقطت الزوج المفقود من أرضية الحجرة. ثم جالت ببصرها وهى تبتسم للحقائب والحزائن المفتوحة، وقالت بتؤوه: «هل سأفقد كل هذا؟»

ضحكت بيج وهى تدس قدميها فى الحذاء، وقالت: «ستفقدين هذه الفوضى. آه لك يا أمى. أعرف أنك.. أنك تنتظرين بشق النفس لدخول هذه الحجرة وتنظيفها»

ابتسمت جانيت جارونر، وقالت: «أنت تعرفين ما أقصد يا عزيزتى. سأفتقد فتح الباب ورؤيتك هنا» وراقبت ابنتها وهى تمرر يدها على ذيل فستانها الأزرق الطويل وتنعم النظر لصورتها فى المرآة. وقالت: «من الصعب تصديق أنك ستكونين فى الغد السيدة فولر».

وللحظة قصيرة، أظلمت قسمات بيج، ثم ردت ابتسامة والدتها.

«انظرى للجانب المشرق يا أمى. سيمكنك تحويل حجرة نومى إلى حجرة للضيوف مرة أخرى».

ضحكت المرأة الكبيرة، وقالت: «لم تكن شيئاً البتة سوى حجرة نوم لك يا بيج، حتى عندما كنت تعيشين فى نيويورك» وخرجت من الغرفة ثم استدارت واطلت برأسها من الباب، وقالت بصوت رقيق: «هل أنت على ما يرام؟»

«أومأت بيج. أحست بغصه مفاجأة فى حلقها، فلم تحاول

الرد بأى كلمة. وابتسمت وطيرت قبلة فى الهواء لوالدتها ثم إستدارت وأجتذبت كومة الملابس الداخلية من فوق منضدة الزينة، ووضعتها فى إحدى الحقائب المفتوحة. عندما رفعت بصرها بلمحة سريعة مرة أخرى، كانت والدتها قد ذهبت.

اختفت الابتسامة المرتجفة وغاصت بيج فى فراشها الذى صحبها منذ طفولتها. تعلقت الدموع بأهدابها وطرفت عينيها فى غضب لتبتلعها مرة أخرى.. لا مزيد من الدموع لقد ذرفت من الدمع خلال اليومين الماضيين ما يكفيها باقى حياتى. كل العرائس يكن عصبيات، هكذا يقول الجميع، وبعضهن يبكين، ولكن ماذا ظنت بها عائلة فولر بعد تلك الليلة؟ الله وحده يعلم. لقد صافحت العديد من الأيدى فى منزل فولر بعد ما تركوا ملهى هانت، ولثمت العديد من الخدود، وكانت تتساءل إذا ما كانوا يشعرون بافتعال ابتسامتها. ظلت على هذا الحال حتى أعلن آلان أن عروسه القادمة قد أنهكت، وأعادها للمنزل.

عندما وصلوا منزلها، سألها آلان: «هل أنت على ما يرام؟»

وقتها أومأت بيج وابتسمت مؤكدة أنها بخير، وقالت: «مجرد أننى متعبة»

ماذا كان بإمكانها أن تقول؟ هكذا فكرت وهى تجلس فى حجرة نومها تحدق على نحو غائم فى الحائط المغطى بورقة تداخلت ألوانه البيضاء والقرنفلية.. أكانت تخبره أنها كادت تسلم نفسها لغريب مجهول الاسم على شاطىء تذروه الرياح؟ طوال وقت تبسمها لأقارب آلان، كانت تفكر فى الرجل، وتتساءل إذا ما كان قلبه قد إمتلأ بالألم مثل قلبها. أكان يعلن

قسوة القدر الذى جمعهما ثم فرق شملهما؟ أم أن كل ما فعله أن عاد إلى الملهى والتقط إمرأة أخرى ذهبت عن طيب خاطر لقضاء الليل معه، امرأة همس لها وأحتواها فى أحضانه، امرأة بادلها الحب مثلما فعل معها.

هذا هو السيناريو الأكثر احتمالاً.. لقد كان يبحث عن مغامرة عندما وجدها. وقد كانت حمقاء بتصرفها مع هذا الغريب، ويجب أن تشعر بالإمتنان لأن الأمر لم يتعد قبلات قليلة فى ضوء القمر.

إذن لماذا يمتلىء قلبها بهذا الشوق، وتمتلىء أحلامها لهذا الحد برجل ذى عينين بلون البحر؟

«بيج!» رفعت بصرها وحدقت بحفلة، قالت والدتها وهى تقف بالباب: «سيحضر آلان عما قليل، ولم تكملى استعدادك»

ابتسمت ابتسامة مشرقة، وقالت: سأفعل يا أمى. وسترين»

ضحكت أمها، وقالت: «هذا ما اعتدت أن تقوليه منذ كنت طفلة صغيرة». وهرولت عبر الحجرة وضمت ابنتها فى عناق سريع قم مست عينيها برفق، وقالت: «سأفسد زينتى لو ظللت على هذه الحال وسأضطر لاعادة التزين مرة أخرى مما سيجعل والدك يستشيط غضباً». وتوقفت لدى الباب قائلة: سنفتقدك يا عزيزتى. كان شىء رائع أن تعيشى معنا خلال العام الماضى».

نظرت بيج لعينى والدتها فى المرآة، وقالت: «لقد كنت سعيدة هنا أيضاً»

شحبت ابتسامتها عندما تركت والدتها الحجرة وأوصدت الباب خلفها. إن والدتها تصور الأمر على أن عودتها من

نيويورك إلى كونكت كت منذ عام كانت بعفوية، ولكن الأمر لم يكن بهذه البساطة. لقد عادت للبيت دون مقدمات، ومذاق الحرية لا يزال لاذعاً فى فمها.

كانت قد استقلت سيارة أجرة من محطة السكك الحديدية فى جرينتسن إلى المنزل المكسو بالألواح الخشبية الرمادية الذى نشأت فيه. لاتزال تذكر كيف أخرجت مفتاح الباب، ثم فى تردد، تذكرت أنها لم تكن تعش هنا على مدى الأعوام الأربعة الأخيرة، منذ أن أكملت العشرين وأنهت مدرستها التجارية. وببطء أعادت المفتاح إلى حقيبة يدها ورنت جرس الباب.

فتحت جانيت جارونر الباب. إرتسمت على وجهها مفاجأة سعيدة تحولت إلى إهتمام قلق عندما رأت ملامح إبنتها الشاحبة. ولكنها تصرفت كما لو أن حضور بيج لم يكن سوى فرحة غير متوقعة، فجردتها من معطفها سريعاً وذهبت بها إلى المطبخ حيث أعدت مكاناً بمائدة خشب البلوط العتيقة أمام المصطلى. وأخذت تثرثر مع ابنتها لتسرى عنها. عاد والدها من المكتب فى وقت متأخر. فوجئت بيج بأنه يبدو كأنه لاحظ وجودها بالكاد.

رفعت والدتها حاجبيها محذره من إلقائه أية أسئلة على إبنتها الوحيدة، وقالت: «لقد جاءت بيج فى زيارة».

ولكن بدا والدها غارقاً فى أفكاره الخاص بدرجة تمنعه من عمل أى شىء سوى التمتمه بكلمات قليلة.

قال: «هذا رائع» ثم ذهب لحجرته وتركهما بمفردهما.

سألت بيج: «هل هناك شىء على غير مايرام مع والدى؟»

قالت والدتها بتؤوه: «لا شىء غير معتاد: أنت تعرفينه..

هناك خطة تملك عليه تفكيره فى أن يصبح مليونيراً فجأة».

هزت بيج رأسها، وقالت: «والدى البائس. ماذا حدث آخر مرة؟ مناجم ذهب أم شىء آخر؟»

ابتسمت السيدة جارونر بضجر، وقالت: «شىء آخر. لا أفهم مطلقاً كيف أن الرجل المسئول عن الأمور المالية لمؤسسة كبيرة مثل مؤسسة فولر تكون ميزانيته الخاصة بهذا السوء». وتنهدت قائلة: «بعد الكارثة الأخيرة جعلته يعدنى بألا يمس مدخراتنا مرة أخرى».

ابتسمت بيج، وقالت: «هل لا يزال يقول: (لا مغامرة يعنى لا ربح)؟»

ضحكت والدتها قائلة: «نعم. ولقد قلت له أن هذا صحيح طالما أن بإستطاعته تعويض مايخسره من النقود فى مغامرته. دعيه يبدد حتى أموال سجائره لو كان ذلك يسعده. إنه رجل طيب ياعزيزتى ولكنه يرى أننا نحتاج المزيد.. ويرى أنه أقل من رجل، بطريقة ما، لأنه لا يستطيع أن يحضر لنا القمر.

أقصد أن الأمر يختلف عما لو كان يشرب أو لا يحبنى..»

إرتفع حاجباها عندما تغضن وجه بيج فجأة، وسألتها: «حبيبتى، ما هذا؟»

وقالت لها بيج، ليس كل شىء، فقد كان الأمر لا يزال حديثاً جداً ومؤلماً جداً. ولكنها حكت لوالدتها مايكفى.. أخبرتها كيف قابلت شخصاً، وظنت أنها تعيش فى الحب، واستسلمت لعواطفها البكر لتجد خيبة الأمل بدلاً من السعادة.. بسبب علاقة قصيرة فقدت سعادتها ورغبتها.

مست والدتها يدها قائلة: «ماذا فعل؟»

«لقد نفض يده من علاقتنا فجأة سعياً وراء ثروة إحدى الأرامل»

أحاطتها والدتها بذراعيها، وقالت بقسوة: «إنس كل ما يتعلق به.. رجل كهذا..» ونظرت لها جانيت جارونر للحظة طويلة ثم ابتسمت، وقالت: «لدى فكرة رائعة» ثم القت بالاقتراح الذى قدر له أن يغير حياة بيج: «لماذا لا تعودين إلى هنا لفترة؟ يمكنك أن تسافرى إلى المدينة، إذا كنت تصرين على الاحتفاظ بوظيفتك».

«أو أبحث عن غيرها هنا فى جرينتش» قالتها بيج بسرعة، وضحكت هى وأمها فى آن واحد وأضافت بيج والدموع تترقرق فى عينيها: «كنت أتمنى أن تطلبى منى البقاء»

رتبت أمها على يدها قائلة: «هذا بيتك يا بيج. بالطبع نحن نريدك أن تبقى. وصدقينى.. ستضعين كل ذلك وراء ظهرك».

ولقد حدث.. هكذا فكرت بيج وهى تحدق بنظرات جامدة فى المرآة المعلقة على الجدار مقابل فراشها. فى البداية جاءت الوظيفة فى متجر ماى ووك. ثم بدأ والدها يلعب دور كيوبيد فيدعو ابن مديرة للعشاء فى المنزل ويحثها على قبول دعوات آلان، خالطاً ما بين مناسبات العمل والمناسبات الاجتماعية لكى تكون فى صحبة آلان حتى عندما لا يكون بينهما إتفاق على اللقاء».

ولكنها لم تحبه.. لا يوجد على الاطلاق من يكره آلان فولر بنظراته وسحره. ولو أنها لم تنفعل بأى ومضات من ذلك عندما يقابلها.. حسناً، كان هذا أفضل ما يمكن، أليس كذلك؟ إن

التوافق والاحترام هما التربة التى ينمو فيها الحب.. والرغبة؟.. إن الرغبة شىء يخص الأفلام والروايات. إنها شىء يحظى بتقدير مبالغ فيه، وما جربته منها يكفيها ليدوم طيلة حياتها.

فنذ ليلتين.. تصرفت كأنها.. كأنها إمرأة خليعة مع رجل ربما قد إختفى فى أستار الليل دون عودة.

أحست بالامتنان للسماء وهى تمشط شعرها الأشقر فى غضب. على الأقل لن تضطر للقلق بشأن رؤية هذا الرجل مرة أخرى. وأما كل الأحاسيس التى أطلقت لها العنان... فسوف تتعلم كيف تشعر بها، وبأكثر منها، مع آلان. سيكون زوجها ويجب أن تتعلم أنها تريد قبلاته وأحضانه.

سمعت طرقة خفيفة على الباب. جاءت صوت والدتها فى لهجه مشرقة: «آلان هنا. جاهزة يا عزيزتى»

أخذت بيج نفساً عميقاً، وقالت: «نعم جاهزة» وهمست بنفسها: «أخيراً جاهزة.»

كانت (البروفة) ستقام مثل حفل الزفاف فى منزل فولر. إعترضت والدتها فى البداية، وقالت بأن عائلة العروس هى التى يجب أن تقيم حفل الزفاف، ولكن والدة آلان كانت مصرة بشدة. حث آلان بيج على مسايرة خطط والدته. قال فى ابتسامة ساخرة: «من الأفضل مسايرة أمى عندما يستحوذ على تفكيرها هاجس لا سبيل للتخلص منه».

ولكن، فى النهاية، كان والد بيج هو الذى حسم الأمر.

قال: «دعى آل فولر يتكفلون بكل شىء، فهم أصحاب المال» نظرت له بيج فى دهشة فابتسم لها ابتسامة سريعة خففت بالكاد من جفاف كلماته، وأضاف: «كل ما أقصده أن من الحماقة أن نتجادل» وفى النهاية، وافقت بيج

ووالدتها.

والآن، وهى تجلس فى حجرة الجلوس المثيرة للاعجاب بمنزل آل فولر وتحدق فى الحشد المتزاحم، أحست بيج بالسرور لأنها ــ هى وأمها ــ قد وافقتا. بدا كأن نصف سكان العالم قد حضروا.. أو على الأقل نصف سكان كونكت كت ونيويورك»

همست لوالدتها: «إذا كان آل فولر قد دعوا كل هؤلاء الناس لبروفة الحفل فتخيلى عدد من سيحضرون الزفاف غداً. لا أظننى أعرف عشرة وجوه من الموجودين»

«لا تقلقى يا عزيزتى. فقط ابتسمى وقولى (شكراً) و(لا، شكراً) فى المواضع المناسبة»

ضحكت بيج، وقالت: «لن أدع آلان يغيب عن نظرى، بمجرد أن يظهر»

«يظهر، حقاً.. أين ذهب؟»

«المطار. لقد سمعت بوصول البعض فى اللحظات الأخيرة، وقد سعد بهم آلان لدرجة أن قرر الذهاب لإحضارهم بنفسه».

«ربما الأخ الغامض»

هزت بيج كتفيها بلا مبالاة، وقالت: «ربما.. صدقينى، كل ما أعرفه أننى قد تُركت هنا كى أحمى الحصن.. سيتكفل آلان بـ... أوه، يا إلهى»

كانت كلماتها الأخيرة همسة مكبوتة، استدارت لها والدتها فى دهشة

«بيج ماذا حدث؟ أنت شاحبة كورقة بيضاء»

«أنا.. لا شىء لا شىء. فقط أنا..»

وجدت بيج نفسها تتلعثم وتنطق بكلمات بلا معنى. لكنها حدقت عبر الحجرة المزدحمة وهى تشعر بأنها معجزة ان استطاعت الكلام أساساً كان هناك.. الغريب، الرجل الذى تركته يبادلها الحب منذ ليلتين.. كان هناك، ضيف فى منزل فولر، ضيف فى بروفه حفل زفافها. لم يرها بعد، كان يقف بالطرف البعيد من الحجرة، وحده، ممسكاً بكأس فى يده. راقبت شخصاً يقف بجانبه.. امرأة، شابه، جميلة وقد أمالت وجهها باسمة له. أومأ، وقال شيئاً، ولكن لم يبتسم. تكلمت المرأة ثانية، قالت شيئاً آخر، ولكن بدا أنه لا يكاد ينصت.

«بيج، أرجوك أجيبينى.. ماذا حدث؟»

بصعوبة، صرفت عن نظرتها المحدقة وأتجهت لوالدتها، وقالت بحذر: «أنا.. لا شىء. فقط ظننت أننى رأيت زميل دراسة، هذا كل ما فى الأمر. شخص لم.. لم أحلم بأن أره مرة أخرى». وهمست لنفسها بغلظة.. ابتسمى. ولكن عندما حاولت أحست بشفتيها ملتصقتين بأسنانها.

وضعت أمها يدها على قلبها، وقالت: «لقد روعتيننى تماماً يا عزيزتى. ظننت أنك رأيت شبحاً.. حسناً، لماذا لا تتجولى بين المدعوين وترحبى بهم؟» وضحكت قائلة: «سأذهب لأرى السيدة فولر. ربما يكون ضيوفنا القلائل قد وصلوا، وعسى ألا نشعر بأن ضيوفهم يفوقوننا عدداً»..

«نعم، حسناً.. سأراك خلال دقائق يا أمى»

حادثت نفسها.. كان ينبغى أن أفكر فى عذر للمغادرة.. ولكن هذا سيؤجل فقط من القدر المحتوم. إذا كان هنا الليلة فمن المحتمل أن يحضر الزفاف غداً. ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟ ماذا لو ذهبت إليه ببساطة واعتذرت عن سلوكها الزرى؟ ماذا

لو توسلت له كى يصمت، كى يفهم..

لقد رآها. توقف قلب بيج عن النبض. تلاشى كل ما حولها عندما التقت عيونها. إكفهر وجهه وزم شفتيه. كانت المرأة الملاصقة له لا تزال تتحدث، وتبتسم، وفجأة دفع إليه بكأسه ودار خلفها بسرعة. كانت بيج على يقين أنه سيقصد إليها مباشرة. كانت تعرف أنه لن يقبل أعذارها ولا توسلاتها من أجل الفهم.

ولكنه لن يثير الأمر أمام كل هذا الحشد. لا، لن يفعل.. راقبته وهو يندفع بسرعة خلال الزحام ويصدم كتفه بفظاظة كل من لا يفسح له الطريق بسرعة كافية. كانت عيناه مستقرتان على وجهها، وكأنها بحيرتان جامدتان من النيران الثلجية. إسترجعت صورته الأولى التى رأته عليها، وبدأت نبضاتها تتسارع. الليلة، ليست لدى الأسد أية نية فى إنتظارها إقتراب أنثى النو الوحشية. إنه القناص.. وهى فريسته.

كيف تخيلت أنه لن يثير الأمر أمام كل الحاضرين؟ إنه قارد على كل شىء. وثب قلبها إلى حلقها واستدارت فى تهور وانطلقت تعدو. دوت خلفها ضحكات عصبية وهى تنطلق مخلفة الأوجه الذاهله. وللحظة، رأت أنه كيف صار من المستحيل أن تستطيع تفسير ذلك لآلان. ولكنها رأت الوحشية فى عينى الرجل الغريب، وكل ما همها فى هذه اللحظة أن تهرب منه. فرت من حجرة الجلوس إلى ظلام المنزل محاولة تذكر طريق الباب الخلفى.

لحق بها وقد كادت تمر من البابْ. حاولت صفق الباب فى وجهه، ولكنه كان قوياً جداً بالنسبة لها.

طاش الباب مرتداً من كتفه، وأصبح الرجل خلفها، ومد

يديه ليقبض على كتفيها. وتشبثت يداه بلحمها كأنها مخلبين.

شهقت قائلة: «دعنى» وتلوت محاولة التخلص منه.

«اللعنة عليك...»

وركل الباب بقدمه فأوصده، وقال بصوت خفيض ملىء بالغضب: «هل ظننت حقاً أنك تستطيعين الهرب منى؟»

«قلت لك دعنى. كيف تجرؤ على معاملتى بهذا الأسلوب؟ أنا..»

«اصمتى» وزلق ذراعه حول كتفيها.

وقاومته عندما بدأ يجذبها بعيداً عن المنزل، وسألته: «أين ستأخذنى؟ أنا..»

قال بوجه متجهم: «سآخذك إلى المنزل الصيفى؟ كان يكاد ينتزع قدميها المتثاقلتين من فوق الأرض.

وأضاف: «لا أريد أن أتعرض هنا للنظرات اللعينة من الجميع».

«ألا ترى أنك تأخرت قليلاً فى قلقك بشأن ذلك؟ منذ دقائق قليلة..»

«أنت التى جريت» وجذبها صاعداً الدرجات الخشبية المؤدية للمنزل الصيفى المقام على مبعده فى مؤخرة مرج آل فولر.

«بالطبع جريت. كنت تبدو كأنك.. كأنك...»

قبض على كتفيها بخشونة جعلتها تشهق، وجدق فيها مدمدماً: «كأنى ماذا؟»

ابتلعت بيج ريقها الجاف. كانت خطوط الأنوار الملونة تمتد بين الأشجار المتناثرة فى المرج لأجل الحفل، وأكتسى وجهه بنقاط ضوئية حمراء وزرقاء وصفراء.

وأخيراً همست : « كأنك .. كأنك تريد أن تقتلنى »

لوى شفتيه قائلاً : « صدقينى ، فكرت فى ذلك فى تلك الليلة ، عندما أقنعت نفسى أخيراً بأنك قد ذهبت .. »

« أنظر ، بشأن .. بشأن تلك الليلة .. »

لاحت فى عينيه نظرة عابسة ، وقال : « هل أمضيت وقتاً طيباً فى لعبك معى يا جولييت ؟ »

تدفقت الدماء إلى وجنتيها ، وقالت مستهجنة بصوت كفحيح الأفعى : « أنت رائع فى حديثك عن الألعاب . لم أكن أنا من بدأت الأمور . كنت أنت .. »

إختنقت الكلمات فى حلقها عندما هزها ، وقال : « لقد انتظرت ساعة على ذلك الشاطىء الذى نبذته السماء . اللعنة عليك ! وعندئذ عدت إلى الملهى .. ولم تكونى هناك » انزلقت يداه من على كتفيها وتسلل الضجر إلى صوته ، وأضاف : « لم أستطع حتى أن أسأل أى أحد أين ذهبت .. الجحيم ، أنا حتى لم أعرف إسمك » .

أجرت بيج لسانها على شفتيها ، وهمست : « أنا .. أنا آسفة لم أقصد أن ... »

أجفلت عندما إندفع تجاهها قائلاً : « الم تقصدى ؟ إذن بحق الجحيم لأى شىء كان كل ما حدث يا جولييت ؟ » قبض على ذراعيها وسدد نظراته إلى عينيها ، وأضاف : « أم أن هذا مجرد شىء تفعلينه عندما تذهبين للحفلات ؟ تشربين وتأكلين وترقصين .. ثم تخرجين مع رجل ما وتكادى أن تفقديه عقله رغبة فيك و... »

« لا تتطاول علىّ . ليس لك حق »

« أليس لى حق ؟ لقد جعلتنى إنساناً أحمق أنت ... »

« لقد حاولت أن أخبرك بأن لم يكن شيئاً صائباً ، ولكنك لم تنصت . لقد ظللت أقول أننى يجب أن أعود إلى خطيبى ، ولكنك أنت .. أنت .. »

أصابها الرعب عندما أحست بدموعها تملأ عينيها ثم تنحدر على وجنتيها . كان شيئاً سيئاً إلى حد بعيد أن استغفلها فى تلك الليلة . ويجب ألا تدع هذا الرجل يوصلها إلى حد البكاء . وبسرعة ، مسحت أهدابها بظهر يدها وأشاحت بوجهها بعيداً .

وهمست : « دعنى أذهب »

« بحق الجحيم إلى أين تفكرين فى الذهاب ؟ »

« دعنى أرجوك » .

تحركت يداه برقة إلى كتفيها ، وأدار جسدها الجامد المتصلب .

قال بغلظه : « لا تبك يا جولييت الصغيرة » .

رفعت بيج وجهها إليه ، وكانت أهدابها مبللة بالدموع المتلألئة . وفى لعنات هامسة جذبها بين ذراعيه وقبلها ، كانت قبلة أخبرتها ، بوضوح أكثر من الكلمات ، أن عذابه على مدى الأيام الماضية كان ساحقاً كعذابها . كانت قبلة تضم الرغبة والحب ، الغضب والرقة . ولكن وراء هذا كله ... كانت على وعى أن قبلة واحدة لم ولن تكفى .

غمغم قبالة شفتيها : « جولييت » .. لماذا لم تعودى لى ؟

إنزلقت ذراعاها حول عنقه ، وهمست : « لم أستطع .. ولا أستطيع أن أبقى معك الآن »

اشتدت ذراعاه حولها ، ودمدم : « كفى عن هذا القول . لن أدعك تذهبين هذه المرة » .

همست : « بل يجب عليك . أرجوك . إن خطيبى .. »

ضحك ملء فيه، وقال: «هل ستتحدثين عنه مرة أخرى؟ أى نوع من الرجال خطيبك هذا؟ أنت لا تريدينه يا جولييت.. أنت تعرفين ذلك»

أغلقت بيج عينيها وغمغمت: «لا.. لا. ليس بهذا الأسلوب. ولكن..»

مست شفتاه وجنتيها، وهمس: «إنه لا يجعلك تشعرين بمثل هذا يا جولييت إبق معى لأريك كيف يمكن أن نقضى وقتنا».

«لا أستطيع، ألا تفهم؟ لقد تأخرنا كثيراً، وإن خطيبى...»

تراجع وسدد نظراته إليها قائلاً: «بماذا تشعرين فى صحبته؟»

التهبت وجنتا بيج، وقالت: «أنا.. أنا..»

رفع يدها اليسرى إلى شفتيه، وقال: «مثل هذه الماسة التى ترتدينها؟ هل تُحبَّس النار داخل الحجر البارد؟»

«يجب ألا تقول ذلك. إنه..»

«أنا فقط أخبرك بما نعرفه نحن الاثنان» وأنزلقت يداه عن كتفها. تراقصت أنوار الحفلة على خاتم الياقوت الذى يرتديه، ورأته يستله من أصبعه، وقال: «أعطنى يدك» مسحت عيناها وجهه، وببطء، فعلت ما طلبه أخذ يدها فى يده ووضع الخاتم فى كفها، وقال بتؤوه: «الرجل الذى يعطيك ماسة لا يريدك فى الحقيقة يا جولييت»

حدقت بيج فى الخاتم. توهج الياقوت فى كفها كأن قطعة فحم متقدة. كان إطاره العتيق رائع كثير النقوش. رفعت إليه بصرها وهزت رأسها.

«أنا.. أنا لا أفهم»

قال بتؤوه: «أنت مثل الياقوت الملتهب فى هذا الخاتم» وأحاط وجهها بيديه وأماله لأعلى.. وتابع: «رائعة ثمينة، تتقدين بالعاطفة. «أغلقت عينيها عندما أطبق فمه على فمها. عندما رفع رأسه كانت عيناه غامضتين، وقال: «إحتفظى بالخاتم. إنظرى له الليلة، إلى البريق الملتهب الذهبى يتوهج بداخله. وفكرى فىّ وكيف سيكون الأمر عندما نكون معاً. وأطبق يده على يدها، وأحست بحرارة الياقوت تلفح كفها، وقال: «إحتضنى اللهب فى أحلامك يا جولييت، وغداً، عندما أراك مرة أخرى..»

«غداً» كررتها كما لو كان يتحدث بلغة مجهولة.

«الزفاف. ستكونين هناك، أليس كذلك؟»

«أنا.. نعم، نعم. سأكون هناك»

ابتسم وقال: «سنمضى اليوم معاً».. سنفعل كل ما يفعله الناس عندما يلتقون لأول مرة. سنتحدث ونمزح..»

غداً!

قالت بيج بيأس: «أرجوك. يجب أن تنصت لى. أنا..»

أحكم ذراعيه حولها، وضمها إليه قائلاً: «إذا قلت (لا) فسأذهب بعيداً ولن ترينى مرة أخرى على الاطلاق». وأضاف بصوت هامس إزاء وجهها: «ولكنك لن تفعلى. لن تفعلى يا جولييت».

«أنت لا تفهم. غداً...»

سمعا صوت باب يُصفق، ثم صوت صفير يشق سكون الليل.

«هيه. هل أنتم هنا يا أولاد؟»

إلهى العزيز! إنه الآن. بدأ قلب بيج ينتفض، وقالت

بصوت كالفحيح : «يجب أن نخرج من هنا . أرجوك»

«بيج ؟ أين أنت يا حبيبتى ؟» .

«ألا تسمعى ؟ اللعنة .. هذا آلان . هذا خطيبى .. »

أظلمت عينا الرجل ، وضاقت ، وصارتا كأنهما رأس دبوس من نيران الكوبالت . قبضت يداه على كتفيها ، وأنشب فيها أصابعه حتى شهقت ألماً .

وهمست : «حاولت أن أخبرك . أنا .. »

أسكتتها نظرته . وقال بتؤوه : «لابد أن أقتلك . يا إلهى ، أريد أن أضع يدئ حول عنقك و... »

كانت هناك قعقعة أقدام تصعد الدرج ، وأنزلقت ذراع حول خصرها .

«هذه أنت يا حبيبتى» جحظت عينا بيج عندما رأت آلان يبتسم ويلقى بذراعه الأخرى ببساطة حول عنق الرجل الغريب ، وقال بسرور : «رائع . أرى أنكما قد التقيتما بالفعل . حسناً ، كوين . ما رأيك فيها ؟ ماذا سيقول أخى الأكبر عن عروستى الخجول ؟

الفصل الرابع

(أنت لم تتركى لى خياراً)

المفروض أن تكون أيام الزفاف فى كمال ما يحدث فى الروايات : سماوات زرقاوات ، شمس مشرقة دون سحابة فى السماء . وهكذا بدأ هذا اليوم ، هذا ما رأته بيج وهى ترنو ببصرها من نافذة حجرة نومها . ومضت الأوراق القليلة الباقية على شجرة القيقب العتيقة بألوان ذهبية وقرمزية . فى صغرها ، كانت تهوى تسلق فروع الشجرة المنخفضة الملتفة وتقبع فى حضنها الورقى مختفية فى أمان عن كل العالم .

ليتها تستطيع ذلك الآن .. تتسلق شجرة القيقب وتضع ذراعيها حول الخشب الأجر والخشن وتختفى هناك حتى ينتهى هذا اليوم الرهيب . ولكنها لم تعد طفلة ، ولم يكن هناك مهرب . تنهدت بيج وأرتشفت الرشفة الأخيرة المرة من فنجان القهوة الباردة . الأمل الوحيد لديها الآن يتمثل فى القليل من رقة قلب آلان . لم يتصل بها بعد ، ولكنه سيفعل ... بعد أن يخبره كوين بكل شىء .

بطريقة ما ، مرت من مأزق الأمس ، خلال اللحظة المرعبة

www.elromancia.com

بالمنزل الصيفى. فقد غمغمت ببعض كلمات بلا معنى عن مفاجأتها بلقاء كوين أخيراً، وكانت تنتظر فى كل لحظة أن يكذبها. لكنه ظل صامتاً، يرقبها فى حده مرعبة، ثم تمتم ببعض جمل مهذبة مماثلة لما قالته. إبتسم آلان ثم عادوا جميعاً للمنزل، وكان آلان يسير سعيداً بينهما.

هبت والدة بيج لنجدتها عندما دخلوا حجرة الجلوس. قالت: «إن شعرك بحاجة لإصلاح تصفيفه» ودفعت بيج إلى حجرة التواليت بالدور السفلى. وبمجرد إغلاق الباب، إندفعت تسألها: «أى مكان على وجه الأرض كنت تنطلقين؟» حاولت بيج التمتمة مدعية عذراً، ولكن والدتها أوقفتها بإشارة من يدها، وقالت: «لقد تصرفت بطريقة غريبة تماماً يا بيج. وظللت أقول للجميع أنها مجرد عصبية اللحظات الأخيرة، ولكن.. هل أنت على ما يرام؟»

تذكرت بيج أن والدتها قد سألتها نفس السؤال مرات ومرات خلال الأيام القليلة الماضية.. وبالطبع كذبت مرة أخرى، وقالت نعم، إنها بخير. أى شىء آخر كان يمكن أن تقوله؟ فكرت فى ذلك وهى تحدق بعيون غائمة فى شجرة القيقب العتيقة. لم يكن بإستطاعتها أن تخبرها بالحقيقة... فتقول ــ بنفس هدوء حديثها ــ أن كوين ربما قد أخبر آلان بأن خطيبته كانت.. كانت...

أحدث فنجان قهوتها الفارغ دوياً وهى تضعه على المائدة. إنعكس شعاع ضئيل من ضوء الشمس على الماسة بأصبعها، خاتم آلان.. وقبضت يدها إلى صدرها. كان خاتم كوين الياقوتى الأحمر الدموى يمس جسدها دافئاً متدلياً من سلسلة ذهبية رقيقة. أى حماقة جعلتها تعلقه فى السلسلة وترتديه؟

وقع بصرها على الساعة المجاورة لفراشها، باق على الزفاف ساعات قلائل. لماذا لم يتصل بها آلان؟ لابد أن كوين قد أخبره. طوال ليلة أمس كانت مشتتة ما بين الرهبة وبين الترحيب إضطرارها للأعتراف بنفاقها، ولكن لم يحدث شىء. وكوين.. كوين يكمن فى خلفية الصورة بوجه يغطيه قناع من الظلام، ويراقبها...

«بيج» حدقت فى الباب وهو يُفتح «حان وقت أن ترتدى ثيابك يا عزيزتى»

«هل إتصل آلان يا أمى؟»

هزت جانيت جارونر رأسها، وقالت: «ليس من المفترض أن يفعل. اليس كذلك؟ ربما سوء حظ أو شىء ما فتحت خزانة الثياب، وبعناية، سحبت فستان زفاف بيج الطويل الذيل. وتندت قائلة: «أليس جميلاً؟»

راقبت بيج والدتها وهى تبسط الفستان على السرير. رأت أن الزركشات الجميلة الرقيقة اليدوية الصنع تبدو مثيرة للسخرية.

«أمى؟ لست أدرى.. ماذا تعرفين عن كوين فولر؟»

هزت أمها كتفيها بلا مبالاة، وقالت: «شقيق آلان».. لا أعرف الكثير، فقط ما قاله السيد فولر لوالدك. إنه يعيش مغترباً.. فى لندن على ما أظن. يبدو أنه يمثل خيبة أمل كبيرة لآل فولر. لقد رحل من هنا فى ظروف غامضة. لكنها ــ هو وآلان ــ لا يزالا ملتصقان.. لماذا تسألين؟»

إبتلعت بيج ريقها، وقالت: «لا سبب محدد فقط ظننت» وتثاقلت كلماتها ثم تابعت:

«أمى؟ ماذا.. ماذا لو حدث أى شىء ولم أتزوج

آلان ؟ »

ابتسمت والدتها وقالت بتؤوه : « لن يحدث أى شىء .

« فقد إفترضى .. ماذا لو غيرت رأى ؟ هل سيزعجك ذلك ؟ »

بعد لحظة سألتها والدتها : « هل غيرت رأيك ؟ »

هزت بيج رأسها ، وقالت : « مجرد .. مجرد سؤال »

إجتازت جانيت جارونر الحجرة ووضعت ذراعيها حول إبنتها ، وقالت : « بيج ، يا عزيزتى .. لكل عروس شكوك اللحظة الأخيرة » .

« أعرف ، ولكن ... »

تابعت عينا والدتها عينيها ، وسألتها بهدوء : « هل تريدين الحديث عن هذه الشكوك ؟ »

هزت بيج رأسها مرة أخرى ، وهمست : « لا »

قالت والدتها دون أن تترك عيناها عينى إبنتها : « هل يقول لك قلبك بأن هذا هو كل ما فى الأمر ؟ » تلألئت الدموع فى عينى بيج ، وقالت بإبتسامة سريعة : « أنت أم رائعة . هل حدث أن قلت لك ذلك من قبل ؟ » اغرورقت عينا جانيت جارونر أيضاً ، وضحكت قائلة : « ليس كثيراً » ثم قبلت وجنة بيج ، وقالت بلهجة مبتهجة : « والآن » دعينا نلبسك فستانك ، هل لنا أن نفعل ؟ الوقت يمر سريعاً »

رنت كلمات الأم فى عقل بيج وهى تقف وسط حجرة صغيرة بالدور العلوى فى منزل آل فولر .

فعلاً ، لقد مر الوقت سريعاً . ترامت إلى مسامعها الأصوات المبكرة لمهرجان الزفاف من ناحية الدرج الخلفى : همهمة الحديث بين متعهد الأطعمة ومعاونيه ، صلصلة الأوانى

الفضية ، نغمات خافتة من موسيقى فيفا لدى . فى أقل من ساعة سيمتلىء المنزل بالناس ، وستتحرك هى ببطء ، هابطة الدرج الرئيسى المزين بالورود ، فوق السجادة الطويلة الضيقة ذات اللونين القرنفلى والأبيض والتى تمتد فوق بساط الأوبوسون الجميل ، وبجوارها آلان .

ولكن قد لا يحدث أى شىء من هذا . فى أى لحظة سيُفتح الباب ويواجهها آلان .. آلان وكوين .. وها هى بمفردها ومستعدة .. لن يكون هناك متفرجين على عارها .

لقد صرفت أمها بقولها : « إذهبى لترى ضيوفنا . أنت تعرفين السيدة فولر .. ستبتلعهم أحياء لو لم تكونى هناك » .

بدا والدها متحمساً لتركها ، وقال : « أنت تبدين رائعة » قال تعليقه بطريقة كئيبة وثقيلة لدرجة رسمت على وجه بيج الابتسامة الوحيدة على مدى اليوم .

نظرت بيج إلى الساعة وأحست بلحظة رعب . هل يمكن أن يكون كوين قد غير رأيه ؟ هل قرر ألا يخبر آلان بأى شىء ؟ هل تبقى أقل من الساعة وتصبح زوجة لرجل لا تحبه ، رجل لا تستحقه ؟ لا ، هذا مستحيل . لقد رأت النظرة التى ارتسمت على وجه كوين . لقد كرهها وأحب أخاه ، و...

فتح الباب وصفق بشدة هل هو آلان ؟ ... استدارت بيج إلى الباب خافقة القلب . أحست بالدماء تهرب من وجهها . لم يكن آلان .. كان كوين . وبمفرده .

همست : « ماذا تفعل هنا ؟ أين آلان ؟ »

« إنفرجت شفتاه كاشفة عن أسنانه ، وقال بهدوء : « يا له من أسلوب ساحر لتحية شقيق زوجك » كانت عيناه تمسحان جسدها ، وقال : « أنت تبدين جميلة حلوة يا جولييت . شديدة

الصفاء والبراءة».

أجست بيج بالحرارة تلتهب فى وجهها.. هل هناك طريق للهرب من نظرة الاشمئزاز فى عينيه، لابد أن تجد طريقاً. غير أنها لم تستطع سوى أن تنصب قامتها وتدفع نفسها لأن تلاقى نظرته دون إجفال.

«هل أرسلك آلان؟ هل هو.. هل هو..»

غربت الابتسامة من وجهه، وقال: «هو لا يعرف أننى هنا. إنه لا يعرف أى شىء يا بيج. أنت خدعت أخى الأصغر».

«تقصد... أنك لم تخبره؟ لكن..»

قال كوين بصوت أجش: «لن يصدقنى آلان إذا أخبرته أنك مومس بابل.. يعلم الله، أننى حاولت. لقد أخذته لتناول بعض الشراب بعد إنصراف الجميع بالأمس. لقد بالغت وأخبرته أن يرتكب خطأ غير أنه ضحك ولطمنى على ظهرى. وقال أنه توقع أن أحاول إقناعه بالعدول عن الزواج. وعندما قلت أننى لا أظنك ملائمة له، ضحك مرة أخرى وقال أننى فقط أشعر بالغيرة من حظه الطيب»، إكفهر وجهه وخفت صوته حتى صار همساً، وأضاف: «أنت لا تعرفين كم لزمنى من الجهد كى أمتنع عن إخباره بأن (حظه) هذا كان يمكن لأى فرد أن يناله فى المكان والوقت الملائمين».

أصابها الاتهام فى صميم قلبها، وهمست: «غير صحيح.. ما فعلته معك..»

لوى شفتيه إحتقاراً، وقال: «تذكرى أننى كنت هنالك. هل كان جلدك يؤلمك وكنت بحاجة لمن يحكه لك؟ أهذا كل ما فى الأمر؟» شحب وجه بيج وضحك كوين متابعاً:

«ما الأمر يا طفلتى؟ اهذا شىء بذىء جداً لأذنك الرقيقة؟»

«لا يمكنك أن تتحدث لى بمثل هذا. أنت..»

تحرك بإتجاهها فى تصميم حاد لدرجة أنها تراجعت. ولكن لم يكن هناك مهرب،! إصطدم كتفاها بالحائط فى نفس اللحظة اللحظة التى أطبقت فيها يداه ذراعيها.

«ما الذى أوصلك لهذا يا بيج؟ هل هى أسابيع من تمثيل البراءة على آلان؟ أظن أن ذلك لم يكن صعباً.. إنه لم يثيرك، أليس كذلك؟ لقد قلت لى ذلك بصراحة»

ترقرقت الدموع فى عينيها، وقالت: «كوين» أرجوك، لم يكن الأمر بهذه الصورة...»

جذبها إليه قائلاً: «أكنت أنا من أثارك يا بيج؟ أم إستحوذت عليك فكرة أن يأخذك رجل غريب؟»

«أرجوك يا كوين، أتوسل إليك...»

حدق فيها للحظة طويلة، ثم دفعها عنه. وتمتم: «يا إلهى، أنت بارعة فيما تفعلين. لا عجب أن سقط آلان تحت تأثيرك، ذاك اللقيط التعس»

هزت بيج رأسها، وقالت: «لم أكذب على آلان البته. لقد أخبرته..»

هز كوين رأسه غير مصدق، وقال «ذاك الهراء المضلل الذى اضطررت للإصغاء له ليلة أمس.. أنت فهمت آلان سريعاً، وأصبحت منه فى ثقة الجحيم يا جولييت. كل ما كان عليك أن مثلت الخجل وطرفت هذه الأهداب الطويلة وقلت (لا) كلما حاول أن يمد يده إليك، وبذلك كان عرض الزواج قد ضُمن تقريباً».

«لم أكن كذلك يا كوين. لقد أخبرت آلان بأننى

لا أحبه »

ضحك ساخراً، وقال: «يا لها من لمسة رائعة.. لقد كاد يذوب خجلاً عندما أخبرنى أنه كان يزمع تعليمك الحب». ثنى رأسه تجاهها، وكانت الكراهية تملأ عينيه. وزمجر قائلاً: «أراهن أنك تستطيعين تأليف كتاب عن الحب». «لوى شفتيه ناطقاً الكلمة الأخيرة بنغمة داعرة. وأضاف «لابد أن آلان كان هبه من السماء. فرصتك فى زوج غنى.. وعقد تأمين لوالدك، كل ذلك فى ضربة واحدة محكمة».

تأرجحت نظرتها المحدقة على وجهه، وقالت: «عن أى شىء تتحدث؟ ما دخل والدى بهذا؟»

«لا تجربى هذه التمثيلية معى يا طفلتى. لن تجدى. أنا أعرف كل شىء».

«وأنا لا أعرف ما تتحدث عنه يا كوين. والدى...»

«لابد أن أعترف، أنت ورجلك العجوز كنتما ماهرين. لم يشُك آلان مطلقاً أنكما تستغفلانه». تركها كوين ومشى ببطء عبر الحجرة. وقال: «يا إلهى، لقد حدثنى عن مدى الأمتنان الذى أحسه تجاه والدك. وكيف كان بحاجة إلى صهر عندما بدأت أنت وهو تخرجان معاً، وكيف لجأ إلى والدك».

«إن والدى يحب آلان.. إنه..»

«دار على عقبيه، وواجهها قائلاً: «لا تكذبى علىّ أيتها اللعينة». إلتقطت أنفاسها بسرعة عندما تحرك تجاهها ببطء مرة أخرى. وقال: «فكرة من هذه يا جولييت؟ فكرتك أم فكرة أبيك؟»

«أنا لا أعرف ما تتحدث عنه» كان فمها جافاً من الخوف.

«اللعنة، لكنه كان ماهراً. القاك والدك فى طريق آلان،

ولعبت بجد لتنجحى، وأنزلق آلان فى الشرك تدريجياً». ومد يده فجأة وقبض على كتفيها، وتابع: «وعندما وقع فى الفخ، تم حل مشكلتين ببراعة لفريق الأب جارونر وابنته».

«أنت مجنون يا كوين. أريدك أن تخرج من هذه الحجرة. أنا..»

تجاهلها، وتابع: «المشكلة الأولى: ماذا تفعل مع إبنه أقامت بعيداً لفترة طويلة بعض الشىء؟ المشكلة الثانية: ماذا تفعل عندما تغوص يدك فى خزانة النقود حتى مرفقك؟ الحل؟ الأمر بسيط. تغلف بضاعتك التى فقدت بريقها بغطاء أنيق من الطلاء وتزوجها للرجل الذى كنت تسرقه. من الذى سيطالب بتوقيع عقوبات جنائية على أحد أقاربه؟»

حدقت فيه بيج كما لو كان يتحدث بلغة بربرية، وقالت: «عقوبات جنائية؟ عن أى شىء تتحدث؟»

قال بلهجة حادة: «أنا أتحدث عن والدك. إنه لص حلت عليه لعنة السماء».

قالت غير مصدقة: «أبى؟... انظر، قل ما تشاء عنى يا كوين. أنا أعرف ما تظنه بى ولا أستطيع.. لا أستطيع أن الومك. ولكن والدى؟ لقد كان والدى كبير المحاسبين بمؤسسة فولر لسنوات. إنه...»

«لقد كان يسرق من مؤسسة فولر لسنوات»

ردت بسرعة: «أنت كاذب» كان صوتها حاداً وغاضباً، وأضافت: «أنت لا تعرف أى شىء عنه. ولا تعرف أى شىء عن مؤسسة فولر أيضاً. لقد هربت من عائلتك ومن مسئولياتك..» إشتدت قبضة يديه عليها حتى أخذت أنفاسها صوت الفحيح بين أسنانها. التوت محاولة الفكاك منه، وقالت:

«أنت تؤذينى. دعنى. اللعنة، دعنى وإلا فسوف..»

رفع يديه عنها بحذر زائد، وقال: «وإلا ماذا؟» وضحك قائلاً: ستطلبين النجدة؟ هل سترسلين فى طلب الشرطة؟ سيكون شيئاً مضحكاً، أليس كذلك؟ إبنه المختلس والشرطة».

اجتذبت بيج نفساً قصيراً قائلة: «مختلس؟»

«ما الأمر يا بيج؟ هل ترين أن الكلمة قاسية جداً؟ هذا ما كان يفعله. الجحيم، ربما تعرفين القصة أفضل منى. خذ قليلاً من ذلك الحساب، وقليلاً من تلك.. الحسابات المعلقة، وبالطبع، بأسلوب لا يشك فيه أى فرد على الإطلاق. من سيمسك بك، وخاصة إذا كنت أنت الرجل المسئول؟»

قالت بسرعة: «هذا مستحيل. لو فعل ذلك أى إنسان فلابد أن يعرف آلان ووالده. من أنت متى تأتى من لا مكان وتدعى هذه المزاعم؟»

تلاشت ابتسامة كوين الساخرة. وفجأة بدت الحجرة باردة.

«أنا أمتلك مؤسسة إستشارية يا بيج. ألم يخبرك آلان؟ مؤسسة كومبيوتر، أجهزة وبرامج.. وتخصصى هو عمل النظم المحاسبية لمؤسسات مثل مؤسسة فولر» وعادت الابتسامة مرة أخرى، سريعة وباردة. وتابع: «عندما سمع والدى بعودتى لحضور زفاف آلان، رمى لى بعظمه. قال: (لدى ما يمكنك عمله لقسم السجلات بمؤسستنا). ربما لم يتوقع الكثير» وخفت صوته حتى صار همساً، وتابع: «لكننى فعلت الكثير. لقد أمضيت الأيام القلائل الماضية أضع برنامج كومبيوتر ينقل مؤسسة فولر من العصور المظلمة إلى القرن الواحد والعشرين».

حدقت فيه بيج. لم تفهم أيا مما قاله، وقالت: «ولكن.. ولكن قال آلان أنك ربما لا تصل حتى..»

«كان آلان شديد الإنشغال بكونه عريساً لدرجة أنه لم يعرف ما يحدث. لقد جئت بالطائرة عشية الحفلة التنكرية الراقصة. بالطبع لم يرنى فى تلك الليلة. ولم يرنى أى إنسان، وشكراً على تعذيبك المحدود لرغباتى على الشاطىء».

تخضب وجهها بالدماء، وقالت: «لم يكن الأمر كذلك يا كوين».

تجاهل مقاطعتها، وأكمل كلامه: «منذ ذلك الحين» أمضيت هذه الأيام أضع برنامج الكومبيوتر. واكتشفت خطة والدك أول أمس» ارتسمت على فمه ابتسامة بسيطة وهو يقول: «هل تريدين سماع نكته حقيقية؟. عندما أدركت أن.. والد بيج جارونر.. حاولت فيما يشبه الجنون أن أجد طريقة لدفن ما وجدته. لم أرد أن يعلم آلان وعروسه الصغيرة الجميلة أن والدها مختلس.. ليس قبل الزفاف مباشرة» وحدق فيها قائلاً: «إذا كنت لا تصدقيننى، فأبحثى عن والدك، وأساليه عما يسمى حساب ميلينك، وانظرى لرد فعله».

كان كثيراً جداً. لابد أن على خطأ بشأن والدها مثلما هو على خطأ بشأنها. لابد أن يكون على خطأ.. والدها لص؟ مستحيل. لا يمكن أن يسرق.

(لا مغامرة يعنى لا ربح). إقشعر جلدها كما لو كانت الأشباح التى تمخضت عنها إتهامات كوين تحتك بها. لقد تصادف أكثر من مرة أن استمعت فى طفولتها لشجار بين والديها فى أوقات متأخرة من الليل. كان ذلك دائماً لنفس السبب.. (تصميم والدها على عمل كبير مربح على نحو مفاجىء وسريع). كانت والدتها تقول إنه يطارد ذهباً وهمياً، ثم ينتهى الأمر بأن يعم الأسرة صمت بارد لأيام.

ماذا لو خرجت خطط والدها من يده؟ ماذا لو أن غرابة الأطوار أصبحت إدماناً؟ تتابعت ذكريات الشهور الأخيرة تتداعى خلال عقل بيج. فكرت فى الطريقة التى القاها بها والدها فى طريق آلان. لم يترك إدعاء إلا وأتى به. ثم كانت هناك التعليقات البغيضة المبهمة التى كان يلقيها خلال الأسابيع الماضية عن آل فولر وأموالهم وتوقفت لتتذكر أنه كان يتصرف بطريقة غريبة منذ عودتها للمنزل.

(كل ما فى الأمر أننى أردت الأفضل لنا جميعاً).

ألم يكن هذا ما قاله والدها فى تلك الليلة؟ ووقتها ضحكت وأغاظته بالسخرية من إختياره للكلمات. هل كانت زلة لسان؟ هل كان تعبيراً عن إرتياحه إذ سيرتبط مع آل فولر، ويحتمى بالزواج من حمل العار على الملأ، وربما ما هو أسوأ من ذلك؟

عرفت فجأة أنه من المستحيل البعيد أن يكذب كوين. ما قاله لها كان الحقيقة. ملأها الرعب. والدها مختلس. لص.

قالت بصوت يائس: «ماذا تريدنى أن أفعل؟ سأفعل أى شىء تقوله يا كوين. فقط عدنى ألا تفضح والدى.»

عبست عيناه، وقال بتؤوه: «أوه. لقد إنتهت اللعبة. لا مزيد من الإدعاء بأنك لا تعرفين ما أتحدث عنه يا بيج» لا فائدة من الإنكار. أجابه صمتها. أومأ كوين، وقال: «حسنا»، لقد انتهت اللعبة لعبة والدك الحقيرة. سأنظر فى كتمانها.. إذا فعلت ما أقوله بالضبط».

أومأت بقلق، وقالت: «قل ما تريد»

قال بصوت حاد: «أريدك أن تخرجى من حياة آلان».

إتقد الغضب داخلها، وقالت: «أنت تظن أنك تعرفنى

يا كوين، ولكنك لست كذلك. كنت سأصبح زوجة صالحة لأخيك. أنا..»

إنفجر ضاحكاً، وقال: «زوجة صالحة؟ تقصدين فى الظاهر فقط، اليس كذلك يا طفلتى؟ زوجة ترقد باردة بين ذراعيه، مجرد أن تحتفظ بلهفته، بينما تقضى الليل كما تشاء خلال المدينة»

لمعت الدموع على أهدابها، وقالت: «لا فائدة من هذا الحديث. أنت تريدنى أن أخرج من حياته، وهذا طيب. سأخبر آلان بإلغاء الزفاف. كنت سأفعل ذلك منذ أيام..»

ضحك مرة أخرى، وقال: «أراهن أنك كنت ستفعلين»

إلتقت عيناها بعينيه، وقالت: «احضر لى آلان، سأخبره أننى قد أعدت التفكير بشأن زواجنا. سأجد وسيلة لا تؤذيه».

«تقصدين وسيلة لا تطفىء هالتك، نعم، استطيع فهم الأمر الآن. عندما تنتهين سيكون جاثياً لدى قدميك، متوسلاً أن تعطيه فرصة ليسعدك».

أمسكت بيج بذراعه وهو يمر بها فى سيره فى الحجرة، وقالت: «إذن سأكتب له خطاباً» توقف كوين واستدار لها وقد ثبتت عيناه بلونها الأخضر المزرق على وجهها. وأسرعت تضيف: «سأخبره أننى لا أستطيع أن أتمم الزفاف. ثم أغادر الآن فى التو. إن حقائبى هنا، بل وجواز سفرى» صمتت ولكن لم يقل شيئاً فتابعت: «سيجدى هذا، أليس كذلك؟ سأتبعد لفترة. يمكنك أن تعود إلى... إلى حيث كنت تعيش، و...».

ابتسم راسماً خطين قاسيين على جانبى فمه الضيق، وقال بهدوء: «رائع» إندفعت يده تقبض على معصمها، وانفجر

صوته غاضباً: «هل تظنين أن كل الرجال مغفلين؟ سأرحل وتعودين.. اليس كذلك؟ وستقولين لآلان أنك قد غيرت رأيك وأنه لم يكن ينبغى إطلاقاً أن تلغى الزفاف.»

هزت بيج رأسها، وقالت: «لن أفعل. أقسم بأنى لن أفعل»

صرخت عندما إشتدت أصابعه على عظام معصمها الرقيقة.

وشهقت: «أنت تؤذينى»

زمجر قائلاً: «حقاً» وجذبها إليه وأضاف: «بيقين الجحيم، أتمنى ذلك»

«أنا لم أغر آلان بأى شىء. لقد أرادنى»

«هذه هى الحقيقة اللعينة، لقد أرادك». والتوى فمه وهو يميل مقترباً منها. وتابع: «ومن هذا الرجل الذى لا يفعل عندما تسلطين عليه هاتين العينين؟ لابد أن أعرف».

صارت وجنتاها بلون القرنفل، وقالت: «أنت لست بريئاً. فأنا لم أبحث عنك، وأوقعك فى شراكى...»

التهبت عينا كوين، وقال: «عندما يبدى رجل الأهتمام يا بيج، فإن المومس الأمينة تخبره بثمنها أولاً.»

كانت يدها كالسهم وهى تطوحها وتلطم وجهه. دوى صوت ارتطام اللحم باللحم فى الحجرة.

وهمست: «أيها اللقيط» وتحول لون عينيها البنفسجى إلى أزرق نيلى، وتابعت: هل تعرف ما سأفعل يا كوين؟ سأتزوج آلان، سواء رضيت أم لم ترض. ولا يمكن لأى من أفعالك التافهة أن يوقفنى. أنت على حق تماماً.. سيصدق آلان أى شىء أقوله له».

«سيصدق ما يقوله الكومبيوتر. إن والدك لص»

قالت ببرود: «ليس والدى هو من يريده أخوك. بل أنا، وسيأخذنى بناء على أى شروط.. حتى لو تضمنت العفو عن والدى».

إتصل الصمت بينهما لحظات، ثم أومأ كوين: وقال: «أنت بارعة يا بيج، ولكن ليس بدرجة كافية. لقد نسيت شيئاً واحداً». وابتسم ابتسامة بغيضة، وقال: «مرحنا الصاخب على الشاطىء فى تلك الليلة.. شىء ما يقول لى بأن آلان لن يريدك بعدما أخبره بذلك.»

إرتفعت ذقنها، وثبتت عيناها على عينيه، وقالت بهدوء: «إذا فعلت فسأضطر لإخباره بأنك قد فرضت نفسك علىّ. وكيف كدت تغتصبنى. من تعتقد أنه سيصدق عندئذ؟»

وللحظة، ظنت أنها قد أسرفت فى الضغط عليه. إكفهر وجهه وجمدت عيناه وكأنها من زجاج. كتمت بيج أنفاسها وأعدت نفسها لهجومه. وفى نفس اللحظة التى تيقنت فيها أن قلبها سيثب من صدرها، فعل مالم يكن متوقعاً... إبتسم.

قال بصوت مرح خفيض: «جميلتى.. جولييت الجميلة.. شكراً على إظهارك وجهك الحقيقى. من الصعب النظر إلى هاتين العينين وتخيل أى عاهرة أنت فعلاً.» التوت يده بإحكام أشد حول معصمها، وتابع: «أنت على حق.. سيصدق آلان أكاذيبك أياً ماتكون. وعندئذ ستفوزين أنت ووالدك اللص بكل شىء». لم تقل بيج شيئاً، ولوى كوين معصمها تجاهه قائلاً: «أنا على حق، أليس كذلك؟»

تألم معصمها تحت وطأة قبضته، ولكن ليس بقدر تألم قلبها. فكرت فى وقت رغبتها أن يبادلها هذا الرجل الحب.. وكيف كانت قد هجرت ملاذها الآمن بين ذراعى آلان..

« كم أكرهك » .. هذا ما أحسته ولكنها لم تقله .

ردت على سؤاله : « نعم . ولن تستطيع عمل شيء . وأنبهك إلى أن الزفاف اليوم » .

ضحك بهدوء ، وقال : « أنت على حق » بدأت ذراعاه تحيطان بها وتحتجزانها أمامه ، وقال : « بحق اللعنة سيكون هناك زفاف اليوم . ولكن ليس فى هذا البيت . وليس بينك وبين آلان » . توقف ، وارتسمت بسمة على شفتيه دون أن تدفىء إطلاقاً من برودة عينيه . واستطرد : « أنت لم تتركى لى خياراً يا بيج . هناك طريقة واحدة لإيقافك . ستتزوجين ستكونين زوجتى . »

حدقت فيه ذاهله . وفى مكان ما من أرجاء المنزل المترامية ، سمعت ما يشبه ضحكة مدوية ، وتساءلت بيج فى جنون .. إذا ما كان الجميع قد سمعوا ما قاله كوين وأنهم يضحكون على هذه النكتة ؟

« م .. ماذا ؟ »

هزها .. بالأمس كانت تلهث بالرغبة لدى لمسته . أما الآن فإن لمسته ترعبها . إبتسم ، وأدركت أنه قد أحس بخوفها وأنه إستمد منه السرور .

« لقد أفقدتك السعادة القدرة على النطق ، اليس كذلك ؟ » إختفت الابتسامة كأنها مصباح كهربى قد إنطفأ . وتابع : « لا يوجد وسيلة أخرى أستطيع بها حماية أخى منك » .

حدقت فيه ، تنتظر الضحكة التى تخبرها بأنه كان يلقى بعضاً من النكات البشعة ، ولكن بدت عيناه بلا أى تعبير .

« أنت .. أنت لا يمكن أن تكون جاداً . »

« جاد إلى حد الموت يا جميلتى جولييت . »

بدأت خفقات قلبها تتسارع ، وقالت : « أنا ... أنا لا بد أن أكون مجنونة كى أتزوجك »

أمال كوين رأسه جانباً ، وقال بهدوء : « أو يائسة .. إلى أى مدى ستذهبين كى تنقذى والدك من السجن ؟ »

« أنت لن .. »

ابتسم ابتسامة عريضة ، وقال : « ألن أفعل ؟ الضيوف ينتظرون بالطابق الأرضى . كل ما ينبغى أن أفعله هو إلقاء بيان قصير ... (مساء الخير جميعاً . أخشى أن يكون الزفاف قد ألغى . كما ترون ، فإن والد العروس مختلس ، ولابد أن أبلغ الشرطة . وقد طلبت منى العروس أن أخبركم بأن العريس سيتزوجها على أية حال ، فى نفس الوقت الذى يتبرأ فيه والد العريس من والدها ويعلن فصله من المؤسسة ، وذلك لعدم الرغبة فى أن يكون هناك لص ضمن العائلة : أسف إذا كان ذلك قد أفسد يومكم ، ولكن فقط انظروا وما فعلته العروس ووالدها »

« أيها اللقيط »

« يا لها من مفردات قوية تلك التى تمتلكينها يا بيج . سيُصدم آلان عندما يسمع هذه الكلمات تنساب من ذلك الفم الرقيق » .

« ألا تقلق بشأن أذية آلان ؟ »

هز كتفيه فى إستخفاف ، وقال : « إن زواجك منه سيؤذيه أكثر » .

« سيكرهك . كل عائلتك ستكرهك . إنهم ... »

« انفرجت شفتاه فى ابتسامة باردة ، وقال : « لقد رأيت ما هو أسوأ »

قامت بمحاولة أخيرة يائسة : قالت : « سيظل آلان يريدنى

يا كوين. سيحاول إستعادتى»

قال بتؤوه: «كفى عن ذلك. عندما تنتمين لى فأى رجل يريد الاحتفاظ بعافيته لن ينظر لك مرتين، بما فى ذلك أخى الأصغر» مسحت عيناه وجهها ثم ذهبت إلى صدرها الجميل الذى يكشف عنه فستان زفافها، وعادت مرة أخرى إلى عينيها. ولوى شفتيه مبتسماً، وقال: «كنت تريدين أحد أبناء فولر، ولقد حصلت على أحدهم. صدقينى يا بيج الشخص الذى حصلت عليه هو من تستحقين».

ارتعد قلبها رعباً، وهمست: «لا يمكنك أن تفعل هذا. سيبدأ الزفاف حالاً. الجميع ينتظرون. كوين، أرجوك، يجب أن تنصت لى. والدك.. والدى..»

«لا تنسى التعويضات يابيج»

عندما رأت ما بعينيه بدأت تقاومه، ولكن غلبتها قوته. جذبها إليه والتهم فمها فى قبله كانت رسالة وحشية بالسيطرة لم تكن هناك رقه، ولا حماسة. لقد قُصِد بقبلته تعيين حدود علاقتها. وأنه سيمتلكها، ولا يوجد ما يمكنها عمله حيال ذلك.

«هل تفهمينني؟»

وضعت بيج يدها على فمها ومسحته، وهمست: «كيف إستطعت فى لحظة ما أن أرغب فى أن تلمسنى؟»

ملأت الدموع عينيها وسالت على وجنتيها. ومض شىء فى عينيه الزبرجديتين، ولكنه إختفى بنفس السرعة التى ظهر بها.

قال بلهجة جافة: «أريد أن نخرج فى خمس دقائق. بدلى فستانك حالما أكتب كلمة لآلان. سأمليك كلمات تكتبينها له ولوالديك. سأجعل الأمر يبدو كما لو أننا لم نستطع منع أنفسنا. سيظنون أننا لا نستطيع الحياة بعيداً عن بعضنا». أرسلت

ابتسامة قشعريرة فى دمها، وأضاف: «يكاد ذلك يكون الحقيقة، بطريق ملتو بعض الشىء، اليس كذلك يا جولييت؟»

«عزيزى اللورد، كم أكرهك!»

«ربما يمكن للقاضى الذى يعقد قراننا أن يضيف هذه الكلمات لقسيمة الزواج. صدقينى، الشعور متبادل.»

التفت عيونها وثبتت، ثم دفعها كوين عنه.

قال بسرعة وحدة «بدلى ملابسك. أسرعى»

حدقت فيه بعجز، وقالت: «أدر ظهرك»

ضحك كوين، وقال: «عروس خجول. هذا بالضبط ما كنت أريده دائماً»

ولكن فعل ما طلبته. وعندما إرتدت ثيابها التى سترحل بها بعيداً، إستلت بيج ماسة آلان من أصبعها ووضعتها بهدوء على المنضدة.

وتحت بلوزتها الحريرية، كانت ياقوته كوين لاتزال فى جسدها.

الفصل الخامس

(قولى مرحباً لزوجتى)

تابعت بيج كوين وهو يتناول ورقة وقلماً من درج مكتب صغير. «عزيزى آلان» كتب الكلمات بيد ثابتة قوية. سرت رجفة خلالها وأشاحت بوجهها.

لا يمكن أن يحدث هذا. هل هو حلم سرعان ما تستيقظ منه. ولكن صوت إحتكاك القلم بالورقة كان حقيقة مثل منظر فستان زفافها وقد تكوم فوق الفراش. راقبت كوين وهو ينهى الصفحة الأولى من الخطاب ثم يبدأ الصفحة التالية. يا إلهى، لابد أن هناك طريقة لإيقافه! إنه لا يستطيع أن يفعل بها ذلك فعلاً.. إنه لن يفعل.. إن

لا، بالطبع لن يفعل. إنها مجرد حيلة لا غير. لقد أراد كوين أن يتأكد أنها قد إختفت من حياة شقيقة للأبد. هذه مجرد ميلو دراما للتأكد من ذلك.

مات أملها اليائس بمجرد أن أنهى كوين الكتابة. رفع بصره ودفع الخطاب باتجاهها.

«وقعى عليه»

نظرت له مشدوهة، وقالت: «كوين، أنت... أنت لا يمكن أن تقصد...»

نفذت عيناه داخلها بنيران يادرة، وقال: «هل غيرت رأيك يا بيج؟ هل تفضلين أن أهبط لهم وألقى بيانى؟»

هزت رأسها، وقالت: «لا، ولكن..»

«وقعى الخطاب يا بيج»

تقدمت خطوة نحوه وتناولت الخطاب. إرتعشت يداها وهى تقرأ الكلمات التى يفترض أنها قد كتباها معاً.

بدت الكلمات كأنها ستقفز من الصفحة.. «فى الوقت الذى تقرأ فيه هذا.. لا يمكننى إتمام زفافنا.. لا أريد أن أؤذيك.. كنت دائماً أريدك ولكننى وقعت فى الحب مع كوين..»

قالت: «لقد قلت أننى استطيع أن أكتب لآلان بنفسى»

كانت ابتسامته مقتضبة وهو يقول: «غيرت رأيى. دعينا نذهب يا بيج. وقعيه»

إهتزت الورقة وسقطت من يدها. إلتقطها كوين ودفعها إليها.

وزمجر «وقعيه»

«كوين» صار صوتها أجشاً، «كوين، أرجوك.. أتوسل إليك لا تجبرنى على ذلك. أقسم بأننى لن أتزوج آلان. أنا لا أحبه.. لم أحبه على الإطلاق. ووالدى.. ربما يستطيع أن يقدم تفسيراً. ربما...»

كانت عيناه مظلمتين وعميقتين، وقال: «ربما يتقدم فى العمر فى السجن. وقعى الخطاب يا بيج»

كان صوته ناعماً. قرأت التهديد فى عينيه، وعندئذ تناولت

الورقة منه، وبسرعة وفي خط مضطرب، خربشت اسمها بجوار اسمه.

لوى فمه قائلاً: «سيأخذ دقيقتان فقط لتكتبي لوالديك. ولن يصب لعناته طالما أنك تزوجتي بواحد من أبناء فولر مما سيضمن سلامته»

كتبت بيج الخطاب إلى والدها ووالدتها، ولكن كانت الكلمات موجهة إلى جانيت جارونر. بناء على النصيحة التي قدمتها لها والدتها في وقت مبكر هذا الصباح. لقد صنعت منه كذبة مؤثرة.

«لقد وقعت في الحب مع...» توقفت يدها، وارتجفت، وضحك كوين، وقال: «اكتبي إسمي يا جولييت. ربما تتعودين عليه». التقطت بيج نفساً عميقاً، وكتبت: «... مع شخص آخر لقد فعلت مثلما قلت لي يا أمي، واتبعت قلبي»

كانت أنفاس كوين دافئة على وجنتيها بينما ينظر من فوق كتفيها ليقرأ ما تكتبه، قال: «حسناً، لن تبقى عين جافة في المنزل بعدما يزيع هذا».

عندئذ بدأت تصدق لأول مرة أنه فعلاً قد يأخذها معه بعيداً. قفزت نبضاتها التي تدق في تجويف حلقها متجاوزة الأحتباس المفاجيء لدمها. مسحت كفيها الرطبين في التنورة الحريرية لثوب رحيلها، وراقبت كوين وهو ينزع سترته الرمادية الداكنة ويطوحها جانباً.

همست: «ماذا تفعل؟»

إنتقلت أصابعه بين أزرار قميصه المنشى، وقال: «ابدل ملابسي. كانت هذه حجرتي.. لابد أنه قد بقي بخزانة الثياب شيء يمكنني أن أرتديه. همهم بصوت خافت: «ها هي»

واستدار مبتسماً ابتسامة جافة وطوح على الفراش ببدلة قطنية مخملية الزغب. وأضاف: «ربما تكون ضيقة، ولكنها أفضل من التجول في نيويورك في صباح نهاية الأسبوع بمعطف مشقوق الذيل.

تلوى نازعاً قميصه وطوح به وراء سترته. سدد نظراته لعينيها الذاهلة فتورد وجهها خجلاً وأدارت له ظهرها.

«نيويورك؟»

دمدم كوين وسمعت فحيحه المستهجن، وكرر: «نيويورك ثم لندن»

«لندن بالطبع.. حيث يعيش. لو كان يخطط فعلاً لإتمام هذا الأمر، فهذا هو المكان الذي سيأخذها إليه. ابتلعت ريقها عقب الضحكة العصبية التي صعدت إلى حلقها. لقد إعتذر الآن عشرات المرات عن اضطراره لأخذها إلى أمريكا الجنوبية بعد زواجهما، لكن ها هو كوين، على وشك أخذها إلى انجلترا دون كلمة واحدة تقريباً.

قال بحدة: «دعينا نذهب»

رفعت بصرها عندما فتح الباب. كان واضحاً أن البدلة القطنية ترجع لما قبل إكتمال نموه. كانت السترة قصيرة وضيقة، وبدا درز الخياطة كأنه سينفجر من حول كتفيه.

خالجها شيء أشد وطأة من الخوف. تراجعت خطوة، وقالت: «لن أذهب معك. لا تستطيع أن تجبرني» لم يقل كوين شيئاً. بل قبض على يدها وجرها عبر الباب. وخرج صوتها فحيحاً: «أيها اللعين. لن تفلت دون عقاب».

ضحك بهدوء، وقال: «ألن أفلت دون عقاب يا جميلتي جولييت؟ أنت تصورين الأمر كأنني أسرقك. هل تتذكرين

أنك معى بملء إرادتك الحرة؟ أنت لا تستطعين الحياة بدونى»
تحول صوته بارداً وضغط على أصابعها، وتابع: «ولا يستطيع والدك».

كانت سيارته المؤجرة تقف فى الشارع الهادىء خلف منزل آل فولر. دوى صوت السيارة كأزيز منشار عندما أدار المحرك، ونظرت تجاه المنزل، متيقنة أنها قد رأت شخصاً ما يعدو تجاههما. لكن كان المنزل يرقبهما بنوافذ زجاجية خاوية. وسرعان ما كان ينطلقان بسرعة بين شوارع الضواحى الهادئة. عندما وصلا الطريق السريع، ضغط كوين بقدمه حتى كادت تلتصق بأرضية السيارة التى قفزت كأنها حصان سباق. وعلى طول الطريق لم يتوقف سوى مرة واحدة فى محطة خدمة. جلست بيج فى السيارة، وقد استحوذت عليها لا مبالاة غريبة، تراقبه وهو يجرى محادثة هاتفية من كشك الهاتف. كان حديثه مفعماً بالحيوية، وأحست بأنه يتجادل مع شخص على الطرف الآخر، ولكنه ضحك أخيراً، وضرب بيده جدار الكشك، ثم وضع السماعة. بعد أقل من نصف ساعة كان يقتربان من البنك المركزى فى الجانب الشرقى من مانهاتن.

أبطأ كوين السيارة ثم توقف بجوار الرصيف أمام منزل كبير من الحجر الأسمر. خرج من الظلام رجل يقاربه فى السن، وحدق فى السيارة، ثم ابتسم لبيج.

قال: «لا عجب أن تكون فى عجلة يا سيدى.. حسناً، اتبعانى»

ركب الرجل مرسيدس صغيرة تنتظر بجوار الرصيف، وانطلق إلى الطريق. تدافعت عشرات الأسئلة فى رأس بيج، ولكنها لم تشأ أن تمنح كوين إحساساً بالرضا الذاتى عندما

توجه له أسئلتها. لابد أن تبادله صمتاً بصمت. شقت السيارتان طريقهما، فى زحام وسط المدينة من الجانب الشرقى إلى الجانب الغربى حتى وصلت جنوب مانهاتن وأخيراً، فى منطقة مخصصة لمبانى البلدية، إقترب صاحب كوين من الرصيف ثم توقف. وكذلك فعل كوين.

قال لبيج: «إنزلى»

كانت كلمته الأولى لها منذ ساعات. ابتسم الرجل لها ابتسامة عريضة وهى تخطو إلى الرصيف ثم نظر إلى كوين

وجه لها كوين ابتسامة خاطفة، وقال: «هل متأكدة أن هذا ما تريدينه يا صديقتى؟ عفواً، يا محبوبتى.. غير أن هذه خطوة ضخمة بكل ما فى الكلمة من معنى ويجب ألا تؤخذ إرتجالاً».

بدأت نبضات بيج تتسارع، وهمست: «كوين؟» إستدار لها بوجه بارد، غير مبتسم

قال: «كان جيم زميل دراستى. وهو الآن الرجل الأول فى مؤسسة مايور.»

جف حلق بيج، وكررت: «كوين؟» وهذه المرة ارتسمت على فمه ابتسامة ساخرة.

«لقد تم إعداد كل شىء.. يمكننا أن نتزوج الآن».

تابعت عيناه عينيها، والتقطت شهيقاً قصيراً عندما رأت بريقها الأخضر الزرقاوى. وأضاف: «اليس هذا نبأ رائع يا محبوبتى».

«لكن.. لكن أنا ظننت».

لماذا كانت شديدة الذهول؟ لقد أخبرها من قبل أنه سيتزوجها. بل إنها بدأت تصدقه خلال الساعتين الأخيرتين.

وأحست وهى تحدق فيه أن هذا الأمر يمكن أن يحدث بهذه السرعة. ودون أى تدرى، كانت تعد الثوانى مثل رفيقها. كانت هناك قوانين وتصاريح وإختبارات ودم..»

وفى صوت شاحب، كأنما يأتى من مسافة بعيدة، سمعت ضحكة جيم المتحيرة وهو يقول: «هية يا صديقى أظن أنك قلت أن السيدة ستكون سعيدة»

قال كوين: «هى كذلك» وأحاط عنقها بذراعه، وتابع: «هى فقط صامته. اليس كذلك يا بيج؟»

كان صوته همسة ضبابية وهو يضمها إليه.

إنسدلت أهداب بيج على وجنيتها. أرادت أن تضربه، أن تدق صدره بقبضتيها،... ولكن كان هناك وهن جميل يسرى خلالها».

همست: «لا تفعل...» ولكن كانت كلمة بلا معنى. مس فم كوين فمها، ومالت إليه مستندة إلى ذراعيه وهو يضمها بقوة حتى أحست كأن نهديها يتسطحان إزاء صدره.

ضحك جيم بعصبيه، وقال: «حسنا يا أولاد. لقد إقتنعت»

عندما رفع كوين رأسه، كانت عيناه لهيبين زرقاوين، وهمس: «أخبرى جيم أنك تريدين الزواج منى». مست بيج شفتيها بلسانها، وقالت: «أنا..»

«أخبريه»

نظرت لعينيه، وتمتمت: «أنا أريد الزواج من كوين»

كانت تعرف أن الكلام موجهه إلى جيم، ولكنها أحست أن شيئاً ما يشتعل فى أعماق عينى كوين الزبرجدتين. لمعت الدموع على أهدابها، وطرفت عينيها لتداريها. عندما نظرت

لعينيه مرة أخرى، كان ما رأته قد إختفى، وأدركت أن كل ما رأته كان إنعكاساً لآلامها المبرحة.

فى البداية، بدا المبنى الشاهق الذى قادها إليه كوين خالياً. لكن كان هناك موظف مرهق ينتظرهم فى مكتب يبدو وأنه قد فُتح خصيصاً لهما. ثم حجرة غُطيت جدرانها بالقيشانى، وحياهما مسئول معمل يرتدى معطفاً أبيض ويمسك بمحقن ذى إبرة حادة وأخيراً، فى مبنى بمنطقة النهر الشرقى تم زواج بيج وكوين. وسألها رجل غريب يرتدى بدلة داكنة الأسئلة التى كانت تتوقع سماعها فى هذا اليوم، وأجابت عليها.

غير أن الرجل الواقف بجوارها لم يكن آلان.. كان كوين.. يمسك بيدها، ويراقب وجهها وهى تقدم إجاباتها الهامسة، وبقدر قوة إجاباته بقدر ما كان ترددها. توقف فقط عندما جاء وقت وضع خاتم الزواج فى اصبعها.

لم يكن هناك خاتم. نظر كوين من فوق كتفى القاضى إلى صديقه جيم. أشار جيم بوجهه متحيراً وهز كتفيه.

تنحنح القاضى الذى يوثق زواجهما، وقال: «يمكننا أن نتجاوز عن ذلك، ونتمم العقد بدونه إذا لزم»

لكن كوين هز رأسه، وزمجر: «اللعنة. لابد أن يكون هناك شىء يمكننا استخدامه»

وقد كان. التقطت بيج نفساً قصيراً ومدت يدها إلى صدرها وتمتمت: «خاتمك»

أخطأ كوين فهمها فلوى فمه بطريقة غريبة، وقال: «لم يعد معى. يبدو أننى وضعته فى غير موضعه».

أحست بإندفاع الدماء إلى وجهها وهى تدس يدها من فتحة صدر بلوزتها الحريرية.

قالت فى همسة خافتة : « لقد أعطيته لى »

أخرجت السلسلة الذهبية وأرته الياقوته التى بدت فى كف يدها كجذوة متقدة .

حدق فى الخاتم للحظة طويلة قبل أن يرفع عينيه إلى عينيها .

« أنت تريدين خاتمى »

اتخذ صوته نبرة ذكرتها بسماوات الصيف الرمادية فوق إحدى بحيرات الشمال . وأومأت بيج .

« نعم . »

خيم الصمت للحظات .

وبينما ظلت عيونها معلقة بعينى كوين ، مدت يدها إلى رأسها ورفعت الشعر من على كتفيها . سمعت الشهقة الحادة لأنفاسه ثم إستدار خلفها وفك السلسلة التى يتدلى منها الخاتم الياقوتى . إحتكت يده بصدرها عندما سقطت السلسلة فى كفه ، وأطبق أصابعه عليها بقوة .

قال القاضى : « ضع الخاتم فى أصبع الآنسة جارونر . وكرر ورائى . مع هذا الخاتم ... »

بطريقة ما ، إستطاعت أن تبتسم خلال تقديم التهانى الإجبارى . قبل جيم وجنتها وصافحها القاضى . وأخيراً ، أصبحت هى وكوين وحدهما ، ينطلقان عبر الطريق إلى مطار كنيدى . خفضت بيج نظرها إلى يدها ناظرة للياقوتة التى بدت كأنما تتوهج فى أصبعها .

وحادثت نفسها فى تبلد .. لقد أصبحتُ زوجة كوين فولر . زوجته .

استلت الخاتم من أصبعها ومدت به يدها إليه ، كأن ذلك

سيحل القسم الذى أجبرها عليه . تحولت بلمحة خاطفة من الطريق إلى كفها المبسوطة وإلى الحجر الأحمر بلون الدم .

سألها : « ما المفروض أن أفعله بهذا ؟ »

« إنه خاتمك . أظن أنك تريد إستعادته » .

قال بصوت أجش : « إحتفظى به لم يعد له معنى لدى » .

ملأت دموع الغضب عينيها . يا إلهى ، كم يكرهها . أرادت أن تقذفه بالخاتم .. لكن شيئاً ما بداخلها ، غير محدد ونصف وامض ، أوقفها ارتجفت يدها وهى تدخل السلسلة الذهبية خلال الخاتم ثم تعلقها حول عنقها .

لم يقولا أى شىء آخر حتى استقرا بردهة الدرجة الأولى بالمطار . سأل كوين عن هاتف ثم التفت إلى بيج .

« يجب أن نجرى بعض المكالمات . هل بإمكانك أن تقولى الأشياء المناسبة أم أكتب لك نصها ؟ »

نظرت له قائلة : « مكالمات ؟ لمن ؟ »

« لعائلاتنا . عائلتى وعائلتك .. وآلان »

أذهلتها غطرسته ، وكررت : « آلان ؟ » كان صوتها ينطق بعدم التصديق ، وتابعت : « ولكن ماذا ستقوله له ؟ »

التوى فم كوين بابتسامة مقبضة ، وقال : « المهم ما سيقوله هو لى يا بيج .. لا تقلقى .. سأعالج الأمر .

سددت له نظرة باردة وقالت : « أنا لا يهمنى أن تعالجه أو لا تعالجه يا كوين . ما يهمنى هو آلان . من المؤكد أنه سيُؤذى بعد ما حدث . »

إرتفع حاجباه ، وقال : « كان سيحدث على أية حال يا بيج .. سبق أن قلت أنك لن تكملى خطوات الزفاف » كان صوته ناعماً وشكل غشاءً رقيقاً على سخريته . وأضاف : « أم

أننى مخطىء ؟ »

« لكن هناك فرق. تغيير رأيى ليس مثل.. مثل هذا »

هز كوين كتفيه استخفافاً، وقال بخشونة : « لا أريد أن يدق آلان بابى. أريد أن يستقر كل شىء الآن ».

تقوقعت فى الأريكة الجلدية، وراقبته وهو يطلب الرقم منتظرة الانفجار على الطرف الآخر. ولكن لم يكن الأمر كما توقعت. تستطيع القول، من متابعتها لكلمات كوين، أن والده كانا أكثر إنزعاجاً بصدد ما قد يقوله ضيوفهما أكثر من إنزعاجهما للوقع العاطفى لأحداث اليوم على إبنيهما. تحدث كوين معهما بكياسة ولكن ليس أسلوب دفاعى. إعتذر عن أى ارتباك ربما قد سببه لهما، وأوضح أن ما حدث بينه وبين بيج كان أمراً حتمياً. بدا كما لو أن موضوع النقاش يتضمن خطبة فى آداب السلوك، ولا شىء غير ذلك.

عندما طلب التحدث مع آلان، هبت بيج واقفة. ولكنه أمسك بيدها وجذبها لتجلس بجواره كما كانت. شحب وجهها، وهمست : « أرجوك لا أريد أن أسمع.. »

قبضت يده على يدها، وأبقتها بجانبه. ترقرقت الدموع فى عينيها وهى تنصت إلى تبرير كوين. كانت كلماته منتقاه بعناية، ورقيقة على نحو مذهل، وضاعفت من وطأة ضغط أصابعه على معصمها.

إستطاعت أن ترى تأمله لإيذاء أخيه. بعد برهة طويلة، أومأ، وثبتت عيناه على عينيها. وبدأ الضغط يخف عن معصمها.

قال بهدوء : « نعم.. سأخبرها. سأفعل يا آلان. بالطبع سأفعل. شكراً لك يا آلان.. إلى اللقاء »

راقبته وهو يعيد سماعة الهاتف لمكانها، وقالت : « كوين ؟ هل آلان.. هل هو بخير ؟ »

برزت عضلة بفكه، وقال : « هو بخير »

« هل هو.. » وخفت صوتها ثم تابعت : « هل هو يكرهنى كثيراً جداً ؟ »

نظر لها، وارتسمت على فمه ابتسامة غريبة.

وبعد برهة قال : « لا.. إنه لا يكرهك. لقد قال.. قال أنه يتمنى لنا السعادة معاً. »

امتلأت عينا بيج بدموع مفاجئة. إنها لم تحب آلان.. ولكن كان آلان يستحق حبها.

« لابد أنه قال أكثر من ذلك... »

مد كوين يده ومسح دموعها، وقال : « بحق الجحيم ماذا توقعت أن يقول ؟ » كان صوته أجشاً على النقيض من رقة لمسته. وتابع : « ما الأمر يا بيج ؟ هل كنت تأملين أن يأتى فى أثرنا ؟ »

هزت رأسها، وقالت : « فقط قصدت.. »

« لقد طلب منى أن أحبك وأن أهتم بك. هو.. » نقبت عيناه فى عينيها، ورأت عبوساً فى الأعماق الخضراء الزرقاوية. وقال بإقتضاب : « لقد مسه الأذى » وأشاح ببصره بعيداً عنها، وتابع : « ولكن الأفضل أن يحدث الآن من أن يحدث فيما بعد »

نشجت بيج قائلة : « هذا كله غلطتى.. فقط لو أننى.. »

قال كوين بخشونة : « فقط لو أنك ووالدك لم تصابا بالطمع. لديك خمس دقائق قبل أن نصعد إلى الطائرة. إذا كنت تريدين محادثة والديك، فافعلى الآن »

ارتجفت يدها وهى تطلب الرقم. لكن كانت أمها مدهشة،

تضحك من خلال دموعها، وذكرت بيج بأنها هى التى نصحتها بأن تتبع قلبها.

قالت: فقط أرجو لك السعادة يا عزيزتى: «ابتلعت بيج ريقها وأكدت لها أنها سعيدة».

كان الحديث لوالدها أصعب. لم تعرف ما تقول، وادارت خط الهاتف فى صمت. أخيراً، ودون أى تخطيط، همست: «والدى؟»

أذهلتها نبرتها الطفولية

قال: «لقد غفلت عن أمننا جميعاً يا بيج.»

كان بصوته ود كاذب. شددت قبضتها على سماعة الهاتف، وكررت. «والدى؟ كوين.. كوين يعرف إنه يعرف كل شىء»

التقطت أذنها صفير أنفاسه. وغمغم: «نعم، حسناً. أخبريه.. أخبريه أنه لن يحدث مرة أخرى. سأتصرف بأسلوب سليم».

كان إعترافاً صريحاً لدرجة أعجزتها عن الكلام. وضعت السماعة ونظرت مشدوهة إلى كوين.

وهمست: «لقد.. لقد كنت على حق بشأن والدى.. إنه.. إنه.»

أدهشها تعبير وجهه وألزمها الصمت. زمجر: «كفى» كان وجهه قريباً من وجهها لدرجة أن أحست بأنفاسه على وجنتها، وتابع: «هذه التمثيلية لن تُجدى، هل تعرفى ذلك؟ كان بإمكانك التمادى فى استغفال آلان حتى تجففيه عصراً. ولكن أنا أعرف حقيقتك. لا تنسى ذلك إطلاقاً».

سرت قشعريرة بأوصالها. نظرت إلى عينى كوين وفكرت مرة أخرى فى الحيوان المفترس. قبضة يده على معصمها، نظرته، نزعته الإمتلاكية فى أسلوب حديثه.. كل ذلك كان يذكرها بحقيقة أن يحتجزها أسيرة.

قالت بقسوة: «لن أنس أى شىء. صدقنى يا كوين، سأتذكر كل شىء فعلته لى»

ضحك بينما تحركت عيناه على جسدها متغطرسة ومتباطئة، وقال: «بالتأكيد ستفعلين يا جميلتى جولييت»

لم تخطىء فهم ما يهدف إليه. أحست بوجنتيها تلتهبان. تزاحمت كلمات غاضبة فى حلقها، ولكنها إبتلعتها مع ريقها واستدارت بعيداً، وصمتت كانت تعرف أن لا فائدة من الرد عليه. سيُحرف كل ما تقوله ويستخدمه لصالحه. أفضل دفاع لها ــ بل ودفاعها الوحيد ــ هو الصمت.

ولكن صار الصمت يزداد صعوبة كلما اقترب موعد المغادرة. لم يقدم كوين من تلقاء نفسه أى معلومات عن لندن، أو بيته، أو ما ينتظره منها. تزاحمت الأسئلة على عقلها، ولكنها لم تلق أياً منها. كانت متأكدة أن قيامها بذلك سيكون خطأ. ربما يدرك كوين مدى خوفها.. وكانت مصممة على ألا تعطيه هذه الميزة.

فى أرجاء الكونكورد المحدودة، لاح من النافذة ظلام الليل المطبق اللانهائى، وكان إحساسها بأنها فى سفينة فضاء وليس فى طائرة.. كل ذلك أكد الطبيعة السريالية للساعات القلائل الأخيرة. أحست قد أودعت الحياة التى تعرفها فى ظلمة الليل البهيم. القت نظرة خاطفة على كوين كان يجلس بجانبها صامتاً مطبق الشفتين.. وفجأة أحست باثارة عاصفة مفاجئة.

ماذا لو سارت الأمور فى اتجاه آخر؟ ماذا لو كان قد وقع فى الحب معها فعلاً، وطلب منها الفرار معه؟ ماذا لو..

لو، لو، لو.. لافائدة من مثل هذه اللعبة. وماذا بعد، وجدت بيج نفسها تسترق نظرة أخرى للرجل المجاور لها. وتذكرت ما همس به لها ليلة لقاءهما، وكيف قبلها، وإحساسها بذراعيه حولها. وفجأة تمنت لو كان الوقت عجلة مستديرة، وبإمكاننا أن نعيدها للوراء. فقط لو أنها قابلت كوين قبل أن تقابل آلان.

التفت كوين نحوها. وأشاحت بوجهها بسرعة. لا أهمية لماحدث عندما التقيا ما أحست به بين ذراعى كوين لم يكن حباً. كان سيطلب منها مصاحبته إلى الفراش وليس أن يهربا ويتزوجا. هذه هى سخرية الأقدار، ليس كذلك؟ لقد تزوجها لمجرد إعتقاده أنها تصرفت كمومس.

برقت أفكارها بعصبية تجاه ماينتظرها فى لندن. إن له أعمالاً تجاريه هناك. هل يعيش فى فندق؟ يبدو أنه من أولئك الرجال الذين يفضلون هذا النوع من الأماكن اللاشخصية.. ربما شقة مفروشة. نعم من المحتمل أن تكون إقامته بمكان كهذا، وأرخت لخيالها العنان، متخيلة بعض حجرات جناح بأحد الفنادق مزخرفة بكفاءة ولكن بأسلوب بارد لا يحمل أى طابع للرجل الذى يقيم بها.

عندما هبطت طائرتهما كانت لندن ترقد فى سكون الليل المطبق. وخلال رحلة سيارة الأجرة من المطار، أسندت بيج جبهتها إلى النافذة. إنها إنجلترا.. وانتظرت أن تشعر بشىء ما. ولكن كان الإرهاق قد أفقدها الحس. وأخيراً توقفت السيارة أمام منزل ذى أحجار رمادية. نزل كوين إلى الرصيف ومد

يده إليها.

«بيتك الجديد يا بيج» وغامت عيناه بضحكة باردة، وأضاف: «أرجو أن يلقى قبولك».

تجاهلت يده وسارت خلفه، محاولة البحث عن رد يزيل مابداخلها من رعب. ولكن لم تأت أى كلمات، وجف حلقها. سمعت كوين ينطق بإسمها، ثم أحاطها بذراعيه.

تمتمت: «أنا بخير» ولكنه كان قد جذبها فعلاً إلى أحضانه.

وزمجر: «أنت كالجحيم» وأبقاها قريبة منه وهما يصعدان درج المنزل.

فتح الباب. ومن المدخل حدقت فيهما مديرة منزل كوين.

تمتم وهو يتجاوزها: «قولى مرحباً لزوجتى يانورا».

انطلقت مديرة المنزل فى أثرهما، وقد جحظت عيناها من الصدمة. وأخذت تعرض تقديم قهوة أو شاى أو أى شىء آخر احتفال بالمناسبة، ولكن كوين إتجه مباشرة إلى الدرج الحلزونى الصاعد إلى الطابق الثانى.

«شكراً لك يانورا ولكن السيدة فولر مرت بيوم طويل. أظن أن أكثر ما تحتاجه هو النوم.»

أرادت بيج أن تعترض، وتخبره أنها تستطيع صعود الدرج بنفسها، ولكن كان ذراعاه دافئتين ومريحين على نحو غريب. كان أسهل أن تحيط عنقه بيديها وتريح وجهها على صدره. فى اللحظة التى دفع فيها باب حجرتها فى نهاية الردهة، إرتخت أهدابها بثقل على وجنتيها.

قال بهدوء: «حسناً». ووجدت نفسها تغوص فى أحضان فراش ناعم وثير.

هل كان حلماً أم أنها سمعت صوتها يهمس بإسمه؟ هل سمعت صوتاً مبحوحاً يقول: «ستكونين بخير يا جولييت»

نعم، كان حلماً. لابد أنه كان حلماً. الحقيقة الوحيدة التى أحستها بيج وهى تسقط فى دوامة من الإعياء، أن كوين قد فاز بها رغماً عنها.

إنه زوجها. وهذه إنجلترا التى كانت يوماً بلد الفرسان المدرعين والقلاع الحصينة، ولكن هذه الأيام ولت منذ أمد بعيد.

ربما لايزال بإستطاعتك أن تفوز بإمرأة. لقد أثبت كوين ذلك. لكنك لن تستطيع مطلقاً أنْ تجبرها على الانتماء لك. سيبقى ذلك شيئاً ثابتاً على الدوام.

الفصل السادس

(لن تكون جاريته أبداً)

سارت بيج على مهل عبر ممر ملتو، كانت ترتدى فستان زفافها. وبعيون جامدة، راقبتها الأبواب التى توصد خلفها للأبد. ظهر رجل فى أقصى الممر. كان طويلاً، عريض المنكبين، وأتجهت إليه إستدار وأعطى إيماءه متبرمه. بدأت تحث خطاها، ولكن دون جدوى، أخر الممر يزداد إمتداداً وتعرجاً، إلى أن سدته جدران شاهقة. لقد إختفى الرجل وأصبحت بيج وحدها فى هذا المكان الغريب من الأشباح والظلمات. لفها الخوف فى أحضانه الباردة. فجأة تنامت إلى أسماعها ضوضاء بعيدة ودقات من وراء الجدار. هناك شخص ما، شخص سيساعدها..

«سيدة فولر؟»

تأوهت بيج بصوت خافت وهى لا تزال فى شرك هذا الحلم المشوش.

عاد الطرق مرة أخرى: «سيدة فولر؟ هل أنت مستيقظة يا سيدتى؟ لقد طلب السيد فولر اخبارك بأن الإفطار جاهز».

السيدة فولر.. طار النوم من عينى بيج وفتحتها هامسة:
«آلان؟»

فُتح الباب. وظهرت إمرأة تحمل صينية ذهبية، وخطت بتردد إلى الحجرة المظلمة

«أنا نورا يا سيدتى. لقد أحضرت لك بعض القهوة».

وضعت المرأة الصينية على المنضدة المجاورة للفراش ثم تنحنحت، وقالت: «هل انت أفضل يا سيدة فولر؟ هل أحضر لك بعض الأسبرين أو..»

«نورا؟» كانت آثار النوم لاتزال عالقة بصوت بيج. أومأت المرأة. ولمعت عيناها بالأحترام وهى تقول: «مديرة المنزل يا سيدتى.. هل أنت بخير يا سيدة فولر؟»

بللت بيج شفتيها بلسانها، وقال: «نعم، أنا بخير. مجرد أننى..» وتنبهت ذاكرتها فجأة... السيدة فولر. إنها هى ولكنها ليست زوجة آلان، بل زوجة كوين.

جلست فى فراشها ببطء وأجرت يديها على شعرها. أحست بدوار، وكأنها أفرطت فى الشرب. إنها رحلة الطائرة النفاثة، ونتيجة التركيز فى نهاية يوم أمس لمدة أربع ساعات استغرقتها الرحلة من نيويورك إلى لندن. شىء آخر، إنه الطريق الذى إنتقلت له حياتها فى الساعات الأخيرة.

كانت نورا تقول شيئاً عن جمال الطقس اليوم. رفعت بيج بصرها وابتسمت بتردد.

«آسفة يا نورا. يبدو أننى مرهقة بعض الشىء. كم الساعة الآن؟»

«تجاوزت الثامنة بقليل يا سيدتى»

وضعت بيج يديها على رأسها، وسألت بضحكة محدودة:

«صباحاً أم مساء؟»

ابتسمت نورا، وقالت: «صباحاً يا سيدتى. هل تحبين أن أعد لك الحمام؟»

«لا، شكراً.»

أومأت المرأة، وقالت: «لقد أعددت الإفطار فى المكتبة. أرجو أن يلقى هذا قبولك».

بعد كل ما حدث لها، ضحكت بيج من فكرة أن يكون هنا من يتساءل عما يلقى قبولها. ورفعت مديرة المنزل حاجبيها.

«هل أنت واثقة أنك على ما يرام يا سيدة فولر؟ ربما يجب أن أرسل لك السيد فولر.»

قالت بيج بحدة: «لا» ثم إلتقطت أنفاسها، وقالت بحذر: «لا، شكراً لك يا نورا». وابتسمت قائلة: «أنا بخير»: وطوحت بالأغطية قائلة: «إن فنجان من القهوة سوف..»

تعثرت كلمات وصمتت عندما نظرت لنفسها. كانت ترتدى ثوب نوم. واحد من الثياب المزركشة التى كانت والدتها قد اشترتها لجهازها. ولكن متى..؟ ومن..؟ تراءت لها ذكرى سريعة مروعة ليدين قويتين داكنتين وهما تفكان أزرار بلوزتها. ولكن لم تتذكر أى شىء بعد ذلك.

«سيدتى؟»

إلتقطت بيج أنفاسها، وقالت: «فقط أخبرى.. أخبرى السيد فولر أننى سأهبط خلال دقائق قليلة. فقط سأفرغ حقائبى»

هزت مديرة المنزل رأسها، وقالت: «سأقوم بذلك أثناء تناولك الإفطار يا سيدتى. كنت سأقوم به ليلة أمس بعد ما أرسلنى السيد فولر لأساعدك على ارتداء ثياب نومك. ولكن

طلب منى ألا أزعجك، ولذلك..»

أصدرت بيج ضحكة مرتعشة، وقالت: «تقصدين أنك أنت.. شكراً يا نورا ليس من عادتى أن أكون بهذا العجز.»

ابتسمت المرأة فى سرور، وقالت: «أنت لم تكونى عاجزة على الإطلاق يا سيدة فولر. فقط كنت منهكه. ومن لا يكون كذلك، بعد مثل هذا اليوم المثير؟ إنه شىء خيالى جدا.»

«خيالى؟»

«فرارك للزواج دون موافقة أهلك يا سيدتى. من كان يظن أن السيد فولر سيعود للمنزل مع عروس؟»

توردت وجنتا بيج، وقالت: «حقاً» وأغتصبت ابتسامة بشفتيها المتيبستين، وأضافت: «من كان يظن؟»

بمجرد أن أغلق الباب، اختفت الابتسامة المصطنعة وسبحت فى أفكارها. شىء مثير. خيالى. أوه، نعم، هذا ما يظنه الجميع. لا يحلم أى إنسان بأنها جاءت إلى هذا المنزل فى لندن رغماً عنها، وكأسيرة أكثر منها زوجة، لقد رتب كوين أن يراها العالم كعاشقين، سقطاً فى الهوى رغماً عن إرادتها، ولقد أدى الدور ببراعة لعينه. لقد صدقه آل فولر، وصدقة أبواها.. وصدقة آلان. فقط هى وكوين يعرفان الحقيقة البشعة.

وضعت بيج فنجان قهوتها على المنضدة، وسارت إلى النافذة. أزاحت ستائرها الثقيلة جانباً، ومدت بصرها إلى الشارع المشمس. إنها لندن.. وراقبت المنظر الذى تطل عليه والغير مألوف لها. كان المنزل محاطاً بشوارع هادئة.. ضاحيه ماى فير، لقد سمعت كوين يقول إسم الضاحيه لسائق السيارة الذى أحضرهما من المطار. فى ظروف أخرى، كان ينبغى أن ترقص من الإثارة، سروراً بسحر هذا الشارع المرصوف بمربعات

حجرية كبيرة، والبيوت الصغيرة المبنية على الطراز المنسوب للملك إدوار، والسيارات التى تسير على الجانب المخالف من الطريق.

تركت الستائر تعود لمكانها مرة أخرى. كان منظر الشارع يؤكد إحساسها بالإنتقال من موطنها. إنها فى بلد غريب ولا تعرف أحداً. فقط كوين. وكأن عقارب الساعة قد عادت للوراء أربعة أو خمسة قرون وهو يمتطى جواداً راقصاً ويختطفها. إنها رهينة لديه.

التقطت بيج نفساً عميقاً عندما بدأت فى إرتداء ملابسها. إن وقت مواجهة كوين ووضع قواعد حياتها الجديدة. ستكون هناك «تعويضات» كما قال عندما أخذها من منزل آل فولر منذ مليون سنة. لم تطلبها منه، لقد كانت مأخوذة تماماً بما يحدث. ولكنها ستطالبه الآن. ستخبره أن هناك حدوداً لما يمكن أن يطلبه منها. قد تكون سجينته ولكنها لن تكون جاريته أبداً.

كان الصمت يخيم على الرواق خارج حجرتها. لقد رأت جزءاً يسيراً من المنزل ليلة أمس. فمن بين ذراعى كوين استطاعت أن تلمح جدراناً داكنة وأركاناً معتمة. والآن، يكشف ضوء النهار عن منزل جميل ملىء بالأجهزه الكهربائية التى تحمل طابعاً رجالياً. حادثت نفسها. لا توجد هنا جسور متحركة ولا خنادق.. وندت عنها ضحكة عصبية وهى تهبط الدرج.

كان من الواضح أنه منزل كوين. الجدران تزدان بإطارات تضم صوراً بالأبيض والأسود لمناظر وأماكن مختلفة من البلاد، يجمع بينها درجة من الكآبة التى تتدفق كأنهار ضحلة مظلمة. أدركت بيج سريعاً أن كوين هو الذى التقط هذه الصور.

وعلى منضدة بالصالة الأمامية كانت هناك كومة من الخطابات، كتبت عناوينها بنفس الخط المتدفق الثابت الذى تعرفه. وعلى ظهر أحد الكراسى، رأت ستره تويد ملقاة بلا إهتمام. إنها سترته. لمستها بيدها، وأحست بضربات قلبها الثقيلة المفاجئة.

وصلت الموسيقى إلى أسماعها تنساب من باب نصف مفتوح فى بداية الصالة. موسيقى موتسارت.. وسارت تجاهها على مهل. وعند مدخل الحجرة، توقفت، وفجأة جف حلقها. كان وحده فى حجرة الضيوف، وكانت تقول لنفسها أن من السهل أن تضع القواعد التى ستحكم حياتها الجديدة، فى هذه اللحظة، عرفت أن الأمر لن يكون بالبساطة التى تخيلتها. ولكنها ستفعل.. هذا هو المهم. رفع التصميم من هامتها، وتقدمت خطوة وطرقت الباب النصف مفتوح.

«ادخلى يا بيج. أغلقى الباب وراءك»

كان كوين يجلس إلى مكتب عتيق الطراز فى أقصى الحجرة. نهض عندما دخلت والقى ببعض الأوراق على المكتب الذى يفتقر إلى النظام.

كانت الحجرة جميلة. إلى جوار المكتب كانت هناك منضدة من النحاس وأخشاب الساج يعود طرازها لعصر حملات نابليون، وقد وضع عليها جهاز كومبيوتر أنيق. كانت الكتب تكاد تحجب الجدران مع مزيد من الصور، بعضها دون إطار وقد لصق على الحائط ببساطة. أكثر ما يلفت النظر فى الحجرة كان مصطلى النيران الرخامى، وقد إتقد الفحم بداخله طارداً برد الصباح. كانت الستائر تغطى بابين داخليين يطلان على ما إفترضت بيج أنه حديقه، وبين البابين وضعت منضدة

صغيرة.

عادت عيناها إلى كوين كان يرتدى سروالاً رمادياً وستره زرقاء قصيرة، وكان يرقبها بنظرة مندهشة.

سألها: «ما رأيك؟ هل أعجبتك الحجرة؟»

نظرت له بيج بثبات، وقالت: «قالت نورا أنك تريد رؤيتى»

ارتفع حاجباه دهشة، وقال: «لم تكن تلك هى الرسالة التى بعثتها على وجه الدقة. لقد طلبت منها إخبارك بأن الإفطار جاهز».

ارتسم خجل خفيف على وجنتيها، وقالت: «نعم، هذا ما قالته. ولكنى لا أتناول إفطاراً، شكراً لك. أنا أشرب قهوة فقط فى الصباح. و...»

قال مبتسماً: «وكذلك أنا. ولكنى ظننت، حيث أن هذا يوم خاص..»

إزداد تورد وجنتيها، وبدأت تشيح بوجهها، وهى مصممة على ألا تنزلق فى لعبة القط والفأر.

«إذا كان هذا كل ما أردت..»

«هل تفضلين قهوتك سادة؟ أم مع القشدة والسكر؟»

إجتاز الحجرة إلى المائدة القصيرة الأنيقة التى وضعت عليها الصينية.

«سادة، ولكن...»

كرر: «سادة» وتناول إبريق قهوة فضى. وعبقت الحجرة برائحة عطرية عندما ملأ فنجانين وناولها أحدهما، وقال: «سأتذكر ذلك. يجب أن يعرف الزوج القهوة التى تفضلها زوجته، ألا ترين ذلك؟»

التقطت نفساً عميقاً.

«كوين، هناك أمور يجب أن نناقشها...»

«القهوة أولا.. وبعد ذلك سأنظر فى النقاش». إرتشف بعضاً من قهوته ثم عاود النظر إليها، وقال: «هل تشعرين بتحسن؟»

أومأت، وقالت: «أفضل كثيراً أنا.. فقط كنت متعبة على ما أظن. أنا...»

التوى جانبا فمه بإبتسامة محدودة، وقال: «نعم، أنا أعرف. عندما القيت نظرة عليك..»

التقطت أنفاسها، وقالت: «عندما.. عندما القيت نظرة علىّ».

«نعم.. كنت أنت غائبة عن العالم».

عادت لها صورة كأنها حلم.. لمسات دافئة، وشفتاه تمس شفتيها بأرق القبلات.

وعندما رأيتك فى الصباح، وددت أن أدعك تنامين قدر ما تريدين. ولكن هذا يزيد من صعوبة التعود على فارق التوقيت» وأمال رأسه جانباً، وقال: «هل بقهوتك شىء خطأ يا بيج؟»

لكنه يعلم ما هو الخطأ، ذلك اللعين. إنها تستطيع رؤية السخرية فى أعماق عينيه الباردة الزرقاوية كمياه المحيط.

«هل كنت فى حجرتى أثناء الليل.. ثم هذا الصباح؟» هز رأسه موافقاً فتابعت: «ولكنك قلت...»

قال بتؤوه: «أنا كنت فى حجرتى»

حجرته. لقد نامت فى حجرته. فى فراشه.

«حجرتك» كان صوتها مرتفعاً فبدت الكلمات كأنها

ترتعش فى الهواء، وأضافت: «لقد ظننت.. لقد إفترضت أننى كنت فى حجره الضيوف».

إلتقت عينا كوين بعينيها، وقال: «لماذا تنام زوجتى فى حجرة الضيوف؟»

«كوين..»

ابتسم، وقال: «لقد نمت أنا فى حجرة الضيوف يا بيج»

إندفع زفيرها قوياً من رئتيها، وقالت: «لم يكن هذا ضرورياً» وتخضب وجهها خجلاً مرة أخرى، وأضافت: «أقصد أننى سأنام فى حجره الضيوف. أنا لا أجد بأساً فى..»

«ولكننى أجد بأساً» كان صوته واضحاً وكلماته حادة.

«حقيقة يا كوين، سيكون ذلك على ما يرام. أنا...»

«لا أظن أنك تفهمينني يا بيج. فنحن لن ننام فى حجرتين منفصلتين».

إهتز صوتها وهى تقول: «ليس لدى أية نيه لـ...»

قال: «أنت زوجتى» وكأنه التوضيح الوحيد اللازم، مسحت عيناه جسدها ببطء، كادت تشعر بعناقهما، وأضاف: «لقد رأت نورا أنها شهامة منى أن أدعك تنعمين بنومك فى ليلتنا الأولى معاً».

«أنا لا آبه البتة لما تقوله نورا. أنا...»

«لم تبلغ الحقيقة نصف هذا الاحترام». سرت كلماته خلالها كالبرق فى السماء المظلمة. وأضاف: «الحقيقة أننى أريد أن تكونى متيقظة ومستعدة بين ذراعىّ» والتقت عيناه بعينيها، وتابع: «ولهذا أمضيت ليلة أمس خارج فراشنا»

فراشنا! حدقت فيه! وتساءلت إن كان قد سمع دقات

قلبها، ورأته أنه قد إختار هذه الكلمات الناعمة عن قصد لكى يفقدها توازنها. ولكن نظره واحدة إلى وجهه، إلى وضع فكه المتحدى والبريق المتوحش فى عينيه، كل ذلك أنبأها أن ما قاله كان الحقيقة المجردة.

سارت بيج عبر الحجرة حيث وضعت فنجانها والصحفة على المائدة. وقالت بسرعة: «هذا مستحيل. نحن لسنا..» ضحك قائلاً: «لسنا ماذا؟ لسنا زوجاً وزوجة؟ توجد وثيقة رسمية على مكتبى تقول بذلك».

رفعت ذقنها قائلة فى تحد: «إن زواجنا عار. كلانا يعرف هذا يا كوين. نحن..»

إجتاز الحجرة إليها فى خطوات واسعة فتراجعت إلى الحائط.

قال بتؤده: «انصتى لى يا جميلتى جولييت.. أنا أحب أخى، ولكننى لست مرشحاً لأكون قديساً. كان الزواج منك لحماية آلان شىء، أما عدم الإستفادة مما حدث فهو شىء آخر مختلف تماماً.» أشاحت بوجهها عندما مد يده إليها، ولكنه أمسك بذقنها وأدار وجهها إليه، وقال: «سأكون جديراً باللعنة، لو كنت أنا الخاسر الوحيد فى هذا الأمر.»

أجبرت عينيها أن تلاقيا عينيه دون إجفال، وسألته بتؤده: «ماذا خسرت يا كوين؟.. لقد آذيت أخاك، وأربكت عائلتك، وأفسدت حياتى..»

إشتدت قبضته عندما إنزلقت لمؤخرة عنقها، تساءل: «أفسدت حياتك» كان صوته فى صمت القبور. وتابع: «لقد بلغت مأربك يا حبى. لقد أردت أن تتزوجى المال.. وأنا لدى أموال يا بيج أكثر مما يستطيع آلان أن يقدمه لك. لقد أردت أن

تتزوجى أحد أبناء فولر.. بحق الجحيم، كان لابد أن تتزوجى أحدهم، لأجل والدك.. حسناً، أنا أحد أبناء فولر: «إنفرجت شفتاه كاشفة عن أسنانه، وأضاف: «ليس الشخص المستهدف بخططك.. ولكن هذه ميزة، اليس كذلك؟»

قالت بيج بسرعة: «لا تقارن نفسك بآلان. أنت لا تشبهه فى أى شىء»..

كتمت أنفاسها عندما جذبها كوين إليه، وقال فى همسة خافتة: «بالضبط.. يكفى أن تفكرى فى متعتك بين أحضانى أكثر منك بين أحضانه».

أحست بالدماء تهرب من وجهها، وقالت: «هذا شىء مثير للغثيان. أنت..»

قال كوين بهدوء: «يمكننى أن أفهم الآن. هذه الرجفة البريئة على شفتيك، ونظرة الخوف فى عينيك..» وتحرك إبهامه بخفة على إمتداد حلقها، وتابع: «لا عجب أن ظن آلان..»

قالت بحدة: «لن أنام معك».

«ستفعلى ما يمليه عقدنا».

«ما يمليه ماذا؟»

«عقدنا. قسّم زواجنا». وابتسم ببرود ثم أضاف: «لا تقولى أنك قد نسيت فعلاً تسوية الأمور التى توصلنا لها».

مست بيج شفتيها بطرف لسانها، وقالت: «كانت كذلك بالضبط: تسوية و...»

«أنا أعرف المصطلحات يا بيج. صدقينى ليس لدى أى وهم بشأن حب ضخم»

«ولا أنا. وهذا سبب..»

قاطعها بصوت مرتفع: «سبب أنك كنت تفضلين آلان

أليس كذلك ؟.. سيكون ألين عريكه، لن يطلب أى شىء مطلقاً، ولن يسأل عن أى شىء.. وسيكون ممتناً لأى فتات تلقين به إليه» وأطبقت يداه على كتفيها قائلاً: «ولكننى لست آلان».

تجمعت الدموع فى جانبى عينيها، قالت بسرعة: «لا. أنت لا تشبه آلان فى أى شىء. إنه عطوف ومراع لمشاعر الآخرين، و..»

«وهو لا يصلح لمومس مثلك»

التوت ضد القوة الحديدية ليديه، وقالت: «لا تصفنى بذلك أيها اللعين. أنا..»

«لا عليك يا بيج، لا داعى لهذا الهراء. كلانا يعرف حقيقتك».

همست: «أنت لا تعرف أى شىء عنى»

«أنا أعرف كل شىء عنك. لكن آلان هو الذى لا يعرف شيئاً. لقد تبعتنى مثل..»

سألته فى تحد: «أنت لم تأبه عندما عرفت أننى مخطوبة لشخص آخر، اليس كذلك؟.. لقد قلت: (الجحيم على خطيبك.. إنسيه) ولكن عندما أدركت أننى مخطوبة لآلان...»

توترت عضلة فى فكه، وقال: تقصدين عندما أدركت أنك قد خدعته وأنك جعلته يراك على غير حقيقتك» وأضاف بهدوء: «أنا أعرف كيف أتعامل مع إمرأة مثلك. آلان لا يعرف. الأبرياء يحتاجون لمن يحميهم. هذا سبب أننى أخذتك منه».

سددت نظراتها إليه قائلة: «رائع جداً، كوين تقدم على

تضحية لأجل الأخ الأصغر»

«بمعنى؟»

ابتسمت ببرود، وقالت: «هل هذا هو السبب الذى تريد أن تصدقه؟»

أظلمت عيناه، وقال: «بحق الجحيم، ما المقصود بهذا السؤال؟»

قالت بصوت يفيض بالغل: «فقط أنصت لنفسك يا كوين. كل هذا الحديث عن (حماية) الأبرياء. هل يدخل إبتزاز النساء ودفعهن إلى فراشك ضمن هذه (الحماية) أنك قد تقدمها بكرم شديد.»

«اللعنة عليك يا بيج..»

«لماذا لا تحاول أن تكون صادقاً مع نفسك؟ أنت لم تتزوجنى لتحمى آلان. لقد فعلت ذلك لأنك تريدنى لنفسك».

اعتصرت يداه يديها وهو يجذبها إليه، وقال: «أنت تتمنين أن تصدقى هذا، أليس كذلك؟»

قالت: «لا أدرى لما لم أر ذلك قبل الآن» ذهبت رغبتها فى إيذائه بصوابها، وأضافت: «هل كنت تحاول إستغفالى أم استغفال نفسك؟ ليس هذا ما يهم.. كلانا يعرف الحقيقة، اليس كذلك؟ أراهن أنك إعتدت أن تخطف لِعَب آلان منه أيضاً».

ضحك قائلاً: «أنا أكبرُ آلان بتسعة أعوام تقريباً يا بيج الأشياء الوحيدة التى آخذها منه هى فقط ما يؤذيه» وتوقف، وارتسمت على جانبى فمه ابتسامة لا تحمل من الإبتسام شىء، وأضاف: «أشياء مثلك مثلاً»

«ماذا تعرف عنى أو عن آلان؟ لقد خرجت من حياته منذ سنتين، تلهو بالمعيشة مغترباً، تعبث بأجهزة الكومبيوتر...»

ضاقت عيناه وهو يحدق فيها، وقال: «يؤسفنى أن أخيب أملك، غير أن هذا لم يحدث. أنا لم (أعبث) بأى شىء. لقد عملت بجدية لعينة كى أصل لما حققته».

«إنه آلان الذى عمل بجدية، وحمل على كاهله العبء فى مؤسسة فولر بعد انسحابك».

سقطت يداه عن كتفيها، وقال بهدوء: «أنت لا تعرفى أى شىء بخصوص ذلك».

عندما راقبت وجهه، عرفت أنها قد نفذت تحت السطح الهادىء ومست بعض الجراح الخفية. وتحدثت بسرعة، باحثة عن كلمات ربما تجرحه.

«أنا أعرف ما يكفى. لقد تركت عائلتك...»

ضحك لإشمئزازها، وقال: «أنا فى ثقة الجحيم مما فعلت. لقد غادرت بناء على طلبهم.. ألم يخبرك آلان؟»

حدقت فيه بيج، وقالت: تقصد أن والديك قد طلب منك المغادرة؟»

ابتسم قائلاً: «أنا نفسى لا استطيع صياغة ما حدث فى كلمات أفضل من ذلك».

إسترسلت فى محاولة جرحة فقالت: «أنت تبدو.. أنت تبدو وكأنك فخور به»

«إنها الحقيقة اللعينة، أنا فخور به. ما فعلته..»

«يا لآلان التعس. كان يسميك (أخى الأكبر). وهو يتحدث عنك كأنه.. كأنك من طراز سيد خاص» نظرت له ثم أشاحت بوجهها وتابعت: «أنا سعيدة لأنه لا يعرف

الحقيقة.»

قال كوين بهدوء: «يا له من إخلاص»

إتقدت عينا بيج بالغضب. وقالت: «أعرف أنه شىء أبعد من أن تفهمه، ولكننى لا أريد أن أرى آلان وقد مسه الأذى.»

خفض رأسه فى تقدير ساخر، وقال: «رائع. لولا معرفتى الجيدة بك، لربما صدقتك.»

قالت بصوت كالفحيح: «فقط لو أنك لم ترجع. فقط لو بقيت بعيداً»

قال: «ولكنى لم أبق بعيداً» وجذبها إليه قائلاً: «لقد عاد الإبن المعربد.. وأفسد كل خططك الدقيقة البارعة. حظ سيىء يا محبوبتى».

«لا فائدة من النقاش معك، اليس كذلك؟ أنت على يقين لعين أنك على صواب..»

«أنا على صواب فيما يخصك يا بيج ستجدين من الصعب أن تصدقى ذلك، ولكن النساء من أمثالك لسن شيئاً نادراً».

رفعت بصرها إليه متسائلة: «ما المقصود بذلك؟»

«ما قلته فقط. لقد قابلت أمثالك من قبل. أنت وأمثالك تبعن أنفسكن مقابل أى شىء يمكن الحصول عليه.. لذة عابرة أو إثارة طويلة المدى ــ حسب المناسبة أوالمشترى ــ يمكن أن تقمن بأى منهما».

«يا إلهى، كم أكرهك. لا عجب أن قذف بك والدك بعيداً. ربما كنت من أولئك الصبية الملعونين الذين يخلقون المشاكل فى كل آن».

ضحك قائلاً: «لقد كنت من ذلك النوع الذى يفكر لمصلحته يا بيج. ولازلت كذلك. لو أن آلان طور من موهبته الفطرية فربما تمكن من الرؤية الصائبة واكتشف مسرحية الملكة الثلجية التى تمثلينها.»

شحب وجهها، وهمست: «لا حق لك فى أن تقول ذلك لى.. لم أكذب على آلان مطلقاً بشأن... بشأن هذا الأمر. إنه يعرف أن...»

«لم يعرف أى شىء. لقد جعلت ذاك اللقيط التعس نصف مقتنع أنك الجمال النائم وأنه الأمير الذى ستوقظك قبلته». قبض على كتفيها بقوة وجذبها إليه قائلاً: «فقط لو كان يعرف الحقيقة».

التوت بيج محاولة الإفلات منه، وقالت: «أنا لم أغر أخاك على الإطلاق. لقد كان يطاردنى. أنا...»

قال: «نعم، أراهن أنه فعل». كان صوته جاداً يفيض بالسخرية، وأضاف: «لقد جعلته كفرد مروض. تدلين له الجزرة فيتبعك إلى أى مكان. وكنت ستنجحين لو لم تلتقى بى صدفة».

رفعت بيج ذقنها، وقالت: «مرة أخرى نعود لنفس نقطة البدء: (كوين ينقذ آلان من براثن المرأة الفاتنة). أنا مندهشة أنك لم تحك لجميع عائلتك عنى. إذا صدقوا أكاذيبك، فكان مكانك سيتغير بين عشية وضحاها من خروف العائلة الأسود المنبوذ إلى بطل.» لمعت عيناها بالتحدى. وأضافت: «أتمنى ألا تكون أحمقاً لدرجة أن ترى فيما فعلته تذكره عودتك يا كوين. لقد إزداد سواد إسمك أكثر من أى وقت مضى.»

ضحك بصوت ناعم مرعب، وتظاهر بالاستحسان قائلاً:

«أداء رائع. أنا أكرر ما قلته سلفاً يا بيج: مثيلاتك لسن شيئاً فريداً، ولكن قد تكون مواهبك فريدة. علم نفس أخرق تافه وتمثيل حقير.. اللعنة، ولكنك بارعة» إنزلقت يداه إلى خصرها وجذبها إليه، وأضاف: «ولكنك لست بارعة بدرجة كافية».

سرى الخوف فى أوصالها عندما أحست بحرارة جسده وهو يلامس جسدها.

«دعنى»

ابتسم ببرود، وقال: «هل أفاد ذلك مع آلان؟» وشهقت عندما ضغطها إليه مستعرضاً قوته، وأضاف: «بيقين الجحيم، فإن ذلك لن يحرك لى ساكناً.»

«لا ت...»

إرتفعت يداه على ظهرها ثم أحاط بهما وجهها، وأماله إليه، وقال: «لم يكن هذا ما قلته على الشاطىء.»

ردت بسرعة: «كان لابد أن أقوله.. وها أنذا أقوله الآن. أرجوك..»

قال بهدوء: «عودة ملكة الثلج، يا لها من فتنة» تحرك اصبعا ابهامه ببطء على حلقها، وابتسم لها إبتسامة خطرة خاطفة، وقال: «ولكن الوقت متأخر جداً لمحاولة ذلك يا بيج. لن يجدى، ليس معى»..

سألت فى يأس: «أليس بإمكانك.. أليس بإمكانك أن تنسى تلك الليلة؟ لقد قلت لها مراراً وتكراراً أنها كانت غلطة. إنها كانت...»

بدت عيناه غامضة وهو يلف يديه حول عنقها، وقال بصوت ناعم: «لقد عرفت نساء كثيرات يا جولييت الجميلة..

أرادت بعضهم القيام ببعض الألعاب التى ربما تصيبك بالخجل. ولكن ما حدث على هذا الشاطىء..»

بسطت يديها على صدره، وقالت: «أنا.. أنا لا أريد أن أتحدث عنه. كان.. كان كما لو..»

ضحك بهدوء، وقال: «أنت لست مضطرة لإخبارى كيف كان. أنا أذكره.. وسأظل دائماً أذكره.» وغلظ صوته بينما تابع: «لماذا لم تعودى لى؟»

«أنا.. أنا لم استطع. كانوا.. كانوا ينتظروننى. وقد كان ما فعلناه خطأ. كنت.. كنت سأتزوج آلان خلال أيام قلائل. كنت..»

أظلمت عيناه، وقال: كنت خائفة من ضبطك.»

«نعم. لا، لا. ليس كذلك أنا.. أنا كنت مرتبكة. لم أرد أن أوذى آلان. أنا..»

«تقصدى أنك لم تريدى أن تخسرى الربح الذى جاهدتى بقوة لتحقيقه. لقد عدت إلى قاعة الرقص وواصلت إمتاع نفسك. ماذا لو كان شخص ما قد رآنا؟ كانت كل خططك ستذهب أدراج الرياح.»

«أنت على خطأ يا كوين، أنا..»

حاولت أن تشيح بوجهها بعيداً عنه، ولكن منعتها يداه.

«لاجنس بدون الزواج. هذا كل ما فى الأمر، ليس كذلك؟ كان هذا ما أوقعت به آلان فى المقام الأول.»

«لقد سمعت ما يكفينى. لن أدعك تقول هذه الأشياء لى. أنا..»

«ولكنك كنت ستشاركين فراشه بعد الزواج» كان هناك إنهاك مخيف يتسلل إلى عظامها، وجردها من كل قوتها وزمجر:

«أجيبينى هل كنت ستسمحين له بذلك؟»

تمتمت: «نعم»

«لأنه سيكون زوجك.»

قالت مرة أخرى: «نعم»

التقط كوين أنفاسه بعصبية، وقال: «لأن هذا سيكون مكافأته إذا جعلك أحد أفراد عائلة فولر.»

رفعت رأسها فى حدة، وقالت: «لا، اللعنة عليك..»

كان هناك شر يتأجج فى عينيه، وقال بهدوء: «حسناً، أنت الآن أحد أفراد آل فولر يا بيج». إنزلقت يداه إلى أسفل حلقها، إلى كتفيها، إلى ظهرها. وتأوهت عندما جذبها إليه قائلاً: «وهذا وقت المكافأة».

بدأت ترتعد بين ذراعيه، وقالت: «لا تفعل ذلك يا كوين. لقد عقدنا صفقة..»

«نعم. قلت أننى سأحمى والدك إذا تزوجتنى»

«ولقد تزوجتك يا كوين. أنا..»

تحركت يداه على جسدها مضرماً فيه النار ببطء. وهمس: «نعم. لقد فعلت. وأنا الآن أريدك فى أحضانى.»

كانت لمسته واثقة وخبيرة، وبدأت ترتجف تحتها.

التقطت أنفاسها قائلة: «دعنى أعود لبيتى يا كوين. أتوسل إليك..»

«هذا بيتك يا بيج»

«طلقنى. إفسخ عقدنا..»

ضحك بتؤوه، وقال: «لن يكون هناك أى مجال للفسخ. ليس بعد الليلة»

ومع آخر ذره فى جهدها، رفعت بيج رأسها وسدد نظراتها

إلى عينيه.

قالت: «أتمنى أن تُحرق فى الجحيم»

ومض ضوء فى أعماق عينيه الزرقاء بلون أغوار البحر.

وهمس: «أحياناً يا جولييت الجميلة. أعتقد أننى فيه فعلاً.»

الفصل السابع

(إنه رجل يعرف ما يريد)

«سيدة فولر؟ هل يمكننى الدخول يا سيدتى».

أدارت بيج ظهرها للمرآة، وقالت «نعم يا نورا. ما الأمر؟»

فتحت مديرة المنزل الباب ودلفت إلى الحجرة قائلة: «لقد ظننت أننى يجب أن أتوقف قبل أن..» وصمتت فجأة ووضعت يدها على فمها، ثم قالت: «ألا تبدين رائعة فى هذا الفستان يا سيدة فولر؟ يا له من لون مثالى لك»

رنت بيج ببصرها للمرآة. كان ثوباً مخملياً اشتراه لها كوين بعد ظهر اليوم. أحست أنه رائع.. أو هكذا كان سيبدو فى ظل ظروف أخرى.

هزت بيج كتفيها بلا مبالاه، وقالت: «نعم. أظن ذلك».

مست نورا قميصاً داخلياً مكوماً على أحد المقاعد. وابتسمت لبيج قائلة: «كل شىء جميل جداً. هل أنت واثقة أنك لا تريدينى أن أفرغ باقى هذه الصناديق؟»

www.elromancia.com

مدت بيج بصرها إلى كومة الصناديق المجاورة لخزانة الثياب والتى لم تفتح بعد، وقالت: لا، شكراً يا نورا. سأعنى بها فيما بعد»

إحمر وجه نورا، وقالت: «أوه، ولكنى لست أدرى.. هل سيكون لديك وقت.. أقصد أن السيد فولر قد أعد سهرة رائعة. لقد طلب منى إعداد المائدة فى المكتبة، وأن أبرد بعض الشمبانيا».

قالت بيج بسرعة: «هذا طيب.. سوف.. سوف أجد الوقت. هل هناك شىء آخر يا نورا؟»

هزت مديرة المنزل رأسها، وقالت: «فقط أردت أن أخبرك أننى فى أجازة يا سيدتى» ووضعت يدها على مقبض الباب، وابتسمت لبيج قائلة: «لقد إتصلت بأختى وأخبرتها أننى سأقوم بزيارة مفاجئة لهم. ولقد أبدت سرورها لذلك.. كما أننى أخبرتها بالأشياء الجميلة التى منحتها لى لأجل إبنة أختى. لا أستطيع أن أفيك حقك من الشكر يا سيدة فولر. يا لها من فساتين جميلة.. ومعظمها جديد. سوف تسعد بهم ليلى كثيراً»

«نعم، أرجو ذلك يا نورا. إذا كان ذلك هو كل ما..»

طرقت مديرة المنزل بأصبعها على فمها، وقالت بإستغراق: «أظن ذلك.. توجد بطة فى الشواية والحساء جاهز. لقد طمأننى السيد فولر على أنه سيهتم بهذه الأمور».

إستدرات بيج بسرعة، وقالت: «نعم. أنا متأكدة أنه سيفعل».

«حسناً، سأذهب أنا إذن» وتوقفت بالباب، وقالت: «هل أنت متأكدة بشأن الملابس يا سيدتى؟ لم أستطع تصديق السيد فولر عندما طلب منى التخلص منها كلها. أنا..»

ربتت بيج على ذراع المرأة، وقالت بسرعة: «يسعدنى أن إبنة أختك ستستطيع إستخدامها. أخبريها.. أخبريها بأن تستمتع بكل شىء».

ابتسمت المرأة مرة أخرى وجذبت الباب لتفتحه، ثم قالت: «أليس غريباً؟» نظرت بيج مستفحمة، وتابعت قائلة: «السيد فولر يا سيدتى. أى شىء على الأرض يجعله يريدك أن تتخلصى من كل جهاز عرسك الثمين هذا.»

لأنه لقيط.. هكذا ودت أن ترد، ولكنها قالت: «أنا.. أنا فعلاً لا أعرف يا نورا.»

«حسناً، طابت ليلتك يا سيدتى»

«طابت ليلتك يا نورا»

استطاعت بيج أن تحتفظ بابتسامتها حتى أغلق الباب، ثم استلقت على الفراش ونظرت فى الساعة الثامنة تقريباً.. فكرت بسخرية.. تكاد تكون ساعة الصفر. لقد إهتم كوين فعلاً بالأمور. الشمبانيا الباردة، الفستان المخملى الضيق الذى ترتديه كان هو الذى إنتقاه وأشتراه، بل إنه فكر فى إعطاء نورا أجازة هذه الليلة، هل يخشى أن تصرخ بيج طالبة النجدة عندما يأخذها إلى حجرة نومه؟

نهضت بيج وأخذت تذرع الحجرة جيئة وذهاباً وقد تجهم وجهها. لم يكن به حاجة للقلق. إنها لا تنوى إعطائه رضا الإحساس بأى نوع من الاستجابة، ولا حتى إستجابة سلبية. ستفعل المطلوب منها فقط، تماماً مثلماً كانت طوال اليوم، بدءاً من الصباح عندما أخبرها فى هدوء أنه سيتخلص من كل جهازها. كل ما فعله ــ وسيفعله ــ يقصد بها تذكيرها بأنه يمتلكها.. أنها تحمل إسمه، وتعيش فى بيته.. أنها ملكه.

نظرت بيج لصورتها فى المرآة. كان وجهها شاحباً، ماعدا نقطتين ملونتين على وجنتيها. مست وجهها بكفيها الرطبتين. لا تتركى كوين يرى مدى خوفك. إنه يمتلك كل المزايا. ولكن بالنسبة للحب.. فمن الصعب أن تتذكر أنها أحست بأى بادرة حب تجاهه على الإطلاق. إن استحواذه عليها شىء، وإندماجها العاطفى التام معه هو شىء آخر تماماً. هذه الحقيقة رغم كل شىء. «وقت المكافأة» هكذا قال فى الصباح. وقد حان الوقت.

شمبانيا. وربما الشموع. موسيقى هادئة. لم يكن كوين هيجياً. لو إستطاع إغواءها، فسيفعل. وأما إذا لم يستطع.. سرت رعدة خلالها. لن يوقفه شىء. إنه رجل يعرف مايريد ويحصل عليه دائماً. لقد أمضى طول اليوم يثبت لها ذلك.

عندما همت بالخروج مسرعة من المكتبة هذا الصباح، لاحقها بصوت أجش: «أين تذهبين؟»

أجابته بتحد: «إلى حجرتى»

وانتظرت نصف متوقعة أن يذكرها بأن ليس لها حجرة تدعى ملكيتها. ولكنه هز رأسه فقط.

«سنخرج. أحضرى معطفك»

«سنخرج؟ ولكن..»

كرر بصبر نافذ: «أحضرى معطفك. لدينا الكثير لنفعله».

فى السيارة، أخبرها أن عليها التخلص من كل شىء أحضرته معها.

«إعطه لنورا لو أردت. إن لديها ابنة أخت أو إبنة عم أو شىء كهذا..»

«ولكن.. ولكن كل حاجياتى جديدة يا كوين. لامعنى

لذلك».

أدار لها وجه بارد، وقال: «لقد أخبرت نورا فعلاً أنها تستطع أخذ ما تريد. وطلبت منى إبلاغك بإمتنانها العميق».

إرتجف فم بيج. وقالت بلهجة جافة: «أنا متأكدة من ذلك» ثم أشاحت بوجهها وحدقت فى لاشىء عبر نافذة الجاجوار الخضراء الداكنة.

لقد تخلص من حاجياتها حتى دون أن يستشيرها. ليس من الصعب أن تفهم الأسباب. لقد كان يفصلها عن حياتها السابقة، وفى نفس الوقت، يسمها بطابعه كإحدى ممتلكاته. وكانت عاجزة أمامه. إجتازوا الشوارع وتداخلت الألوان وهى تمر أمام ناظريها. قصر باكنجهام، وقبعات الحرس الكبيرة المميزة ومعاطفهم الحمراء؛ ثم مبنى الحكومة البريطانية، والألوان السوداء والفضية لحارس يمتطى فرساً ساكناً كأنما نُحت من الجرانيت، وعلم بريطانيا يرفرف بألوانه الحمراء والبيضاء والزرقاء فوق مبانى البرلمان.

كم كان اليوم رائعاً، وكم كان قلبها مليئاً بالأسف.

وكانت هناك ومضات سريعة لأشياء أخرى. ذلك الرجل العجوز يسير بخطى عسكرية فى ميدان بيكا ديللى، مفرود الظهر، مسدد نظره للأمام وهو يحمل لافته توضح أن الوجبة الغنية بالبروتين هى سبب كل الآثام فى العالم. بدا من الطبيعى أن تضحك وإستدارت إلى كوين بجانبها، وقالت: قبل أن تفكر: «إن هذا الرجل لابد له مثيل فى نيويورك يلقى باللوم على آكلى اللحوم». ضحك كوين أيضاً إلى أن إلتقت عيونهما، وعندها ماتت ضحكاتهما.

ثم كانت تلك اللحظة حينما وقفا فى متجر ملابس فى شارع

بوند، وكانت بيج تجرب ذلك الفستان المخملى الذى تريدين الآن. بقبقت موظفة البيع من السرور عندما أشار كوين بأصبع متعجرف لنصف دستة من الثياب التى جربتها بيج.

قال: «سنأخذ هؤلاء»

وسألت الموظفة: «والفستان الذى ترتديه السيدة» إنه مضبوط علينا تماماً. وهذا اللون الأرجوانى الشاحب هو نفس لون عينيها»

قال كوين بسرعة: «لا. لون عينيها أعمق. بلون البنفسج».

توقف قلب بيج عندما نظرت له فى المرآة. وللحظة كأنها الدهر، كانا وحدهما، على شاطىء لا يضم غيرهما. وعندئذ قهقهت الموظفة عن عمد. وضاقت عينا كوين وأطلق زفراته.

قال بخشونة: «سنأخذ الفستان أيضاً». وولت اللحظة القصيرة للأبد.

لم يستردادها على الإطلاق، فى أى من المحلات أو المتاجر، ولا وسط الصخب المحبب بمحلات هارودز. كان كوين يشير إلى ما يوافق هواه. وجربت بيج فى فتور ما بدا أنه عدد لا نهائى من الفساتين والتنورات والسترات والسراويل من الصوف والحرير والكشمير، وبدت جميعها كأنها صنعت من مسوح الحداد

قال كوين: «أخبرينى بما يعجبك»

كانت تعطى نفس الاجابة دائماً: «لا فرق»

بعد فترة أصبحت إجابته معروفة سلفاً مثل إجابتها. كان يقول بصوت أجش: «سوف نأخذهم جميعاً». وأخيراً تكومت الصناديق فى حقيبة الجاجوار الخلفية وفى مقعدها الخلفى وفاضت عنهما، واضطر كوين أن يطلب من البائعين الجاحظى

العيون أن يعملوا على توصيل تلك الأشياء، التى إشتراها بحماسة لامبالية، إلى منزله.

كان آخر ما إشتراه لها خاتم زفاف. كانت الجواهر تبرق إزاء المخمل الأسود الذى يغطى كل شىء فى المحل الهادىء الذى أخذها إليه.

أجلسهما صاحب المحل ثم أحضر لهما بعض صوانى تضم خواتم رائعة تلتهب جميعها ببريق الماس والزمرد والياقوت.

لم يبد أى تعبير فى عينى كوين عندما حدقت بيج فى المعروضات البراقة. القى على المعروضات نظرة خاطفة لامبالية، وقال: «خذى أى شىء يعجبك»

خطف أبصارها عقد يزدان باليواقيت، وفكرت فى الحجر الأحمر الدموى الذى يرقد بين نهديها، مختفياً عن العالم تحت بلوزتها، وتذكرت ليلة أن أعطاه لها كوين. وصعدت عضه إلى حلقها.

قالت لصاحب المحل: «أنا لا أريد أياً من هذه هل لديك شىء أقل زخرفة»

هز الرجل كتفيه، وقال: «إذا كانت السيدة تفضل فعلاً...»

قاطعه كوين بحدة: «هل لديك شىء أم لا؟»

«نعم، بالطبع. ولكن هذه..»

«أحضر لزوجتى ما طلبته.»

عندما وقفا خارج المحل مرة أخرى، حدق فيها كوين، وقد إكتسا وجهه بتعبير حذر غريب «هل أنت متأكدة أن هذا هو الخاتم الذى تريدينه؟»

نظرت بيج إلى الخاتم الذهبى البسيط بأصبعها وأومأت

قائلة : «لقد.. لقد إشتريت لى الكثير فعلاً.»

وضع يده على ذراعها وأجاب كأنه يفسر كل شىء : «أنت زوجتى»

ضاقت عيناها قليلاً، وهمست : «أعرف من أكون. لست مضطراً لأن تكسونى بذهبك لمجرد أن تذكرنى بذلك»

«هل هذا ما تعتقدين أنى أفعله ؟»

قالت بحدة أدهشتها هى ذاتها : «لأى سبب آخر قد تفعل ذلك ؟» وقبل أن يتمكن من الاجابة تخلصت من يده وهبطت الرصيف.

حدث كل شىء فى لحظة. علا نفير سيارة، كأنه فى أذنها، وأطبق كوين ذراعه حولها ورفعها إلى الرصيف بجانبه، ولمحت بيج من خلال رعبها شبح باص أحمر يمرق كالسهم بالمكان الذى كانت تقف فيه لتوها.

وزمجر كوين : «أيتها البلهاء الصغيرة» وأدارها إليه قائلاً : «لقد كدت تقتلين نفسك»

قالت بأنفاس متقطعة : «أنا... أنا نسيت نظام المرور هنا. أنا..»

وبلا سبب مفهوم إمتلأت عيناها بالدموع. وسألها : «ما الأمر؟... بيج..»

رفعت إليه بصرها. كانت عيناه متقدمان بنظرة تحيطها بالحماية.. كأنهما تقولان أنت زوجتى. إضطربت نباضتها، فأستندت إليه.

قبضت يداه على يديها، وقال بصوت أجش : «دعينا نعود للمنزل»

عاد الواقع فى لمح البصر، وقالت : «ستحصل على

ما دفعت ثمنه الليلة يا كوين. ألا يمكنك الإنتظار بضع ساعات أخرى ؟»

ارتسمت خطوط على جانبى فه وهو يصيح : «بيج...»

«وهذا المنزل ليس بيتى. ولن يكون.»

تصلب فه، وزمجر : «إنها حقيقة لعينة.. وسأنظر فى ذلك» وأحتك عقباها بالرصيف وهو يجذبها تجاه السيارة.

ظلا صامتين وهو يمرق بالسيارة خلال شوارع لندن، مندفعاً بمجرد تغير إشارات المرور ومنزلقاً بين السيارات فى إندفاع متهور. عندما توقف أمام منزل من القرميد بشارع هادىء. كانا بعيدين عن بعضهما مثلما كانا أثناء رحلة الكونكورد.

قال كوين بلهجة مقتضبة : «لقد طلبت من المحامى إعداد بعض الأوراق. من يستغرق ذلك وقتاً»

كان محامى كوين لطيفاً، ولكن، وبدرجة واضحة، غير مريح.

دفع إليها عبر مكتبة بوثيقة قانونية طويلة، وقال : «نحن نفعل ذلك دائماً يا سيدة فولر.»

سألت : «ما هذا ؟» ولكن كان كوين هو الذى أجاب.

«عقد زواج. إذا اضطررت لطلاقك، سيضمن لك ملابسك وعشرة آلاف جنيه.» وتفحصت عيناه بينما تابع : «إنه قانونى تماماً، فقد وضع إعتبار لكل شىء. ألا توافقين يا بيج ؟»

التقت عيناها بعينيه دون أن تجفل، وقالت : «وإذا طلبت أنا الطلاق ؟»

ابتسم كوين، وقال بهدوء : «لن تفعلى. أم أنك نسيت والدك ؟»

إستمدت الشجاعة التى تحتاجها من وجه محاميه الشاحب الغير مصدق، وقالت: «لن أوقع على هذا» وأزاحت الأوراق جانباً.

ضحك كوين بصوت مرتفع، وقال: «نحن نركز تفكيرنا الآن على الأساسيات. أليس كذلك؟»

كانت ابتسامتها باردة، وقالت: «الأساسيات الجوهرية. كل ما أريده منك هو تذكرة ذهاب فقط إلى أمريكا».

تنحنح المحامى، وقال: «فى الحقيقة ياسيدة فولر، هذا شىء بالغ الغرابة»

كانت ابتسامة زوجها لها باردة كابتسامتها، وسألها بهدوء: «ماهى اللعبة هذه المرة يامحبوبتى؟» رفعت بيج ذقنها، وقالت: «وماذا يهم؟ طالما أنك أنت الفائز دائماً».

قال: «أنا أتقف معك».

والآن، وهى تنظر فى المرآة، وتحس على كتفيها بنعومة الفستان المخملى الذى إشتراه لها كوين، أدركت بيج أنه قد إمتلكها، ويمكن أن ينبذها عندما يريد. وسيفعل. لقد أقنعها بذلك هذا العقد الذى وقعته بشجاعة مزعومة. عندما يمل منها، عندما يكتفى بما نفس عنه فى جسدها من الغضب ماسوف يلقى بها بعيداً. لاتأثير للحب على رغبته. ولكن لايهم، فقد إتضح أن الغضب والرغبة والهوى تؤدى جميعها إلى نفس النهاية.

وقت الساعة الثامنة. ساعة الصفر. وقت تمثيل تناول العشاء. إمتدت يدها إلى زر الكهرباء وأغرقت الحجرة فى الظلام.

كان كوين ينتظرها فى المكتبة مثلما فعل فى الصباح.

توقفت وراقبته من مدخل الحجرة. كانت المائدة قد أعدت بتكلف بجوار البابين الداخليين. أحست بيج بلمسة من السخرية عندما لاحظت الزهور التى تزينها. وعلى مكتب كوين وضع كأسان محززان ودلو به زجاجة شمبانيا تحيطها قطع الثلج. كانت الأنوار خافتة، وكما توقعت كانت هناك موسيقى.. موسيقى رشمانينوف تنساب برقة. أحست أنه مشهد إغواء كامل.. وعندئذ نهض كوين واقفاً واستدار ليواجهها.

قفز قلبها إلى حلقها. كيف تستطيع أن تكرهه بينما تظل تشعر بهذا الإحساس عندما تراه؟ كان يرتدى ثياباً تماثل ما كان يرتديه فى أول لقاء لهما، بدلة سهرة وقميص مكشكش. برقت عيناه وهما تجريان على جسدها. كان وسيماً جداً.. كأسد فى ريعان قوته.

لاحت ابتسامة سريعة على فمه، وقال برقة: «مساء الخير»

«مساء الخير» ونظرت له مرة ثانية، وطالت نظرتها إليه وتورد وجهها، وقالت: «آسفة لأننى تأخرت، ولكن..»

«لقد كان الأمر يستحق الإنتظار. أنت تبدين رائعة يابيج.»

إزداد تورد وجنتيها، وقالت: «شكراً. لكنه لست أنا، بل هو ذلك الفستان الذى إشتريته.»

«هل ترغبين فى بعض الشمبانيا»

«لا. أقصد، نعم، لامانع»

ظنت أن الشمبانيا ستسهل مما سيحدث فيما بعد، أليس من المفترض أن تصيبها الخمر بالدوار وتبلد الأحاسيس؟ أخذت الكأس التى ناولها لها وافتعلت ابتسامة مبتسمة.

«لقد تركت نوراً لنا وليمة كبيرة تنتظرنا. عندما

تستعدين .. »

عندما تستعدين .. بمجرد أن سمعتها أسرعت قائلة : « ليس بعد » قالتها بسرعة كبيرة . نظر لها كوين ، ورفع أحد حاجبيه فى تعجب . قالت : « أنا .. أنا أريد مزيداً من الشمبانيا أولاً . » وأمالت الكأس إلى شفتيها وتجرعت السائل الذهبى الشاحب ، وقالت : « رائع جداً »

ابتسم وهو يملأ كأسها ، وقال : « من المفترض أن ترشفيه »

« هل يهم ذلك ؟ فقط المهم أن ... »

إكفهر وجهه ، وقال بتؤده : « أوه .. لقد فهمت الآن . فقط المهم أن تسكرى ، أليس كذلك ؟ »

« انظر يا كوين ... ماذا تفعل ؟ »

« آخذ الشمبانيا منك . لا أريد أن تصاب معدتك بسوء يا بيج . سوف نتناول العشاء ، و ... »

قالت بسخرية : « لا ، بالطبع أنت لا تريدنى أن أمرض .. ليس الليلة »

إنزلقت ذراع كوين بخفة حول خصرها ، وقادها للمائدة ، وقال بلطف : « ولا فى أى ليلة .. آخر مرة حاولت فيها مساعدة مخمور ، لم أنجح فى ذلك . »

ضحكت بيج بقسوة وهو يقدم لها الطعام ، وقالت : « كوين فولر العظيم ، ليس ماهر فى شىء ما ؟ لا أستطيع تصديق أذنىّ . لا بد أن من وصفك بهذا كان يكذب . »

« آلان هو الذى قال ذلك . منذ أعوام مضت قبل أن أترك المنزل مباشرة . كان كلانا .. حسناً ، دعينا نقول أننا لم يكن لدينا أى مشاكل . كان آلان فى الثانية عشرة ، وكان قد احتسى معظم ما يحتويه صندوق به ست زجاجات » وهز رأسه

لدى التذكر ، وتابع : « اللعنة ولكنه كان ثملاً » .

« آسف ، ولكنى لا أتحمل مسئولية ذلك . لقد فعل الأخ الأصغر كل شىء بنفسه . كان بالخارج مع بعض أترابه . ودخل متسللاً بعد عودتى مباشرة من حفل زفاف أحد الأصدقاء » . وجه لها نظرة خاطفة ، وأضاف : « ألم يقص عليك هذه القصة مطلقاً ؟ »

هزت بيج رأسها ببطء نافية ذلك ، وفكرت فى مدى ضآلة ما كانا ــ هى وآلان ــ يتقاسمانه . وقالت : « لا ، لم يفعل »

أومأ كوين ، وقال مبتسماً : « ربما تكون مزعجة جداً . ولكنها لم تكن مخيفة . كان مجرد طفل ، يُجرب ، راغباً أن يكون كبيراً قبل أن يعرف أن الكبار يريدون تماماً أن يكونوا أطفالاً . كانت لنا حجرة حمام مشتركة . وسمعته يصدر آهات المرض . بالطبع ذهبت لمساعدته » ابتسم كاشفاً عن أسنانه لدى هذه الذكرى ، وتابع : « المشكلة أن معدتى لم تكن على ما يرام فى تلك اللحظة . ولذلك عندما رأيت ما حدث لآلان .. »

ضحك وهز رأسه ، وتابع : « عندما عثرت علينا أمنا ، استشاطت غضباً . »

كان صعباً ألا تبتسم ، وقالت : « نعم يمكننى تخيل ذلك . ماذا فعلت ؟ هل أرسلتكما إلى حجرتيكما ؟ »

تلاشت إبتسامة كوين ، وقال : « هذا ما فعلته مع آلان . وبالنسبة لى .. كنت أكبر بعض الشىء من أن أُرسَل لحجرتى » . وضع كرسيه وسكينته ودفع كرسيه للوزاء ، وتابع : « ولذلك فعل الرجل الكبير أفضل شىء .. طلب منى الرحيل . »

حدقت فيه بيج بإنشداه ، وقالت : « الرحيل ؟ ولكنك لم

تفعل أى شىء ؟ »

« هذا من وجهه نظرك . أنا لا أصدق أن آلان لم يحك لك أى شىء عن ذلك . لقد سبب له إحباطاً كبيراً . »

قالت : « نحن ... أنا وآلان لم ... » رفعت بيج نظرها عن طبقها ، وقالت : « لقد كنتما ... قريبين فعلاً ، أليس كذلك ؟ »

أومأ كوين ، وقال : « ربما بسبب فارق السن .. لقد إعتدت أخذه لزيارة بعض الأماكن ، ومشاركته فى بعض الألعاب . يعلم الله أن والدنا لم يفعل ذلك مطلقاً . لقد علمته ركوب الدراجات ولعب الشطرنج » وضاقت عيناه فى محاولته للتذكر ، وتابع : « لقد ظللت أعواماً أفكر فى ترك ذلك المنزل . كنت أقول لنفسى أننى لا استطيع وذلك كى لا أترك آلان بمفرده . الحقيقة أننى أدركت كم إفتقدته إلى أبعد الحدود . »

وضعت بيج شوكتها ، وقالت : « ليس هذا مايظنه الناس . »

ضحك قائلاً : « نعم ، أعرف ذلك . كان يُنظَّر لى على أننى خروف العائلة الأسود المضروب به المثل . » رفع كأس الشمبانيا وراقب تصاعد الفقاقيع ، وأضاف : « أظن أننى كنت كذلك بطريقة ما . فى منزل فولر ، أنت تفعلين مايقال لك ، لا اسئلة تُقدَّم البتة . »

قالت بتؤوه : « نعم » وفكرت فى خطط السيدة فولر للزفاف وفى قرار السيد فولر بأن يرسل آلان إلى أمريكا الجنوبية ، وكررت : « نعم ، أنا أعرف » .

أومأ كوين قائلاً : « لقد توافق آلان مع ذلك مبكراً . أنا .. لم أستطع على الإطلاق . »

حدق فى الفضاء ثم أخذ رشفة من الشمبانيا ، وتابع :

« أنظرى ، حتى ذلك الوقت لم يظهر شىء على السطح غير أننى إرتكبت الكثير من الأخطاء . »

« أى أخطاء ؟ »

نظر لها بعينين ضيقتين ، وقال : « هل تريدين فعلاً سماع كل هذا ؟ »

فجأة ، أحست أنها ترغب فى ذلك . كانت تريد أن تعرف المزيد عن ذلك الرجل الغامض القوى الذى قلب حياتها رأساً على عقب .

قالت ببساطة : « نعم »

حدق فيها كوين ثم أومأ قائلاً : « حسناً » ونهض على قدميه ، وضحك قائلاً : « لم لا ؟ » ولكنها لم تكن ضحكة بقدر ما كانت رد فعل ساخر ، وقال : « لا يجب على الزوجين أن يستخرجا الأسرار من بعضهما أليس كذلك ؟ » لم تقل بيج شيئاً بينما سار إلى الباب الداخلى وسدد بصره إلى الظلام ، وقال : « إنها ليست أسوأ قصة فى العالم . أظن أننى كنت دائماً أسبب لوالدىّ أوقاتاً صعبة . لقد سجل إسمى فى مدرسته الإعدادية يوم مولدى . عندما بلغت السابعة عشرة ، طُلب منى بكياسة أن أرحل لدخول الكلية . لك أن تتخيلى كم أنه أحب ذلك . وعندئذ إنقطعت عن الذهاب للكلية .. كليته الأم بالطبع . وعندما طلبت منه تسجيل إسمى فى مدرسة كومبيوتر ، قال لى : « لا تكن غبياً ، لا مستقبل للكومبيوتر . »

هزت بيج رأسها ، وقالت : « ولكنك تمتلك مؤسسة كومبيوتر . لقد قلت .. »

قالت بتؤوه : « نعم . لقد قلت ذلك »

«هل غير رأيه عندئذ؟ هل وافق على إرسالك إلى مدرسة أخرى؟»

إستند كوين بيديه إلى إطار المصطلى، وحدق فى قطع الفحم قائلاً: «أنا ووالدى لم نتفق إطلاقاً. حول أى شىء. لقد طلب منى العودة للكلية والكف عن إثارة المشاكل إذا كنت أريد أن يساندنى. وإلا..»

قالت بلهفة: «وإلا؟»

هز كتفيه قائلاً: «وإلا يكون على التكفل بنفسى.» وابتسم مضيفاً: «ولذلك بحثت عن عمل.. حمل شكائر الأسمنت. كانت تدر على دخلاً طيباً.. بالنسبة لفتى لم يتدرب على أى شىء سوى إستخدام الشوكة فى تناول طعامه. ولقد جُن والدى لذلك». وعادت ابتسامته مرة أخرى، وتابع، يا إلهى كم كره أن أدخل وأخرج من ذلك المنزل فى ثياب العمال.. وأمى.. كانت تقول: (ماذا سيظن الناس؟). الجحيم، فى الوقت الذى اتجه فيه آلان للشرب، أحسست أننى أنا ضل فى سبيل نجاحى. كان لابد أن أرحل قبل ذلك بوقت طويل».

«هل إتهموك فعلاً بأنك السبب فى إسراف آلان فى الشرب حتى السُكر؟»

«نعم، قالوا أننى كان لى دائماً تأثيراً سيئاً عليه» أظلمت عيناه، وتابع: «وقتها بكى آلان... كان مجرد طفل. وأنا.. أنا حزمت متاعى: فرشاه أسنان وسروال آخر من الجينز ورحلت.»

«ولكن إلى أين؟ كيف عشت؟»

«لم يكن الأمر بمثل هذا السوء يا بيج. لم أكن طفلاً.

كنت تقريباً فى الواحدة والعشرين. لقد نظرت للأمر على أن يوم الإستقلال قد تأخر كثيراً». إنثنى وألقى بقطعة خشب إلى النار، وتابع: «خلال العامين التاليين، أرسلت لآلان خطابات من أكثر من مائة مكان مختلف. لقد عملت فى أى مكان يأوينى وفى أى شىء يُطلب منى.»

وابتسم ابتسامة عريضة قائلاً: «لقد تبدلت عضلاتى التى شببت بها بعضلات جديدة من جراء إشتغالى كعامل. لقد تعلمت أن استخدام يديك فى صنع حياتك أشد قسوة من إستخدام عقلك».

تنقلت نظرة بيج بين كتفيه وذراعيه وتباطئت على العضلات البارزة تحت سترته. ورأت أن ذلك يفسر الكثير كل شىء حكاه لها يفسر الكثير. لم يكن الرجل الذى إنسحب من الميدان، بل كان الرجل الذى حمل المسئولية. لم يحملها كعبأ ولكن كعلامة على الإعتداد بالنفس.

راقبت وجهه وهى تقول: «ولكنك وجدت طريقة لتدرس علوم الكومبيوتر.»

أومأ برأسه، وقال: «لقد إدخرت كل سنت كسبته. لقد إستغرق ذلك منى عامين، ولكن فى النهاية توفر لدى ما يكفى مصاريف الدراسة لمدة عام فى مدرسة كال تك.. بعد العام الأول.. قدمت لى المدرسة منحة دراسية».. نظر عبره حافة كأسه وابتسم لها، وأضاف: «والباقى، كما يقولون، هو تاريخ.»

«حصلت على درجتك ثم ذهبت إلى انجلترا حيث كونت شركتك الخاصة.»

ابتسم قائلا: «لم يكن الأمر بهذه البساطة. لقد قدمت إلى

المملكة المتحدة، وقعت بجوله، وقررت أنها المكان الذى أود أن أعيش فيه. أحببت الناس، أسلوب الحياة.. وبدت طيبة بالنسبة للكومبيوتر. كان الكومبيوتر حديثاً نسبياً، ولكن كان السوق الأمريكي مزدحماً بالفعل. بدت الفرصة طيبة هنا فى المستقبل. غير أننى كنت بحاجة لرأس المال، وحيث أنه لم يكن لى أقارب، فقد إبتلعت كبريائى وذهبت لأبى.»

خفتت كلماته وصمت. ومدت بيج يدها إليه، ولكنها سحبتها قبل أن تلمسه.

«هل وافق على إعارتك النقود؟»

«ضحك كوين، وقال: «أنت تبدين مندهشة مثلما أحسست أنا.. إلى أن أوضح شروطه.» واستوى صوته، وتابع: «لقد أعارنى النقود.. ولكنه حملنى ٢٪ أكثر من نسبة البنك»

«ولكن.. ولكن هذا ربا فاحش»

هز كتفيه وسألها باستخفاف: «ما فائدة الأب؟... رغم ذلك، أعدت كل سنت خلال خمس سنوات بثلاثة فى المائة فوق نسبة البنك».

ضحكت برقه، وقالت: «إستطيع تخيل ما كان عليه إحساسك. كأنك.. كأنك كنت تتسلق إيفرست أو تصعد إلى القمر.»

إلتقت عينا كوين بعينيها، وقال: «بالضبط، هذا ما أحسست به»

«والآن.. هل صرتما ــ أنت ووالدك ــ أكثر قرباً؟»

ابتسم ساخراً، وقال: «مثل قط وفأر. لا، هذا غير حقيقى. لقد أصبحت الأمور أفضل بيننا. تركته يشعر بأن

نجاحى كان نجاحه. وضحك بشأن طردى منذ أعوام، وبشأن شروط قرضنا.. وقال أنه كان فقط يحاول تحفيزى على النجاح. وأبدت والدتى موافقتها على ذلك.. أظن أنه كان أسهل من مواجهة الحقيقة.»

انتظرت أن يستمر، ولكنه لم يقل شيئاً. وأخيراً سألته: «هل تشعر بأى ندم؟ أقصد ألم تشعر مطلقاً بأنك إفتقدت البيت.»

ضحك كوين، وقال: «هذا هو بيتى» وأصدر إيماءه واضحة أدركت أنها تشمل ما هو أكثر من المنزل. وتابع: «كنت أعود لأمريكا فى مهمات عمل، ولكنى لم أذهب إلى كونكت كت على مدى أعوام. إلى أن اتصل بي آلان وأخبرنى عن...»

تغير وجهه، واكفهرت قسماته. كان قد نسيا لدقائق قليلة، سبب لقائهما. الآن، وهى تنظر له، أدركت بيج أن سلامهما الهش قد تحطم.

قال بهدوء: «أنت امرأة متعددة المواهب. لم أحلم بأنك تستطيعين أداء تلك المهمة الجديرة بالتصديق بإدعاء الإصغاء إلى قصة لم تكن بالغة التشويق.»

قالت بسرعة: «لم أدع ذلك. لقد كانت شيقة. إنها توضح الكثير من الأمور عنك.»

وضع كأسه على المائدة، وقال: «أى أمور؟»

«مجرد.. أمور.. أقصد أنك تختلف كثيراً عن آلان.»

كان خطأ أن تفوهت بذلك. رأت ذلك فى إمالته المفاجئة لرأسه.

وتمتم: «هذا صحيح يا بيج» وأخذ الكأس من أصابعها

المضطربة، وتابع: «أنا لا أشبه أخى فى شىء.»

دق قلبها بجنون، وقالت: «كوين، أرجوك».

«أهكذا خدعته يا بيج؟ الثرثرة الدافئة، والاسئلة عن طفولته..»

«لم أفعل ذلك.»

«إن سلب لبى ليس سهلاً بهذه الدرجة» وانفرجت شفتاه كاشفة عن أسنانه. وأضاف: «وأنا ليست بنصف صبره.»

«كوين...»

«إذا وضعت خاتمى فى أصبع إمرأة، فأتوقع أن تكون كلها لى.»

كيف تغير بهذه السرعة؟ حدقت بيج فى وجهه الغاضب. منذ لحظات كانت تلقى بنظراتها على الرجل الذى قابلته فى قاعة الرقص بملهى هانت. إنه الآن شخص آخر، غامض ومخيف.»

همست: «لا تفعل..»

ولكنها كانت متأخرة جداً. لقد جذبها بالفعل بين ذراعيه. وقال بهدوء: «أنت تريدين خاتم زواجى. مامعنى ذلك فى رأيك؟» وثبت نبضاتها عندما طافت عيناه بجسدها، وقال: «الجحيم، لقد انتظرت طويلاً فعلاً.»

«لا..»

ضمها إليه هوى فمه على فمها مخمداً صرختها، أحست بقسوة أسنانه، وعطش لسانه، وهى تقف متصلبة بين ذراعية الغاضبين.

زمجر: «لا داعى لهذه الألعاب معى»

«لمعت الدموع فى عينيها، حدق فيها وتمتم بلعناته.

قال بصوت خشن: «لا تبك.. جولييت..»

جلب الإسم معه فورة حلوة من الذكريات. وقد تذكرها هو الآخر بدوره. رأت ذلك فى نظرته. ثم خبا الإشراق الوامض فى أعماق بحار عينيه.

غطى فمه فمها وهو يحتويها بين ذراعيه. دار بها المنزل مثلما حدث ليلة أمس. ليلة أمس، كانت منهكة وخائفة، وقدم ذراعاه لها السلوان. أما الليلة فقد كان ذراعاه تذكير بما ينتظرها. لن ينتهى هذا الأمر إلا بالوقوع فى شرك فراش كوين، فى وحشية غضبة ونزعته الامتلاكية.

همس: «لا مزيد من الالعاب يا بيج. إنه وقت المكافأة»

وطافت يدا كوين بجسدها فى تهور محموم. كانت تعبث بكل أجزاء جسدها تحت رداءها المخملى. تقلصت من الخوف، تحت لمسته التى كانت تلهب فيها الرغبة منذ أيام قلائل.

طارت أفكارها إلى تلك المرة الوحيدة التى كادت تنساق فيها وراء رغبتها مع ذاك الرجل فى نيويورك. كانت ذكرى للألم والحزى، للأحلام التى ماتت فى مواجهة الواقع. كانت تظن أنه لا يوجد أسوأ من ذلك. لكنها أدركت خطأها لدى لمسات كوين الخشنة.

كان هذا أسوأ. إنه إساءة لإستعمال ذلك السلطان الطاغى الذى كان يسيطر عليها فى لقائها الأول مع كوين. لقد إستغل الفتنة التى سرت بينهما وحولها إلى سلاح ضدها.

أغمضت عينيها وتجمدت بلا حراك فى أحضانه الخشنة، وأخيراً رفع رأسه وحدق فيها.

قال: «قبلينى أيتها اللعنة. أين كل تلك النيران التى أذكرها؟» تحركت يداه مرة أخرى تسحقان جسدها.

وقال بصوت أجش: «لقد كنت تريدننى عندما ظننت أنك لن ترينى مرة أخرى. ماذا حدث يا جولييت الجميلة؟ ألا يمكنك مجاراة رجل يعرفك على حقيقتك.»

همست: «إفعل ما تريد، وتخيل أن هناك من يجاريك».

أشاحت بوجهها عنه وأغلقت عينيها وهى تبكى فى صمت، منتظرة إنتهاء الكابوس. خيم الصمت، وفجأة لفظها كوين من بين ذراعيه.

«انظرى لى يا بيج». وببطء ودون رغبة، ركزت عليه عينينت ممتلئتين بالدموع. تهدلت خصلة من الشعر الداكن على جبهته. قال فى همسة خشنة: «لن يجدى ذلك.. أنت تظنين أن بإمكانك إنزالى إلى شىء أحقر من الإنسان، إلى رجل يأخذ إمرأة تكمن بين ذراعيه فى صمت.» برقت عيناه، وأضاف: «لكننى لن أتيح لك ذلك». وفجأة تقدم منها وقبض على كتفيها وجذبها إليه بخشونة، وقال: «عاجلاً أو آجلاً. ستحتاجين رجلاً، تماماً مثلما حدث ليلة أن التقينا. وعندما تفعلين. سأكون هنا. وسأمارس معك الحب حتى تتوسلى لى أن أتوقف. وعندئذ...»

تركزت عيناها على وجهه، وهمست: «وعندئذ؟» لم ترغب فى سماع بقية كلامه، ولكن كان لابد أن تسمع. غاصت يدا كوين فى جسدها ثم دفع بها قائلاً: «وعندئذ، أيتها اللعينة، أكون قد تحررت منك أخيراً».

الفصل الثامن

(سأفعل ما تريده)

من المذهل أن يستطع شخصان يعيشان فى منزل واحد صغير أن يتجنبا بعضهما إذا قصدا ذلك فعلاً. فى اليوم التالى نقل كوين حاجياته إلى حجرة الضيوف. وبعدها أصبحت بيج تراه بالكاد.

فى البداية، كان وقع خطواته خارج بابها يحبس أنفاسها فى حلقها، ولكن مشيته لم تكن تضطرب على الإطلاق. كان يغادر المنزل قبل موعد نزولها فى الصباح، ولا يرجع مطلقاً حتى وقت متأخر.. بعد العاشرة فى العادة، فأصبح من السهل تفادى اللقاء فى المساء. كانت بيج تتناول عشاءها فى السابعة، وتذهب لحجرتها فى التاسعة. نادراً ما كان يلتقيان فى الصالة أو لدى الباب، وكان ملتزماً فى برود. على الأقل نتج عما حدث بينهما ما يشبه هدنه مسلحة.

مر أسبوع ثم أسبوعان. أحياناً، كانت بيج تظن أن كوين قد نسى وجودها. لكن هذا مستحيل. لابد أنه كان واعياً لوجودها مثلما هى واعية لوجوده. لا يمكن أن تسره الحياة بهذه

www.elromancia.com

الطريقة .. حبيساً ، مع غريبة ، فى منزله .

وعلى عكس ما كانت تراه ، بدأت تأمل فى الخلاص . لم يكن كوين أبله ، عاجلاً أو آجلاً ، سيضطر للأعتراف بأن هذه المهزلة الزواجية لامعنى لها . وعندئذ سيطلق سراحها . لابد أن يفعل ذلك . إنه الشىء الوحيد الذى يبدو معقولاً . تزايدت آمالها بمرور الأيام .. ثم فى صباح يوم ما ، تحطمت كل هذه الآمال .

كانت تحث الخطى فى طريقها لحضور محاضرة فى المتحف البريطانى . أصبحت تهوى استكشاف المدينة كوسيلة لقتل الوقت . إن لندن مكان رائع .. هكذا حادثت نفسها وهى تغلق أزرار معطفها قبل خروجها . لاعجب أن إختار كوين الحياة هنا . كان يمكنها أن تسعد هنا أيضاً . فقط لو .. فقط لو ..

« سيدة فولر ؟ أنا سعيدة أن لحقت بك قبل خروجك »

إلتفتت بيج مندهشة إلى مديرة المنزل . كانت نورا أبرع من أن تعلق على الترتيبات الخاصة بنوم مخدومها ، ولكن منذ انتقال كوين إلى حجرة الضيوف وهى تعامل بيج بلا مبالاة مهذبة .

« سأتأخر عن موعدى يا نورا .. ألا يمكن الإنتظار ؟ »

هزت نورا رأسها ، وقالت : « إنه بشأن حفلة العشاء مساء السبت » .

حدقت بيج فى المرأة بإنشداه ، وقالت : « حفلة عشاء »

« نعم يا سيدتى . هل سيكون تناول الطعام وقوفاً أم جلوساً . سنحتاج لمساعدة إضافية فى حجرة الطعام . يمكننى الترتيب لذلك إذا أردت ، ولكن متعهد الأطعمة يفضل أن يخطر قبلها بأيام قليلة . »

هزت بيج رأسها ، وقالت : « أنا لا أعرف شيئاً عن خطط

السيد فولر ليوم السبت . يجب عليك أن تسأليه . »

« لقد فعلت . وقد قال أن تقرير هذه الأمور يرجع إليك .. هناك ستة مدعوون للعشاء ، هل تريدين الشراب والخبز المحمص المغطى بالجبنة أولاً ، أو ... »

قالت بيج بصوت قوى : « أنت على خطأ . أنا لاشأن لى بذلك . »

هزت مديرة المنزل رأسها ، وقالت : « أنا لم أخطىء يا سيدتى . » والتقت عيناها بعينى بيج بينما تابعت : « صدقينى يا سيدة فولر ، لقد كنت بمثل دهشتك . »

تسربت حمرة الخجل إلى وجنتى بيج ، وقالت بهدوء : « حسناً يا نورا . سأنظر فى ذلك . »

ظلت المحادثة الغريبة عالقة بذهنها طوال اليوم . ماذا يعنى ؟ كانت تعرف أن كوين يستضيف عملاء من خارج المدينة من وقت لآخر . لقد تصادف أن سمعته يحادث فندق كونوت مرات عديدة ليحجز موائد للعشاء . ولكنه لم يحضر ضيوفه للمنزل مطلقاً ، وحتى إذا فعل فلا دور لها فى مثل هذه الترتيبات . هل من المؤكد أن نورا قد أخطأت فهم تعليمات كوين ؟ لم تر بيج بديلاً عن مواجهته ، وأن تطلب إليه توضيح الأمور لمديرة منزله .

جلست فى حجرة الجلوس تنتظر عودته فى تلك الليلة . نهضت عندما سمعته يدير المفتاح فى الباب ، جف حلقها ، وعلت دقات قلبها .

« تكونى بلهاء » هكذا قالت لنفسها وهى تلتقط أنفاسها وتأخذ طريقها إلى الباب .

« كوين ؟ أريد أن أتحدث معك لحظة » .

تجعدت أنفها وهو يتبعها إلى حجرة الجلوس. كانت تفوح منه رائحة ويسكى شاحبه تخالطها رائحة عطرية غامضة.

سألها دون تكلف: «ماذا حدث؟»

إبتلعت بيج ريقها، وقالت: «لقد سألتنى نورا عن عشاء تزمع إقامته. وقد قلت لها أنها أخطأت.»

قال: «إنها لم تخطىء» واجتاز الحجرة إلى خزانة زجاجات الخمر، وأضاف: «سيكون هناك ستة أفراد، بما فى ذلك أنت وأنا. أظن أنا ينبغى أن نعد شيئاً غير رسمى، ولكن القرار الأخير لك.»

حدقت فيه بيج مندهشة بينما يصب لنفسه كأساً من البراندى، وقالت: «لكن.. لكن هذا شىء غير وارد يا كوين. أنت وأنا لسنا.. لا يوجد لدينا سبب لإقامة عشاء أو...»

تجرع السائل الكهرمانى فى جرعة واحدة، وقال: «لدينا جميع الأسباب. نحن متزوجان يا بيج» طافت نظرته الباردة بجسدها فى بطء، وأضاف: «هذا منزلنا. أنا أتكفل بفواتير كل شىء. ماذا تفعلين أنت بالتحديد.»

«لا تتجاوبى مع الاغراء» هكذا حادثت نفسها، وأجابت: «أنا أفكر فى الذهاب إلى إحدى الوكالات والبحث عن وظيفة.»

ضحك كوين، وقال: «إنهم لا يعلنون عن حاجتهم لنساء بمثل مهاراتك يا محبوبتى.»

«اللعنة عليك يا كوين.»

وضع كأس البراندى على البار، وقال بصوت أجش: «إن لديك وظيفة فعلاً.. أنت زوجتى.»

تلاشى غضبها وراء إحساس الخوف الذى سرى بدمائها، وقالت: «ظننت أننا سوينا هذا الأمر.»

إجتاز الحجرة وقبض على كتفيها. وسألها بتؤده: «سويناه؟» أصبحت رائحة الويسكى أقوى، وأدركت أنه شرب منه الكثير قبل أن يشرب البراندى. والتوى فمه بإبتسامة قاسية، وقال: «يا جيلتى جولييت، لم ننته من هذا الموضوع. ولكننا سنفعل. أعدك أن يحدث يوماً ما.»

قالت بتردد: «لقد أسرفت فى الشرب.»

ضاقت عيناه، وقال: «إن أفعالى شىء خاص بى.»

أومأت بيج قائلة: «بالضبط. وبالمثل حفلة عشاءك. أنا لن..»

شهقت عندما إشتدت قبضته عليها، وقال: «يا لإرادتك اللعينة. لقد أمضيت الأسابيع الأخيرة كغريب فى بيتى، ولست معجباً بذلك.» وهوت يداه إلى جانبه، وأضاف: «إنه وقت أن تؤدى ما عليك هنا. أنا أنتظر أن تتناولى عشاءك معى فى السهرات.»

«لماذا؟ أنت وأنا...»

زمجر: «أنا وأنت متزوجان. هذا يعنى أن نتناول العشاء معاً، ونتحدث معاً، ويرانا الناس معاً. لقد مللت إنتحال الأعذار بشأن غياب عروسى. كانت عادتى أن أستقبل ضيوفى فى منزلى.» وابتسم ببرود، وتابع: «سيكون من الصعب أن أتقبل وجودك فى حجرتك بينما أتناول العشاء مع ضيوفى.»

«لا شأن لى بكل ذلك.»

«لقد حان الوقت أن ترتفعى لمستوى تعاقدنا وتبدأى تمثيل دور زوجتى المحبة» وسدد نظراته إلى عينيها قائلاً: «بالتأكيد

أن إنسانة بمواهبك تستطيع ذلك.»

«هذا مستحيل. لا يمكنك أن تتوقع..»

«أنا أستطيع بل وأتوقع بالفعل يا بيج إن الكياسة ثمن ضئيل بالقياس للنقود التى أودعتها لحسابك فى البنك، أليس كذلك؟»

أحست بوجهها يلتهب إزاء إبتسامته الساخرة وأخيراً أصدرت إيماءة مبتسمة.

«حسناً. ماذا تريدنى أن أفعل؟»

تلاشت ابتسامته، وظنت للحظة، كاد يتوقف فيها قلبها، أنه سيأخذها بين ذراعيه. تسارعت أنفاسها، لقد مضى وقت طويل على آخر مرة لمسها فيها. ولكن لا يزال بإمكانها تذكر إحساسها بجسده، وطعم قبلته. غير أن كل ما فعله أن حك يده بخفه إزاء وجنتها.

«فقط، ما تستطيعين عمله يا جولييت الجميلة» كان صوته رقيقاً، مشوباً بلمحه من الأغياء لم تتوقعها مطلقاً، وارتفعت عيناها ببطء إلى عينيه.

همست: «كوين»

«ما الأمر يا بيج؟»

«أنا.. أنا» نظرت له فى ارتباك. ماذا تريد أن تقول؟، وتابعت: «أنا.. أنا سأفعل ما تريد.»

لاح العبوس فى عينيه، وقال ببطء: «حقاً؟» ثم عاد البرود الذى تعرفه جيدا ليكسو وجهه، وأضاف: «يمكنك البدء بتناول الإفطار معى فى الغد. يمكننا عندئذ الحديث عن حفلة العشاء.»

أومأت بيج، واستدار كوين وهو يقول: «حسناً»:

وغمرتها الرائحة العطرية مرة أخرى. فجأة أحست كأن قبضة قوية قد إعتصرت قلبها.

عطر. عطر إمرأة..

إلا إن ذلك لا يهمها، فليكن مع من يشاء. ورغم ذلك رقدت بيج نصف متيقظة فى تلك الليلة، تعذبها صور نساء مجهولات يرقدن فى رضا بين ذراعى زوجها.

إنضمت له فى الصباح التالى ومرة أخرى على العشاء فى تلك الليلة. جلسا متقابلين فى صمت، كأنهما غريبان يتقاسمان مائدة فى مقهى، إلى أن وضع كوين فنجان الشاى ونظر لها.

«سيكون من الصعب أن نتحدث فى وجود الضيوف ونحن لا نعرف شيئاً عن بعضنا.»

أجابت بيج بجفاء: «ليس لدينا ما نقوله.»

كان وجه كوين متجهما، وقال: «إذن سنجد شيئاً»

كانت أحاديثهما الأولى مناقشات متكلفة عن الطقس والأحداث الجارية. ثم صار الأمر سهلاً عندما إكتشف غراماً مشتركاً برسوم الكاريكاتير السياسية. وفى صباح يوم ما، سألت بيج عن كتاب مصور كانت قد عثرت عليه فى المكتبة.

«هل هى صورك؟»

أومأ كوين، وأجاب: «لقد حملت الكاميرا كهاو لعدة أعوام. أنا لست ماهراً جداً..»

قالت بسرعة: «بل أنت ماهر فعلاً.» ثم توردت وجنتاها، وأضافت: «أقصد، أننى لا أعرف الكثير عن التصوير الفوتوغرافى. ولكن صورك تتميز بالإثارة.»

إرتسمت على شفتيه ابتسامة مسرورة، وقال بهدوء: «حسناً، شكراً لك.» وعرض أن يريها معمل التحميض

الخاص به فى الدور السفلى من المنزل. كانت كل معرفتها بالأفلام تبدأ وتنتهى عند كونها تأتى معباً بإتقان فى علب صفراء صغيرة، وتدخل بحذر إلى الحجرة الصغيرة المظلمة. وكانت تعتقد أن ما يحدث فى تلك المحاليل الكيماوية هو معجزة.

فى اليوم التالى ــ وكان يوم سبت ــ التزم كوين الصمت مرة أخرى أثناء الإفطار. كادت بيج تجزم بأن هدنتها خلال الأسبوع الماضى قد إنتهت، وفجأة وضع فنجانه ونظر إليها.

«سأذهب لإلتقاط بعض الصور فى حديقة هايد بارك. هناك مهرجان للطائرات الورقية و...» تابعت عيناه عينيها، وسأل: «هل يهمك أن تأتى معى؟ لست مضطرة بالطبع لأن..»

قالت بيج بسرعة: «أنا أود ذلك كثيراً جداً». وابتسمت له بطريقة لم تفعلها من قبل على الإطلاق، وقالت: «شكراً أن طلبت منى مصاحبتك.»

ستظل تذكر هذا اليوم على أنه نقطة تحول. لقد استنفذ كوين ثلاث أفلام، ثم إشترى طائرة ورقية من أحد الباعة. وخلال دقائق كانت الطائرة التى تتخذ هيئة التنين تلمع بألوان زرقاء وحمراء محلقه فوق رأسيهما. ضحكا كأنهما طفلين، وأرخيا للتنين ياردات من الخيط، وراقباه وهو يطير فوق قمم الأشجار. عندما إقتلعت الريح الخيط فجأة من بين أصابع بيج، أحست ببؤس كئيب.

«لقد فقدتها. أوه، كوين، أنا آسفة.»

ابتسم لها بهدوء، وقال: «أنا لست آسفا، لقد كان يوماً ممتعاً.»

أحست بأن وجهها يلتهب، وقد حادثت نفسها بأن ذلك يرجع للفحة الهواء البارد. ولكن، عندما حان وقت انصرافهما، بدا من الطبيعى أن تتشابك أصابعهما وهما يسيران إلى سيارته.

بعد ذلك صار من المستحيل ملاحظة الطرق التى إنفتح بها كل منهما على الآخر. ولكن أدركت بيج فيما بعد أن هذا اليوم قد ترك أثراً طيباً على وقت عودة كوين للمنزل. نادراً ما كان يخرجان لتناول العشاء، مفضلين تناوله فى هدوء المكتبة. وفى أمسيات أجازات نورا، كانت بيج تصر على القيام بعمليات الطهى.

كانت تقول: «أنا أحب الإهتمام بأمور المطبخ». وعندما أثنى كوين ببعض الكلمات متزمته على وجباتها البسيطة، امتلأ قلبها بالفرحة.

بعد العشاء، كان يجلسان بجوار المصطلى. كانا يقرآن. وعلمها كوين الشطرنج، وشجعها عندما هزمته لأول مرة، رغم شكها القوى بأنه قد تركها تكسب. كان يذهبان إلى الحفلات الموسيقية فى باربيكان، وإلى المسرح. وفى إحدى الأمسيات التى تساقط فيها المطر رذاذاً، سارا على مهل خلال ضاحية ماى فير الهادئة، يتضامان فى بهجة تحت مظلة.

تحدث فى كل شىء.. ماعدا ما جمعهما أساساً. ودت بيج أن تتحدث عن ذلك. كانت تريد أن تترك الماضى كما هو: مجموعة غامضة من الظروف التى فرضها عليهما الآخرون، ولكنها كانت مترددة. وأخيراً، وفى إحدى الأمسيات، فتحت الموضوع.

«لقد حادثت والدى اليوم. قال أنه ممتن..»

برقت عينا كوين بالتحذير، وقال: «أنا لا أريد امتنانه

ولا إمتنان أى إنسان آخر». وأشاح بوجهه عنها. وبعد لحظة سألها: «كيف كان يومك؟» وسرعان ما إستجابت لقصده الواضح لتغيير الموضوع المشحون بدرجة مثيرة للأحاسيس.

كان الأمر أسوأ عندما ذكرت آلان. عندما وصل خطاب منه، أخذه كوين إلى المكتبة وأغلق الباب. تفحصت بيج وجهه بقلق عند خروجه.

وعندما لم تستطع تحمل الصمت للحظة أخرى، سألته: «كيف حال آلان؟»

«بخير»

«هل هو..»

قال بحدة: «لا أريد أن أتحدث عن آلان. هل تفهمين؟»

قالت لنفسها أنها فهمت. لقد تحسنت علاقتهما، ولكنها كانت لا تزال هشة وغامضة. لا معنى لنكأ الجراح القديمة. فى ظلام الليل سمعت تحذير صوت صامت بأن تجاهل الأمور لم يكن مثل التفاهم بشأنها. ولكن مع شروق الشمس رأت شكوكها شيئاً سخيفاً.

المهم أنها وكوين كان يقتربان من بعضهما بدرجة أكبر. كان ذلك بالطبع لكى تتمكن من القيام بواجباتها العلنية كزوجة له. ولكن بإستثناء حفلة العشاء الأولى هذه، فلم يريا أى إنسان آخر سواهما. كان كمن يعيشان فى عالم، عالمهما الخاص الذى تدب فيه الحياة بصوت مفتاح كوين يدور فى الباب فى المساء.

وجدت بيج نفسها تلقى بنظراتها إلى ساعتها بعد ظهر كل يوم، متسائلة إذا ما كان سيأتى مبكراً أم سيتأخر. مبكراً يعنى حوالى السادسة، لم يسبق أن عاد للمنزل قبل ذلك. وعندما

تحين هذه الساعة تكون قد إطمأنت إلى إعداد النيران فى المكتبة وبدلت ملابسها. فى عصر أحد أيام الخريف الباردة. كانت قد أعدت النيران، ولم تكد تبدأ فى صعود الدرج مهرولة حتى سمعت الباب يُفتح ويُقفل.

وتوقفت فى منتصف الدرج، وحدقت فى كوين مندهشة عندما توقف فى المدخل ناظراً لها، وقالت بلهجة مرتبكة: «لقد عدت» كان ينظر لها باستغراب، وأجرت يدها على شعرها فى خجل، وقالت: «أنا أيضا عدتُ لتوى. كنت فى محلات فيكتوريا والبرت وقد أصابنى المطر ببعض البلل.» يا إلهى، إنها تهذى. ولكن نظرته أثارتها فتابعت: «لم أدرك أن الوقت قد تأخر إلى هذا الحد.»

كانت ابتسامة كوين بسيطة وهو يقول: «لقد عدت مبكراً رأيت أنه سيكون أمراً طيباً لو قمنا بنزهة بالسيارة قبل العشاء.» لماذا كان يحدق فيها؟ إن به شيئاً مختلفاً الليلة، ولكن ما هو؟ إبتلعت بيج ريقها لترطب حلقها الجاف.

قالت بحذر: «أنا أرغب فى ذلك.. فقط أعطنى دقيقة لأبدل ملابسى..» اسكتتها نظرته. قالت: «حسناً، دعنا نذهب.»

فى الجاجوار، شحب الإحساس السلس بزوال الكلفة الذى نما بينهما على مدى أسابيع. كان حديثهما متكلفاً. وعندما توقف للعشاء فى ملهى، من الطراز المنسوب للملكة اليزابيث، يشرف على نهر التايمز، كان هذا الإحساس قد إختفى تقريباً.

لقد خيم الصمت عليهما طويلاً بعد أن أمرا بطعامهما. ثم سألها كوين: «هذا مكان عتيق جميل، أليس كذلك؟»

أومأت بيج: «نعم، إنه رائع»

«هل تريدين مزيداً من الشمبانيا؟»

«لا، شكراً»

إتصل الصمت بينهما مرة أخرى. عندما وصلت وجبتها، وجدا فيها شيئاً طيبا يلهيهما، ولكن بيج لم تستطع تناول ملء فمها. وعندما إقترح كوين أن ينصرف، كادت أن تسقط كرسيها فى إندفاعها للنهوض.

قال بإقتضاب: «لقد تأخر الوقت.» وأومأت موافقة. ولأول مرة أحست بشوق لعزلة حجرة نومها. زفرت أنفاسها فى ارتياح عندما وصلا للمنزل. لقد حدث خطأ ما، ولكن ليس لديها أدنى فكرة عنه.

أغلق الباب خلفهما، وعند أول الدرج، قالت: «طابت ليلتك. شكراً على..»

«هل ترغبين فى بعض البراندى؟»

هزت بيج رأسها، وقالت: «لا، شكراً. سوف أخلد للنوم.»

أومأ كوين، وقال: «سأوصلك لغرفتك.»

كادت تقول له أنه شىء سخيف أن تعيش فى بيته بينما ينام فى حجرة بمفرده، ولكن شيئاً ما فى صوته حذرها من الجدال، أومأت وبدأت تصعد الدرج. وصعد خلفها، وبدأت نبضة تخفق فى حلقها عندما فكرت فيه وهو يراقب ردفيها وساقيها. عندما وصلا إلى الطابق العلوى، أسرعت إلى باب حجرتها المغلق.

«بيج» كان صوته هامساً مبحوحاً. وكرر «بيج»

إستدارت له قائلة: «طابت ليلتك»

بدا كل شىء كأنما يحدث فى بطء مصطنع. نظرت له

ورأت النيران الغامضة فى عينيه. وعندما وضع يده على ذراعها، فهمت كل شىء فجأة. يبدو أن الإحساس الكهربائى الذى جمعهما معاً قد بدأ يومض فى الهواء المشحون.

كوين يريدها. وهى تريده. لقد أفضت بهما الأسابيع التى قضياها معاً إلى هذا الإحساس، غير أنه أدرك ذلك قبلها، هذا هو سبب عودته للبيت مبكراً، وسبب التوتر طوال المساء.

أشاحت بوجهها فى ارتباك. لكنه أحاطها بذراعيه وجذبها إليه هامساً بإسمها مرة أخرى. كان صداه على لسانه كأنه العسل.

أحست بدفء جسده وقوته إزاء جسدها. أغلقت عينيها وتركت نفسها تستند إليه، وتريح ثقلها على صدره وذراعيه المحيطين بها. كان بإستطاعتها أن تحس بحرارته تحيط بها، وأن تشم رائحته المميزة. ولثمت شفتاه شعرها. كل ما كان عليها أن تستدير له وترفع فمها إلى فمه. (ستحتاجين رجلاً.. وسأكون هنا.)

قفزت الكلمات البشعة إلى عقلها. ولكن كوين قال ذلك قبل أن يعرف كل منهما الآخر. هل من المؤكد أن الأمر يختلف الآن؟

وتذكرت قوله: (سأمارس معك الحب حتى تتوسلى لى أن أتوقف. وعندئذ سأكون قد تحررت منك أخيراً.)

أحست كأن يداً بارده تعتصر قلبها، وقالت: «الوقت متأخر يا كوين. وأنا متعبة.»

«جولييت...»

أغمضت عينيها، ممتنة لأنه لم يستطع رؤية وجهها، وهمست: «أرجوك»

غاصت أصابعه فى كتفيها، ثم انزلقت يداه عنها.

قال: «نعم، بالطبع» وفجأة كانت وحدها فى الرواق.

كان قد خرج عندما هبطت لتناول إفطارها فى الصباح التالى. إنها المرة الأولى منذ أسابيع التى لا يبدءان فيها اليوم معاً، وأدهشها كيف بدا المنزل خاوياً بدونه. عندما دق جرس الهاتف فى الضحى، إختطفت السماعة، وابتسمت عندما سمعت صوت كوين.

ودون أن تفكر، قالت: «لقد إفتقدتك هذا الصباح.»

ثم كانت لحظة صمت. وقال بعد برهة: «لقد طلبت إلى نورا أن تدعك نائمة. وقلت لها أنك كنت متعبة ليلة أمس.»

ابتلعت ريقها، وقالت: «كوين، بشأن ليلة أمس...»

قال بفظاظة: «إنسيها. أريد أن أتحدث بشأن الليلة. لقد وفد أحد عملائى للمدينة. وتريد زوجته أن تحضر حفلة موسيقية فى قاعة البرت هول.»

«هل تريدنى أن أحجز لكم تذاكر؟»

زفر أنفاسه، وقال: «إنهما يصران على الصحبة يا بيج. حاولت أن أصرفهما عن ذلك. ولكن.. أنظرى، هل تجدين بأساً كبيراً لو أننا صحبناهما، إنه رجل مزعج، ولكنه سيقدم طلباً ضخماً لبعض البرامج، و..»

قالت بسرعة: «أنا لا أجد بأساً على الإطلاق» وأحست بالأمان الذى ستوفره صحبة غرباء. وأضافت: «هل يرضيك هذا؟»

مالت نبرته إلى الرقة: «شكراً يا بيج، أراك الليلة»

إهتمت بثياب سهرتها أكثر من المعتاد. وكادت تتأخر فى مغادرتها للمنزل. وعندما نزلت من إحدى سيارات الأجرة أمام

قاعة البرت هول، نظرت حولها بلهفة بحثاً عن كوين. كانت حشود الرواد تتزاحم حول الدرج المؤدى للمبنى، ولكن خلال لحظة أدركت أنه لم يصل بعد. لم تكن لتخطىء وجوده.. لقد أصبحا منسجمان مرة أخرى، تماماً مثلما كان ليلة حفلة عيد جميع القديسين. أحست أن قلبها يطفر بدقات فرح متسارعة. كوين.. كوين..

أجفلت عندما إنزلقت ذراع حول خصرها. ورنا لها كوين مبتسماً.

قالت: «مرحباً» لم الحظ قدومك. لابد أننى إستغرقت فى أحلام اليقظة.»

كشف عن أسنانه فى ابتسامة واسعة، وقال: «هذا إعتراف أقل من الواقع. بدا كأنك تحلقين على بعد مليون ميل. فيم كنت تفكرين؟»

ودت أن تقول: «فى الليلة الماضية، عندما كنت غبية لدرجة أن خرجت من بين أحضانك وأبعدتك»

استعادت توازنها بسرعة مذهلة. وبطريقة ما استطاعت أن تصدر ضحكة صغيرة.

«كنت أتساءل عما إذا كنت ستحضر إلى هنا من الأصل. ماذا سيقول عميلك لو أننا تأخرنا؟»

أخرج كوين زفراته، وقادها نحو المدخل، وتمتم: «لسنا متأخرين لدرجة كبيرة» ونظر إلى التذاكر فى يده قائلاً: «لابد قد بدأوا لتوهم»

قالت تشاركه احساسه: «يا له من شىء بغيض» ولكن كان من المستحيل أن تحتفظ بوجه صارم، وبدأت تضحك. أحست، وهى تنظر لوجهه الباسم، أن الضحك معه له شأن

خاص. وأرتفع قلبها محلقاً. كل شيء رائع وهى فى صحبته وقالت: «أنا أتفق معك فى الواقع. إنها موسيقى ماهلر الليلة، اليس كذلك؟ يا إلهى، أنا أكره موسيقاه.»

أومأ قائلاً: «ولكن جاك ويرد يحبه» نظرت له بيج فأشار بوجهه قائلاً: «إنه العميل الذى سنقابله بالداخل.»

«أوه، الرجل الذى سيقدم عرضاً بطلب مليون برنامج كومبيوتر.» وسرت بها رجفة عندما وصلت لأسماعها الألحان الصاخبة للسيمفونية الخامسة.

«أظن أنها ستكون سهرة طويلة»

تنهد كوين قائلاً: «أطول مما تتخيلين.. إذا كنت تظنين الموسيقى شيئاً مملاً، فأنتظرى حتى تقابلى جاك ويرد العجوز الطيب.» وابتسم وهو يقودها إلى القاعة، وتابع: «لكننى أظن أننى أستطيع تحمله لليلة واحدة. دعينا نأمل أن يخطط لتقديم أضخم طلب تلقته الشركة على الإطلاق».

بعد فترة من بدء السهرة رأت بيج فى إشمئزاز أن ما خطط له «جاك العجوز الطيب» سرعان ما أنتقل إليها. عندما أخذوا مقاعدهم، وضع البروتوكول كوين بجوار السيدة ويرد ووضع بيج بجوار زوج السيدة. كانت هناك بعض مقدمات التعارف السريعة. كان ويرد نفسه طويلاً وذا وجه وسيم وكتلة كثة من الشعر الأشقر الكثيف. كان لزوجته وجه جميل عينان حزينتان. لاحظت بيج ذلك فى فترة التوقف قبل أن تستأنف الموسيقى عزفها مرة أخرى.

فى البداية، ظنت بيج أنها خيالاتها عندما إحتكت يد ويرد بفخذها. خطفت بصرها إليه من جانب عينها. أيقنت أنها تخيلاتها، فقد كان وجهه متجهماً فى تركيز مستغرق مع الفرقة

الموسيقية. بعد خمس دقائق، إتضح مخططه. وتمتم عندما إمتدت يده إليها: «آسف» ثم احتكت يده بنهد بيج، وقال مرة أخرى: «آسف»

عندما إنتهت الحفلة الموسيقية، كانت هناك نصف دستة من «التأسفات»، ولم تقتنع بيج بأى واحدة منها. لايمكن أن تحدث لفرد كل تلك «الصدف». لمست قدم ويرد قدمها، واحتكت ساقه بساقها، وعندما ركبوا الجاجوار، متجهين لتناول العشاء فى أحد الملاهى، إحتكت فخذه بفخذها.

لم يكن هناك مايمكنها عمله. كانت حركاته بالغة السرعة والبراعة. لقد قابلت رجالاً مثل ويرد من قبل، وهى تعرف كيف تسير اللعبة. إذا قالت شيئاً ما، كأن طلبت منه أن يكف يديه، سينكر عمل أى شيء. الخاسر الوحيد سيكون كوين. بالتأكيد لن يعقد ويرد صفقات مع شركته إطلاقاً بعد أن تفضح أمره.

لن تربح السيدة ويرد شيئاً أيضاً. إنقبض قلب بيج لأجل المرأة. لاعجب أن مثل هاتين العينين الحزينتين إنها تعرف تماماً مايفعله زوجها. ربما مرت بهذا الحرج من قبل. ظلت تلقى بنظرات معتذرة إلى بيج، كأنما تعبر لها عن أسفها. إن سؤال جاك أن يكف عن لعبته الحقيرة المثيرة للغثيان لن يجلب سوى مزيداً من الحرى على رأس تلك المرأة البائسة. وتساءلت عما سيفعله كوين لو علم بما يحدث. ربما يجدع أنف ويرد أو يسويها بوجهه. أحست ببعض الرضا الذاتى لدى هذه الفكرة. عندما يصبحا بمفردهما فيما بعد، ستخبر كوين أن هذا الجاك لم لم يكن شيء ثقيل، بل كان جلفاً. بعد أن يعود للمنزل، فربما تقترح إعداد قليلاً من الشاى. بل ربما يقترح كوين بعضاً من

البراندى مثلما فعل ليلة أمس. ستقول «نعم» وستدع سحر جميع القديسين يصلح من شأنها.

رفعت نظرها، كان كوين يراقبها، باستطاعتها أن تشعر بحرارة نظرته. وتحت المائدة، كان جاك يحك ساقه بساقها بإيقاع منتظم، ولكنها لم تكن واعية لذلك. كانت على وعى بكوين فقط. كانت عيناه غامضتين وغير ممكن قراءة ما بهما. إلتهبت وجنتاها. فيما يفكر؟ ماء وراء تلك القوة الغامضة؟

«... أخبرك بطالعك.»

طرقت عينها، وتساءلت: «ماذا؟ هل قلت شيئاً يا سيدة ويرد؟»

ابتسم الرجل بخبث، وقال: «إنه جاك يا حبيبتى. لقد قلت، أنك لو أعطيتنى يدك، فسأخبرك بطالعك. لقد تعلمت ذلك من غجرية عجوز.»

«لا، شكراً جزيلاً يا سيد ويرد، أنا..»

قبض ويرد على يدها وجذبها، وقال: «تشجعى ولا تخشى شيئاً.. دعينا نلقى نظرة على خط الحب لديك.»

رفعت بيج نظرها مرة أخرى. كان ويرد لا يزال يتحدث، لكنها كانت قد نبذته. كان كوين ينصت للسيدة ويرد وكان يثنى رأسه تجاهها فى مجامله. وتساءلت.. لماذا كانت ترى فمه صارماً؟ إنه ليس صارم على الإطلاق، بل مثير. وعيناه.. ليس بهما أى برود. كان بلون البحر، ولكن البحر الجنوبى حيث يرى الماء أحياناً بدفء الدم.

استدارت رأس كوين تجاهها ببطء. استقرت عيناه على وجهها، على فمها. أحست بحرارة نظرته، ومست شفتيها بطرف لسانها ببطء فى إعتراف غير واع بالرغبة. لاحظت نظرة رهيبة

على وجه كوين. هل هو غاضب؟ لا، لا يمكن.

طرفت بعينيها، وقالت بإهتياج وهى تجذب يدها: «بحق السماء يا سيد ويرد، لا تفعل ذلك.»

تساءل ويرد ببراءة: «أفعل ماذا؟»

هزت بيج كتفيها ومسحت يدها بمنديل المائدة. لقد كانت شديدة الانشغال بكوين لدرجة أن مرت فترة قبل أن تدرك أن ويرد كان يجرى سبابته عبر كف يدها. ودت لو يسعدها الحظ ذات يوم فتخبره أن ما فعله لم يحمل لها إلى إثارة لقد أحست كأن قوقعاً يزحف على يدها مخلفاً وراءه ذيلاً لزجاً. ولكن لا مجال لأن تخبره بذلك الليلة. إنها الليلة مشغولة جداً بفيضان الإكتشافات التى تقوم بها حول كوين.. حول زوجها.

«هيا يا حلوتى.. دعينا نرى هذين الإثنين كيف يكون الرقص.»

جذب ويرد كرسيها، وقبل أن تستطع بيج الأعتراض، كان قد أحاطها بذراعه متجهاً إلى دائرة الرقص.

قالت: «أنا فى الحقيقة لا أشعر برغبة فى الرقص.» وحاولت أن تترك مسافة بينها وبينه. وأضافت: «أرجوك يا سيد ويرد...»

«جاك.. جاك أفضل.. لماذا أنت متصلبة هكذا يا حبى؟ ألم يعلمك أى أحد الرقص مطلقاً؟»

قالت فى تجهم: «أنا لست متصلبة. غير أننى لا أحب أن يمسك بى شخص عن قرب هكذا»

ولكنها نسيت كل ما يتصل بويرد عندما رأت كوين من فوق كتفى الرجل. كان يقود السيدة ويرد إلى دائرة الرقص. راقبت ذراعيه تحيطان بالسيدة ثم بداء الرقص. كان كوين

يمسك بها على مسافة مهذبة، ولكن بيج أحست بعقدة قوية من الغيرة تنتفخ أسفل صدرها. إنه لم يرقص معها على الإطلاق. وها هى رقصتها الثالثة مع «جاك العجوز الطيب» ورقصة كوين الثانية مع السيدة ويرد، ولكن...

ضاق ذراعا جاك حولها، وصدته بيج محاولة التخلص منه، وقالت بغضب: «لا تفعل ذلك.»

«تعالى عزيزتى. يمكنك أن تكونى ألطف من هذا.»

كررت: «قلت لا تفعل ذلك.» كانت رائحة ويرد مشبعة بالعرق والسجائر يلتصق بها بقوة. أحست فجأة بمدى حماقتها. لن يريدها كوين مطلقاً أن تدع جاك ينشب فيها مخالبه مهما كان عدد الأوامر التى يمكن أن يكلف الشركة بتنفيذها. إنه شديد الاحترام، شديد النبل، شديد المراعاه..

جذبها ويرد إليه فقالت بحده: «كف عن ذلك.» وعندما حاولت دفع صدره بيديها، اشتبكت قدمها بقدمه. وتعثرت بيج فتعلقت بعنقه كى لا تسقط.

لف ذراعاه حول خصرها، وقال: «هكذا المرأة»

كان ضغط جسده على جسدها مثيراً للغثيان، وصاحت: «دعنى»

همس: «لا تلعبى علىَّ دور الخجل والحياء الآن.» وأحست بالاحتكاك الرطب لفمه على وجنتها وأحتك جسده بجسدها مرة أخرى، وقال: «لماذا لا تقابلينى بالفندق غداً؟ سأرسل زوجتى للتسوق لمدة ساعتين. سوف...» وارتفع صوته فى ذعر: «هيه، ماذا هناك؟»

اتسعت عينا بيج عندما تقهقر ويرد. ظهر كوين من حيث لا تدرى، ووقف بينهما جامداً بوجه غير باسم كأنما قد نحت من

الصخر.

قال لبيج: «سننصرف» كان صوته هادئاً وكانت عيناه تستقران عليها فى نظرة غامضة.

«ما هذا بحق الجحيم يا فولر؟ زوجتك..»

شحب وجه ويرد عندما قبض كوين على ذراعه، وقال بصوت يمتلىء حقداً: «بالضبط.. زوجتى يا ويرد.. وليست زوجتك. ولا زوجة غيرك. إنها تنتمى لى.»

سرت رجفة بأوصالها. خلال الأسبوعين الأخيرين، كانت قد نسيت هذه النزعة التملكية المفرطة. لقد أخافتها فى ذلك اليوم الأول فى لندن، وهى الآن تثيرها. لقد إنتبهت إليه. وهذا ما كانت تريده دائماً.

تحولت عينا كوين إلى عينيها، وقال: «منذ متى وهو يتطاول عليك؟»

ابتلعت بيج ريقها، وقالت: «كوين، أنا بخير، أنا...»

«هل سمعت ما قاله يا فولر؟ أنا...»

برقت عينا كوين، وقال: «لقد وجهت السؤال لزوجتى يا ويرد، وليس لك.» وعاد بنظره إلى بيج قائلاً: «أجيبينى.. هل كان يفعل ذلك طوال الليل؟»

«نعم، ولكن..»

«لماذا لم تخبرينى؟»

نظرت إلى وجه ويرد الشاحب، وقالت: «لقد فكرت فى ذلك. ولكنه عميلك إنه...»

«لقيط.. السيد ويرد لقيط» هكذا قاطعها كوين فى تمهل ساخر، وأضاف: «وهو محظوظ لأننى لم أهشم رأسه على الحائط. والآن، إجمعى حاجياتك وقابلينى لدى الباب.»

أومأت بيج، ودارت سريعاً خلف جاك ويرد. كادت تشم رائحة الذعر تفوح من الرجل، وهى لا تستطيع أن تلومه على ذلك. إن كوين عدو مرعب. ومن المروع مواجهة غضبه. لكنه لم يكن غاضباً منها، بل كان فقط يبدو كذلك. ليس لديه ما يدفعه للغضب منها، إلا إذا... وتذكرت كلماته..

هل كان يفعل ذلك طوال الليل؟

لماذا لم تخبرينى؟

رفعت السيدة ويرد بصرها عندما وصلت بيج المائدة وتناولت حاجياتها.

ابتدرتها بيج قائلة: «أنا آسفة» وهزت المرأة رأسها.

وقالت فى تسليم حزين: «لا عليك. جاك هكذا دائماً. إنه لا يعتقد مطلقاً أن هناك من يعرف ما يفعله.» ومدت بصرها إلى دائرة الرقص حين كان كوين وزوجها لا يزالا يقفان، وتابعت: «على أية حال، سيشكمن رجلك لفترة. يبدو جاك وكأنه سيموت من الخوف.»

أومأت بيج. لم تجد ما تقوله. ورأت كوين يتجه إلى الباب بعد أن أقحم فى يد النادل ملء يده من الأوراق النقدية.

دس ذراعه حولها عندما وصلت إليه. وضمها بقوة حتى كادت تصرخ. ولكن الإنضغاط إلى جسده كان راحة فى حد ذاته. رفعت بصرها إليه وهما يخطوان إلى ظلام الليل.

قالت: «يا لها من تعسة السيدة ويرد: أنا أشعر بالأسف لها»

لم تكن هناك إجابة. فتح لها كوين باب الجاجوار فانزلقت إلى المقعد، وراقبته وهو يدور حول السيارة..

«لقد قالت أنه فعل ذلك من قبل. قالت أنها تأمل أن

تشكمه أنت. وهى..»

علا صرير السيارة وهو يندفع بها مبتعداً عن الرصيف.

«يسعدنى أن السيدة ويرد قد استحسنت تصرفى.»

نظرت له بيج كان صوته ملىء بالغضب البارد. مدت يدها ووضعتها فوق يده التى تمسك بعجلة القيادة. كانت المرة الأولى على الاطلاق التى تلمسه فيها بملء إرادتها.

قالت بتردد: «كوين.. هل أنت غاضب منى؟»

انفرجت شفتاه كاشفة عن أسنانه، وتساءل: «لماذا ينبغى أن أغضب؟»

كانت تلك هى الإجابة التى تريدها، ولكن كان فى أسلوبه شىء جعلها تشعر بعدم الإرتياح. حدقت فيه ثم فى الشارع المظلم. إنها بحاجة إلى حمام دافىء. لا تزال تستشعر زحف يدى ويرد كأنه يزحف ثعبان على يديها. وارتجفت من تذكر ذلك. نعم الحمام أولاً. ثم... ثم..

وثب قلبها هلعاً، وخطفت نظرات خجلة إلى كوين. ماذا سيحدث بينهما الليلة؟ ارتجفت وهى تفكر فى تلك اللحظات التى حبست فيها أنفاسها بين ذراعيه ليلة أمس. نعم.. نعم. سيحدث مثل ذلك مرة أخرى. ولكن، لن ترده هذه المرة. هذه المرة..

توقفت الجاجوار بجوار الرصيف فى الشارع الهادىء. أوقف كوين المحرك، ولفهما سكون الليل. جف حلق بيج مقدماً.

«ذكرينى أن أرسل لجاك العجوز الطيب علبه سجائر فى الغد.»

كان تعليقه غير متوقع لدرجة أضحكتها، والتفت إليه قائلة: «جاك؟».. إن زوجته هى التى تستحق هدية، وليس هو..

دسته من الورود، على الأقل، لصبرها على الأذى إلى هذا الحد.»

نزل كوين من السيارة ودار إلى الجانب الآخر حيث تجلس، وقال: «لست أدرى ما نوع سجائره؟» ومد يده فأستندت إليها بيج وهى تخطو إلى الرصيف. وأضاف: «هل تصادف أن عرفت؟»

رفعت بصرها إليه وهو يحيط خصرها بذراعه، وقالت: «كيف سأعرف نوع سجائر السيد ويرد يا كوين؟ لا أدرى لماذا ينبغى أن ترسل له أى شىء بعد ما فعله.»

صفق الباب خلفهما. وقال بذلك الصوت الناعم الخطر الذى تعرفه جيداً: «لا عليك يا محبوبتى، كلانا يعرف ما فعل.. لقد أعدك جاك العجوز الطيب.» وبرقت أسنانه البيضاء بينما تابع: «إنه يستحق شيئاً نظير ذلك. ألا ترين ذلك؟»

تجمدت بيج، وقال: «أعدنى..؟ كوين، عن أى شىء تتحدث؟»

أغلق ذراعيه حولها، وزمجر: «لابد أن تطنيننى أعمى. ولكن لم لا؟ الجحيم، لقد تصرفت كما لو كنت كذلك على مدى الأسابيع الماضية.»

إتسعت عيناها غير مصدقة، وقالت: «هذه الأسابيع الماضية كانت رائعة. إنها...»

«أراهن أنها كانت كذلك. ما إحساسك بإدائك لدور السيدة كوين فولر؟» شهقت عندما غاصت أصابعه فى جسدها، وتابع: «كيف يبدو ذلك، أن تلعبى اللعبة حسب قواعدك يا محبوبتى؟»

همست: «لا.. لم يكن الأمر كذلك يا كوين. أنت تعرف..»

زمجر قائلاً: «أنا أعرف ما رأيته الليلة. أنت لم تفعلى ما يدعو للخجل، اليس كذلك؟ ملاحقه ويرد أمام زوجته، أمامى...»

هزت بيج رأسها قائلة: «لا، غير حقيقى. إنه...»

«لا عليك يا بيج، لا تضيعى وقتى بالأكاذيب. لقد رأيتك. رأيت عينيك وقد بدأتا تظلمان وأنتما تلعبان بأقدامكما تحت المائدة. لقد رأيت الرجفة التى لم تستطيعى إخفاءها من على شفتيك عندما إحتضن يدك.» والتوى فمه بالأشمئزاز، وتابع: «يا إلهى، وطريقتك فى الإحتكاك به أثناء الرقص..»

حدقت فى وجهه، منتظرة أن يضحك ويخبرها بأن كل ذلك كان نكته بغيضة. ولكن عيناه لمعت بالغضب الشديد. لابد أن هناك وسيلة لحمله على الفهم.

«كوين أتوسل إليك. لقد فرض ويرد نفسه علىّ. هو..»

«مثلما فعلت أنا يا طفلتى؟» حول صوت ضحكته دمها إلى جليد. وتابع: «الجحيم، دعينا لا نضيع كل جهوده هباء يا بيج»

صرخت عندما جذبها بين ذراعيه: «ماذا ستفعل؟ كوين..»

إشتد ذراعاه حولها. وقال بتؤوه: «كثيراً ما قلنا (طابت ليلتك) لدى باب حجرتى يا جولييت الجميلة.» إنقض فمه على فمها فى قبلة ذهبت بأنفاسها. واستحال صوته خشنا وهو يحدق إلى أعلى الدرج قائلاً: «ليس الليلة يا بيج.. الليلة لن ترديني.»

الفصل التاسع

(ليتنى لم أقابلك)

«كوين، لا..»

أسكتت صرختها بقبلته. سحق فمه فمها بينما قيدت ذراعاه حركتها. بدت عاجزة أمام غضبه، ولم تستطع شيئاً سوى أن تضرب كتفيه بيديها وهو يحملها خلال الظلام.

كيف يمكن أن تتبدل الأمور بهذه السرعة؟ منذ لحظات، كانت غارقة فى ما يخبئه الغيب. الآن، الهب الذعر نبضاتها. لا يمكن أن يحدث هذا. ليس الآن. ليس عندما إقتربا كثيراً حتى كادا أن يستعيدا ما بدأ بينهما فى تلك الليلة البعيدة.

نفذ ضوء القمر من باب شرفة حجرة النوم حتى فراش كوين، الفراش الذى نامت فيه وحيده ليال كثيرة. أسقطها فى وسط الفراش وحدق فيها.

قالت سريعاً: «كوين. انصت لى. أنا..»

فتح سترته واستدار بعيداً قائلاً: «إنزعى ملابسك»

كان صوته خشناً. كانت الكلمات تفيض بالوعيد. راقبته وهو يتجه إلى الباب ويصفقه ثم يحكم إغلاقه. كانت الرسالة

واضحة، ودفعت بموجة من الذعر تسرى خلالها.

لن يوقفه شىء الليلة.

وببطء، بدأ يسير إليها، رأت ثقبين من الضوء البارد يتراقصان فى عينيه المتحجرتين. فك رابطة عنقه، ثم الزرار العلوى من قميصه.

«انزعى ملابسك أيتها اللعينة.»

زحفت بيج وأنزوت فى مقدمة السرير. وقالت: «كوين، بحق السماء.. أنصت لى. لا يمكن أن تظن أننى كنت الهو مع ذلك الرجل. لا يمكن أن تظل تعتقد أننى..»

ضحك قائلاً: «تلهين؟.. هل هذا ما تسمينه؟» وتلوى نازعاً سترته وطوح بها جانباً. وقال: «هيا، نحن نضيع الوقت.»

«سأصرخ منادية نورا»

ضحك مرة أخرى، وقال: «لقد ذهبت نورا لزيارة أختها.»

إبتلعت ريقها لتزيل الغصة التى ملأت حلقها، وقالت: «إذا كنت تحاول أن تخيفنى يا كوين...» ثبتت عيناه على وجهها، وقال: «أنت تضيعين وقتك يا بيج. إنزعى ملابسك وأسرعى بذلك.»

ملأت الدموع عينيها، وقالت: «كوين، أتوسل إليك...»

قاطعها قائلاً: «ستتوسل لى. قبل أن تنتهى هذه الليلة.»

وبيقين إقشعرت له، عرفت بيج أنه كان يقول الحقيقة. وفى حركة رشيقة تدحرجت إلى الجانب الآخر، ولكنه كان أسرع منها، وأطبقت يداه بقوة على كتفيها.

وقال بصوت ينضح بالحقد: «سنفعل ذلك طوعاً أو كرهاً.

ويمكننى أن التزم بما تفضلين . »

شملته القسوة بسهولة . كيف نسيت ذلك ؟ بدأ الغضب يحل محل الذعر، ليس فقط من كوين بل من نفسها .

« لا يمكنك أن تفعل ذلك أيها اللعين . هناك قوانين ... »

« ضد ماذا ؟ أنا زوجك يا بيج . أى محكمة تلك التى ستنكر حقوقى ؟ » وقبضت يداه على كتفيها وجذبها إلى هامساً : « لقد قلت لك أننى سأكون هنا عندما تريدين رجلاً ، حسناً ، هأنذا يا طفلتى .. جاهز وقادر . »

« كوين ، أرجوك .. »

« ماذا حدث يا بيج ؟ لقد أثرت أحاسيسك عندما التقينا » وبرقت عيناه فى عينيها ، ثم ضحك قائلاً : لا تقولى أنك قد نسيتى سحر تلك الليلة .. كانت تقليدية جداً ، رومانسية جداً . »

تدافقت الدماء تلون وجنتيها ، وقالت : « كان خطأ . أعرف ذلك . لكننى أحسست .. أنا لم .. »

سقطت يداه عنها ، وزمجر : « وفرى جهدك . أنا أذكر كل المسرحية . كانت مشاهدتك مع جاك ويرد إعادة لهذا العرض .. لا عجب أن سقط أسيرك . »

« أنا لم أفعل . »

تراجعت شفتاه فيما يشبه ابتسامة ذئباً ، وقال : « بحق الجحيم ، إنها تمثيلية رائعة . إمرأة جميلة تقنع رجلاً أنها تحترق بالنيران وليس عليه سوى أن يلعب دور رجل المطافىء . » اختفت الابتسامة المروعة من وجهه ، وقال : « أراهن أن هذا الدور لم يفشل مطلقاً حتى مع آلان . »

« قلت لك أننى لم ... » وأسرعت تقبض يديها إلى صدرها

عندما مد يده إليها ، وسألته : « ماذا تفعل ؟ »

قال ببساطة : « سأنزع ملابسك » ودفع يديها جانباً ، وقال : « هذا ما كان يجب أن أفعله منذ أسابيع مضت » .

جف فمها ، وقالت : « نحن لسنا كما كنا عندئذ يا كوين . نحن ... »

وحدق فيها هامساً : « بحق الجحيم ، كيف تبدين بهذه البراءة ؟ فقط لو .. »

إحتبس نشيجها فى حلقها عندما جذبها إليه وقبلها فى رغبة ملحة . ولكنها لم تشعر بشىء ذات مرة ضمها كوين بين ذراعيه وأحست بحرارة ألف شمس تلتهب فى دمها . أما الآن فإن القشعريرة الباردة التى سرت خلالها قد أماتت قلبها .

تلألأت الدموع فى عينيها . أى مصير مظلم ذاك الذى أرسل لها كوين ؟ كان الرجل الذى حررها من السجن الثلجى .. وها هو يعيدها إليه للأبد .

رفع رأسه وسدد نظراته إليها . كانت أنفاسه غاضبة ، وعيناه كأنهما نجمين باردين .

وقال : « إن تمثيل دور الملكة الثلجية لن يوقفنى هذه الليلة يا بيج . ربما تستطيعين تسهيل الأمر على نفسك .. تخيلى أننى ويرد . »

إرتطم قلبها بضلوعها ، وقالت : « لو كانت بك ذرة اللياقة .. »

« لياقة ؟ » وقبض على كتفيها ورفعها حتى أوقفها على أطراف أصابعها ، وقال : « من أنت حتى تتحدثى عن اللياقة ؟ أنت لا تعرفى معنى الكلمة . يا إلهى ، لو أن آلان التعس أبصر حقيقتك . لو أنه أدرك أى مومس ماكرة أنت ... »

انتحبت قائلة : « أنا أتمنى من الله لو أننى لم أقابل أخاك . وليتنى لم أقابلك مطلقاً . أنا ... »

زمجر وهو يجذبها إليه : « ولكنك فعلت » كان صوته يحمل حتمية القدر . وخفض رأسه إليها ، وهمس : لقد عقدنا إتفاقاً . وسأكون حقيراً إذا تركتك تنسينه . »

وقفت بين ذراعيه كأنها تمثال من الرخام . جامدة ، باردة ، متبلدة الإحساس ، وانتظرت أن ينتهى مما صار حتمياً .

بدا شيئاً مستحيلاً أن تتذكر أنها تاقت لأحضانه ذات يوم . ولكنها تعرف أنها فعلت ذلك . ذات مرة ، كانت لمسة يديه على بشرتها وإحتكاك فمه بفمها يملآنها بنشوة حلوة إلى حد يصيبها بالدوار . إنها لا تشعر بشيء الآن . كأنها فى عالم آخر ، تراقب كوين يمارس الحب مع إمرأة نُحتت من الصخر .

« ماهذا ؟ »

أفاقت على صوته . فتحت عينيها ببطء ، ونظرت إليه . كان ينظر لها بعينين ضيقتين . كان يبسط يده بينما يبرق فى كفه الخاتم الياقوتى الذى قدمه لها .

« إنه .. إنه الخاتم الذى أعطيته لى . » لمعت على وجهه ابتسامة فى رهبة البرق ، وقال : « نعم ، أنا أذكر . »

أطبق يده على الخاتم وعلى إمتداد السلسلة الذهبية التى يتدلى منها . جذب السلسلة الرقيقة ليقربها منه . قالت بنبرة من التحدى : « أنت قلت أنه لى . وقد قدمته لك ولكنك قلت .. »

سقطت السلسلة من يده إلى صدرها ، وقال : « أنا أعرف ما قلته . هل كنت ترتدينه دائماً ؟ »

رفعت ذقنها ، وقالت : « نسيت أن أخلعه . هذا كل ما فى الأمر . »

« نسيتى ؟ كل هذه الأسابيع ، وأنت تنسين ؟ » وأنزلقت ذراعاه حول خصرها . ومست أنفاسه الدافئة وجنتيها ، وقال : « هل تذكرين ليلة أن قدمته لك ؟ »

قالت سريعا : « لا . »

رد بهدوء : « أنا أتذكرها .. أتذكرها كأنها الأمس . لقد قلت لك أن البريق الذي يلتهب فى قلب الياقوت سيذكرك بى . »

« أنا . أنا لا أذكر . أنا ... »

اشتد ذراعاه حولها ، وقال : « لقد قلت لك أنه سيجعلك ترين كيف سيجمع بيننا . »

سرت رجفة خلالها ، وهمست : « كان ذلك فى زمن آخر من عمرى . كان ... »

« نعم . كان زمناً ساحراً . » وضمها إليه قائلاً : « أخبرينى أنك تذكرين هذه الليلة يا بيج »

طافت نظرتها المحدقة بوجهه تبحث عن مزيد من الوحشية . كانت عيناه تلتهبان وقد إنفرجت شفتاه .

وهمست : « كوين .. »

« جولييت »

بعثت لمساته فيها الحياة ، وأثارتها قبلاته ، والتهبت ببريق كذاك الذى يلمع فى قلب الياقوت .

أحست أنها تستطيع أن تقبض على النجوم التى تبرق فى ليل كونكت كت وشوارع لندن الهادئة .

همس كوين : « جولييت ... زوجتى . »

كان قلبها يضطرب بالسعادة . وأحست بضياء النجوم يبرق فوقها وخلالها . وعندما عادت ببطء إلى الأرض ، آمنة بين

ذراعى كوين، فهمت معنى أقدم أنواع السحر.
الحب.

استيقظت بيج على صوت تساقط قطرات المطر على النافذة. كان عقلها يضطرب بصور غائمة كأنها الحلم. تمددت فى كسل، وأحست أنه صباح رائع للأحلام.. أحلام بالسماوات الزاخرة بالنجوم، بذراعى كوين القويتين.

كوين. خفق قلبها بشدة. لم تكن أحلاماً مطلقاً. لقد كانت الليلة الطويلة الرائعة حقيقة.

كانت وحيدة فى فراشه، عرفت ذلك حتى قبل أن تفتح عينيها. كان موجوداً لكانت بين ذراعيه مثلما كانت طوال الليل. وكأن كوين كان يعوض كل الليالى التى أضاعها خلال أسابيع زواجهما.

توردت وجنتاها عندما تذكرت الساعات الماضية، وابتسمت وهى تجلس وتجرى يديها خلال شعرها المتناثر. ماذا حدث للمرأة التى كانت تتجمد من قبلة واحدة؟ دفعت بيج الأغطية وخطت بقدميها العاريتين على أرضية حجرة النوم. وبطرف عينيها لمحت صورتها فى المرآة، وتوقفت.

هل هى فعلاً هذه المرأة ذات الشعر المشعث؟ ضحكت برقة وهى تتفحص صورتها. كان جسدها يتوهج ببريق جديد، وهناك لون وردى فى وجنتيها لم يكن موجوداً من قبل.

لم يعد الخاتم الياقوتى يرقد بين نهديها. لقد كُسرت السلسلة الرقيقة أثناء الليل، وها هى موضوعة على المنضدة المجاورة للسرير. أحست أن كل شىء قد تغير ولكن المهم هو ما أحست به فى قلبها. لفت بيج ذراعيها حول نفسها ودارت على عقبيها، ورقصت قدماها العاريتان على الأرض المغطاة

بالسجاجيد.

أخذت نفساً عميقاً، وهمست للحجرة الصامتة: «أنا أحبه.. أنا أحبه فى كل الأوقات بكل قلبى.»

التقطت من خزانة ثيابها ملء ذراعيها من الملابس وأنتقت ما ارتدته بسرعة. إن كوين ينتظرها بالطابق الأرضى. كوين. زوجها. أحست بالدوار وهى تفكر فيما سيحدث. وتذكرت.. منذ وقت ليس بالبعيد كانت تقف فى نفس الحجرة تراودها نفس الفكرة.. ولكن كم إختلف الأمر هذا الصباح. فى المرة الأولى كانت تكره كوين.

لا، هذا غير حقيقى. إنها لم تكرهه على الإطلاق. دائماً كانت تحبه.. دائماً. كان الغضب والإرتباك يحولان بينهما. ولكن صار كل هذا وراء ظهريها.. إنها زوجة كوين.. زوجته هذا ما كان يناديها به طوال الليل. واليوم.. اليوم، فكرت وهى تضع يدها على مقبض الباب.. اليوم هو أول أيام شهر عسلهما.

حيتها رائحة القهوة وهى تقفز هابطة الدرج. كان باب المكتبة مفتوحاً، لكنها كانت خالية، وكذلك حجرة المعيشة الرسمية الصغيرة. بالطبع لن تعود نورا قبل المساء. سرت دفعة من اللون الوردى بوجنتيها. إن كل البيت لهما وحدهما. كان الجو يمطر، وستكون المدفأة رائعة. وهناك بطانية ملونة ناعمة ملقاه على ذراع أحد المقاعد فى المكتبة.

كان المطبخ خالياً أيضاً. كان إبريق القهوة يتوسط المائدة، مليئاً بالسائل الداكن، وبجواره فنجانان، ولكن لم يبد أى أثر لكوين. قطبت بيج جبينها وعادت للصالة سددت بصرها إلى حجرة الجلوس الخاوية. هل هو بالطابق الثانى؟ تسارعت

خفقاتها. نعم، لابد أنه هناك. ربما يكون فى حجرة الضيوف يجمع ملابسه من خزانة الثياب إستعداداً للعودة إلى حجرته.. حجرتها..

وما أن صعدت الدرجة الثانية من الدرج حتى سمعت ضوضاء فى المكتبة. ولكنها بحثت هناك. وهزت كتفيها، وأجتازت الردهة إلى الحجرة. لاعجب أن إفتقدته فى المرة الأولى. كان فى أقصى اليسار، ويكاد الباب يحجبه. ولفت بيج إلى الحجرة دون أن تصدر قدماها العاريتان أى صوت على سجادة الأرضية. كان ظهر كوين تجاهها بينما يقف أمام المنضدة ذات طراز حملات نابليون. ورأته يرفع المفرش عن أحد أركان المنضدة فأنفتح درج خفى.

قالت ضاحكة: «ضبطتك متلبساً... أدراج سرية مليئة بالمال.»

دار بجسده، ونظر لها قائلاً: «ألم تسمعى مطلقاً عن طرق الباب قبل أن تدخلى حجرة؟»

غاص قلبها فى قدميها، وقالت: «أنا.. أنا لم أعرف أنك.. أنا لم أقصد أن أتطفل». وحدقت فيه صامتة، ثم أومأت قائلة: «سأذهب... سأذهب إلى حجرتى.»

«بيج»

«ماذا؟» كان لابد أن تهمس بالكلمة لتخفى إضطراب صوتها.

تناول مظروفاً من الدرج، ووضعه فى جيب سترته، وأغلق الدرج بقوة. عندما نظر لها مرة أخرى، كانت وجهه ابتسامة لطيفة.

«أنا آسف. لم أقصد محادثتك بحدة لقد روعتيننى، هذا

كل ما فى الأمر.»

أومأت قائلة: «لا.. لا بأس يا كوين. أنا.. أنا..»

نقلت نظرها بين قدميها العاريتين وبينه ثم قالت: «أظنك لم تسمعنى. إنها إحدى عاداتى.» وابتسمت ثم أضافت: «التجول بقدمين حافيتين..» خبا صوتها. لماذا لم يخطر ببالها أن الأمور قد تتوتر بينهما هذا الصباح؟ لابد أن ينقضى بعض الوقت قبل أن تتناغم علاقتهما الجديدة. ولكن لديها كل وقت العالم. الأعوام أمامهما، حافلة بالحب والإكتشاف.

قال: «لقد أعددت بعض القهوة فى المطبخ. أنا متأكد أنها ليست بمستوى ما تصنعه نورا، ولكن..»

قالت بسرعة: «إن رائحتها رائعة.» وراقبته وهو يتجه لمكتبه ويفتح أحد الأدراج، وقالت: لم لا تصب لنفسك فنجاناً وتشربه ريثما أعد الإفطار؟»

أغلق الدرج بعنف وفتح آخر، وقال: «الإفطار؟»

أومأت بيج قائلة: «شىء خاص. ما رأيك فى بعض الفطائر المحلاه وشرائح لحم مقدده؟ أو كعك الوفل.. أنا بارعة جداً فى صنعه. كان والدى دائماً يحب ما أصنعه من كعك الوفل..»

يا إلهى، ما الذى جعلها تقول ذلك؟ إعتدل كوين وحدق فيها.

وقال بتؤوه: «والدك؟ نعم، كيف حاله؟ أنت لم تذكريه منذ فترة.»

قالت بهدوء: «إنه... إنه بخير. لقد وصلنى خطاب من الوطن بالأمس. إنه يقول بأن الأمور.. مطمئنة فى المكتب»

«دعينا نأمل أن يحافظ على الأمور فى هذه الحالة.»

جمدت دماؤها لدى غموض صوته. ولأول مرة تنبهت إلى أنه يرتدى ملابس الخروج للعمل. كان يوم سبت. وبدلاً من بنطلونه القطنى المخملى الزغب وسترته الصوفية ذات القبة الواقفة الضيقة، كان يرتدى بدله كاملة. كان معطفه الواقى من المطر ملقياً على ظهر أحد المقاعد. ووسط الحجرة كانت هناك حقيبة سفر.

«هل أنت.. هل أنت ذاهب إلى مكان ما؟»

أغلق الحقيبة بحركة سريعة، وقال: «نعم. لدى أعمال فى إدنبره. ألم أذكر ذلك؟»

«لا، لا، أنت... أنت لم تقل أى شىء عن...»

قال ببساطة: «ظننت أننى فعلت» وطوح المعطف على ذراعه واتجه إلى الباب قائلاً: «حسناً، لا بأس لن تكونى بمفردك لمدة طويلة. ستعود نورا هذا المساء.»

إضطرب قلب بيج وهى تهرول خلفه إلى الباب الأمامى، وقالت: «ولكن... ولكن متى ستعود يا كوين؟»

توقف لدى الباب، وقال بلهجة آمرة: «بعد أيام قلائل.»

رددت هامسة: «بعد أيام قلائل».

أومأ قائلا: «سأعود فى نهاية الأسبوع» وبدا كأنما يريد أن يضيف شيئاً، ولكن بعد لحظة صمت، إستدار ووضع يده على مقبض الباب، وقال: «سيمكننا أن نتداول الأمور عندئذ.»

إبتلعت ريقها بصعوبة، وقالت: «نتداول الأمور» سمعت نفسها تردد كل شىء يقوله، كما لو كانت طائر المنية الآسيوى. وأضافت: «أنا لا أفهم».

قال بصوت خال من أى تعبير: «نحن.. أنا وأنت..

لا معنى لإستمرارنا على هذا الحال يا بيج. أريد أن تستقر الأمور.»

فتح الباب فهبت من الشارع عصفة ريح محملة ببرد المطر.

«ظننت.. ظننت أننا فعلنا ذلك ليلة أمس عندما أنت.. عندما نحن...»

إستدار ليواجهها. كانت عيناه فى هدوء البحر قبل العاصفة.

«لقد نمنا سوياً. لا تحاولى أن تصنعى من الأمر أكثر من ذلك.»

أحست بالدماء تهرب من وجهها. وعلا نفير سيارة بالخارج، واستدار كوين.

«لقد وصل (التاكسى). لابد أن أذهب يا بيج» كان صوته جافاً، وأضاف: «سنتحدث عندما أعود»

«كوين..»

لكنه كان يبتعد مسرعاً إلى السيارة الأجرة. راقبته وهو يفتح الباب ويدلف إلى السيارة، وظلت تراقب السيارة الأوستن السوداء حتى تداخل لونها مع لون الشارع الممطر الرمادى وأختفت. وبالكاد، تذكرت أن تغلق الباب خلفها.

الفصل العاشر

(ولكن صار طريقها)

كانت المكتبة باردة. النيران تلتهب فى المصطلى، ولكن تسللت النسمات الباردة لليوم الملبد بالغيوم إلى الحجرة. تهاوت بيج على كرسى ذى ذراعين وظهر مرتفع، وحدقت فى السنة اللهب المتراقصة، وهى ترشف فنجاناً من القهوة المرة، وحاولت أن تفهم ما قاله كوين.

(أريد أن تستقر الأمور)

لقد ظنت أن ما حدث بينهما ليلة أمس قد فعل ذلك.

(لقد نمنا سوياً)

ولكن ما تقاسماه كان أكثر من إشباع مجرد رغبة. كوين يعرف ذلك.. يجب أن يعرف ذلك. كل شىء فعلاه معاً ليلة أمس، الساعات البالغة العذوبة من اللمسات والقبلات والاكتشاف، كل هذا كان شيئاً خاصاً.

اليس كذلك؟

(لا تحاولى أن تصنعى من الأمر أكثر من ذلك)

ارتجفت يدها وهى تضع الفنجان على المنضدة. هل هذا

ما فعلته.. أن صنعت من الأمر أكثر من أنهما نامًا معاً.

نهضت من مقعدها وسارت إلى باب داخلى.. ما الذى تعرفه عن الحب؟ هكذا حادثت نفسها وهى تزيح الستائر وتمد بصرها إلى الحديقة التى غسلتها مياه الأمطار.. إن لديها خبره محدودة جداً.. ربما تكون عديمة الخبرة، ولكنها ليست بلهاء. هناك حب رائع وحب سيىء، مثلما هناك محبون بارعون وآخرون سيئون.. وكوين.. كوين محب بارع، قوى، ورجل وسيم فى ربيع عمره. إنه يعرف كيف يسعد إمرأة.. ولقد كان سلوكه معها ينبض بالحب.. ولكن..

(لا تصنعى من الأمر أكثر من ذلك)

لقد قضت الليل بين ذراعيه، ولكنه لم يقل مطلقاً: أنا أحبك، كان يناديها بجوليت الجميلة، ذكرها بالسعادة التى أدخلها عليها. وكم كانت تريده، ولكن ماذا يعنى ذلك عند مقارنته بالكلمة البسيطة التى لم ينطقها مطلقاً؟

تركت بيج الستائر تعود لموضعها. وغاصت فى كرسيها محدقة فى النيران. هل كانت تخدع نفسها؟ الم يتوقف كوين عن كراهيتها رغم كل هذا المرح والصداقة الحميمة؟ يا له من تعذيب خاص يشمل قلبها بالإضافة لجسدها.

(عندما تريدين رجلاً، سأكون هنا)

إنها تذكر الليلة التى أعطى فيها هذا الوعد القاسى. ولكن كل منهما قال أشياء بقصد جرح مشاعر الآخر فى تلك الليلة.

ليلة أمس. ظنها تريد جاك ويرد.

إنتفضت واقفة، وهمست: «لا»

ترددت همستها فى الحجرة الصامتة. هذا جنون. لو كان الأمر كذلك. لكان أخذها عنوه. ولكن كان رقيقاً ومراعياً

وحرص على أن يمتلك كل أحاسيسها.

«سأمارس معك الحب حتى تتوسلى لى أن أتوقف. وعندئذ أكون قد تحررت منك أخيراً.»

شهقت طلباً لأنفاسها، كأن الهواء قد سُحب من الحجرة فجأة. ماذا حدث؟ إن كوين يهتم بها. ليس فقط ليلة أمس، ولكن فى كثير من الأمور الأخرى.. وهى على يقين من ذلك. لقد كانا سعيدين معاً خلال الأسابيع الماضية.. زارا أماكن عدة، وفعلا الكثير من الأشياء معاً، وضحكا، وتحدثا..

ولكن لم يتحدثا مطلقاً عما جمعهما معاً. عندما حاولت، قاطعها كوين بسرعة، ولم تحاول فرض الموضوع. لماذا تخاطر بإفساد الأمور؟ هكذا قالت لنفسها بعد أن رأت أنهما غير مضطرين للحديث عن الماضى بعد أن خلفاه وراء ظهريهما.

لكن هذا غير حقيقى. أنت فى الواقع لم تتركى الماضى مطلقاً، أفضل ما يمكنك عمله هو الأمل فى أن تستطيعى فهمه. عندئذ يمكنك بناء مستقبل.

زفرت بيج أنفاسها ببطء. هذا ماقصده كوين عندما قال أن الأمور بينهما يجب أن تستقر. خفق قلبها. بالطبع! لقد فهمت وكان على حق. إن رغبة كل منهما فى الآخر، بل وحتى الوقوع فى الحب، لايمكن أن يغيرا من السبب البغيض لزواجهما. يجب أن يتحدثا عن آلان وعن أبيها. عندئذ سيصبحان أخيراً أحراراً فى بدء حياتهما معاً.

إنها السيدة كوين فولر. بيج فولر. إمتدت شفتاها فى ابتسامة. شىء مضحك، إنها لم تدع تفكيرها يسلك هذا التفكير من قبل على الإطلاق، ولكنه صار طريقها، وهذا ما كانت تريده.. إنها زوجة كوين..

أجفلت لدى سماعها رنين جرس الباب. تنهدت بيج وسارت خلال الصالة إلى الباب الأمامى. وحادثت نفسها. لقد عادت نورا مبكراً، ربما خوفاً من المطر. إن أختها تعيش فى أقصى الطرف الآخر من لندن. وهى تنتقل من باص لآخر فى طريق عودتها، وفى يوم كهذا فإن الباصات تتأخر دائماً وتكون الصفوف طويلة.

ابتسمت بيج وهى تفتح الباب، وقالت: «هل نسيتى مفتاحك يانورا. أنا سعيدة بعودتك. كنت على وشك إعداد كوب من الشاى..» صمتت كلماتها فجأة عندما وقع بصرها على الشخص الأشقر الطويل الواقف بالباب. وقالت غير مصدقة: «أبى» كان وجه أندروجارونر حزيناً، وقال: «مرحباً يابيج، هل يمكننى الدخول؟»

حدقت فيه ثم أومأت وأفسحت له الطريق قائلة: «نعم، نعم، بالطبع. أنا فقط...» حبست أنفاسها عندما أغلق الباب خلفه، وقالت: «هل حدث شىء؟ أمى...»

«أمك بخير»

أغلقت بيج عينيها بإرتياح، وقالت: «الحمد لله، ظننت..»

نزع والدها معطفه وناوله لها. وراقبها وهى تعلقه على المشجب وراء الباب، وقال: «يمكنك أن تقولى بأننى جئت إلى هنا لأجل العمل.»

«العمل؟»

أومأ والدها قائلاً: «نعم، هل يمكننا الجلوس يابيج» وابتسم بطريقة اعتذارية، وتابع: «وقد يمكننى أخذ كأس من البراندى إذا كان لديكم.»

حدقت فيه متسائلة: «ولكن أى نوع من العمل؟.. لم يقل كوين مطلقاً..»

«البراندى أولاً من فضلك. لقد انتظرت دهراً من أجل سيارة أجرة فى المطار.»

أومأت قائلة: «بالطبع. تعال وأجلس بجوار المدفأة وسأحضر لك الشراب.»

تبعها إلى المكتبة، وراقبها وهى تتناول كأساً وتصب كمية وافرة من البراندى، وتناوله له.

«شكراً.. فى صحتك.. اليس هذا ما يقولونه هنا؟» عب الكأس فى جرعة واحدة ثم سحب شهيقاً من بين أسنانه، وقال بضحكة غريبة: «قد يكون من الطيب أن تأخذى كأساً لنفسك.»

حدقت فيه للحظة ثم أومأت قائلة: «ربما» وسكبت قليلاً من البراندى فى كأس، وقالت: «والآن يا أبى لماذا لا تخبرنى بما فى الأمر؟»

جال ببصره فى الحجرة، وقال: «إن منزلكما جميل ياعزيزتى» ثم أشار إلى اللوحة المعلقة فوق المصطلى، وقال: «هذه لجان انطوان واطو (فنان فرنسى.) اليس كذلك؟ إنها غالية.»

بدأت قشعريرة تسرى فى أوصال بيج، ونظرت إليه قائلة: «كوين ليس هنا.»

التفت إليها قائلاً: «هذا شىء طيب أيضاً.»

إزداد القشعريرة بجسدها، وقالت: «ولكنك قلت أنك جئت لأجل العمل يا أبى»

«نعم. ولكن لا شأن لزوجك بذلك. الأمر يخصنا، أنا

وأنت فقط.»

زمت حاجبيها، وسألت: «عن أى شىء تتحدث؟»

التفت عيناه بعينيها ثم صرفهما بعيداً، وتمتم: «لو كان لدى خيار لما جئت لك. لابد أن تفهمى ذلك يا بيج. ولكن أنا.. أنا ليس لدى أى ملجأ آخر، و...»

«هل تعرف أمى أنك هنا؟»

إرتفعت رأس أندرو جارونر بحدة، وقال: «بالطبع لا. أنا.. أنا فقط أخبرتها أننى مضطر للسفر خارج المدينة فى مهمة عمل.»

«للسيد فولر؟»

ضحك والدها قائلاً: بالضبط»

التقطت نفساً عميقاً، وقال: «أرى من الأفضل أن تخبرنى بسبب حضورك.»

أومأ قائلاً: «نعم، حسناً» ونظر إلى زجاجة البراندى باشتياق، وقال: «أنا لا أفترض..»

«أبى، أرجوك، ماذا فى الأمر؟»

«حسناً يا بيج. سأقصد إلى مربط الفرس. أنا مضطر لإقتراض بعض النقود منك.»

«نقود؟ وتأتى لى؟» كادت بيج تضحك، وتابعت: ليس لدى أى نقود يا أبى.»

«لا تكونى سخيفة.» كان صوته حاداً، وأضاف: «لقد تزوجت ثروة.»

قال بكلمات واضحة متأنية: «لقد تزوجت رجلاً.. هناك فرق»

هز كتفيه، وقال: «المهم، أن لديك الكثير من النقود

يا بيج . وأنا .. أنا أحتاج بعضها . »

نظرت إليه قائلة : « لأى غرض ؟ »

« ما الفرق ؟ أنا .. »

إرتفعت ذقنها ، وكررت : « لأى غرض يا أبى ؟ »

زاغت عيناه من عينيها ، وقال : « أنا ... أنا إقترضت بعض النقود . »

« ولكنك وعدت أمى »

أشار لها متبرماً ، وقال : « لا . أنا .. أنا إحتجت أكثر من ... لقد إقترضتها من مكان لآخر . »

شحب وجه بيج ، وقالت : « تقصد أنك إختلست من مؤسسة فولر مرة أخرى ! هل جننت ؟ لقد أقسمت أنك .. »

لوح أندريه جارونر بيده قائلاً : « ليس لآل فولر دخل بذلك . إنه قرض . من شخص ما ، صديق لصديقى . لو سارت الأمور كما ينبغى لأمكننى سداده بسهولة . ولكن ... »

« ولكن ؟ »

ضحك بضيق قائلاً : « ولكن الأمور لم تفعل »

« أية أمور ؟ »

قال بتبرم : « لا يهم . ما الفرق ؟ الآن أنا أحتاج ... »

رفعت بيج ذقنها ، وقالت بلهجة قاسية ساخرة : « أنت تحتاجنى لأخرجك من ورطة . نفس ما حدث من قبل . الفارق الوحيد أنك قد قررت هذه المرة أن تطلعنى على الأمر . »

لوى والدها فمه قائلاً : « لا أعرف ما تقصدين يا بيج . »

« لا عليك يا والدى ، الوقت متأخر لهذه الألعاب . كلانا يعرف لماذا كنت متحمساً لزواجى من آلان كان ذلك سيمثل ضماناً ألا تُحاكم إذا تم ضبطك . »

قال بلهجة دفاعية : « لقد نجح تدبيرى . فلقد تزوجت زواجاً طيباً . وأمتلكت كل هذا المال . »

نهضت بيج ، وقالت بثبات : « زوجى هو الذى يمتلك كل هذا المال . »

« تستطيعين الحصول على بعض منه ، اليس كذلك ؟ »

« لن أخرجك من هذه الورطة يا أبى . أخبر من إقترضت منه النقود — أيا من يكون — أنك لا تستطيع .. »

« بيج ، انصتى لى . أنا أعرفك .. وأعرف أن فكرتك عنى ليست طيبة . ولكنى فى مشكلة حقيقية هذه المرة . فكرى فى أمك ، إن لم يكن فىَّ . »

« أخبره أنك سوف تسدد له بالتقسيط ، هذا ... »

« الهى العظيم » ارتفع صوته فى ألم ، وأضاف : « سيقطعون ساقىَّ ، ألا تفهمين ؟ سأجد نفسى فى طريق مظلم . »

« أى شىء تتحدث ؟ لقد قلت أنك إقترضت من صديق . » وحدقت فى عينى والدها . وأضافت بتؤده : « مرابى ... إقترضت من مرابى ، اليس كذلك ؟ .. مرابى لا يرحم »

« كان الطريق الوحيد لأحصل على ما أحتاج من النقود . »

« لكن .. لن يؤذونك حقيقة . اليس كذلك ؟ مثل هذه الأمور تحدث فى الأفلام الشريرة فقط . »

« إنها تحدث فى الحياة الحقيقية يا إبنتى البريئة . أنا ... أنا إقترضت النقود لبعض الوقت . عدة أسابيع . وإذا لم أدفع حتى بعد غد .. » إرتجف صوت أندرو جارونر ، وأضاف : « فقط .. اقرضينى ما أحتاجه لمدة أسبوع . أسبوعان على الأكثر . أتوسل إليك يا بيج . »

غاصت بيج فى المقعد المواجه له، وثبتت عيناها عليه، وهمست: «مرابى... فى البداية سرقت... والآن...»

قال بسرعة: «أنا لم أسرق شيئاً لقد افترضت. هناك فرق.»

قالت بحدة: «لا فرق على الإطلاق.» لماذا غابت عنها الحقيقة كل هذا الوقت؟ لا يمكنك أن تتجاهل الأمور لأنها غير سارة. فى الإنزواء فى الأركان المعتمة تتكاثر الظلمات كأنها الموت.»

«بيج.. أرجوك..» كان صوته خافتاً مثقلاً باليأس.

همست: «لماذا... لماذا فعلت ذلك؟ أنا لا أفهمك»؟

هب جارونر واقفاً، «ما ظنك أنت؟» لا مغامرة يعنى لا ربح. لقد حاولت دائماً أن أقول هذا لك ولأمك. ولكن لم تفهم أنى منكما، لقد ظننتما أن الأمر لا يعدو وعن كونه لعبه سخيفة.»

«لقد فهمنا. كنت تريد أفضل الأشياء لنا. ولكن كان لدينا كل ما نحتاجه يا أبى. لقد أعطيت كل شىء.»

هز كتفيه مستخفاً بكلماتها، وقال: «هل جربتى إحساس أن تديرى أموالاً لأغنياء بينما ليس لديك أى أموال خاصة بك؟» وتابعت القسوة البادية فى عينيه بينما يضيف مقلداً: «هل فقدنا بضعة آلاف اليوم يا جارونر؟ حسناً، لا بأس، هناك المزيد سيأتى من حيث جاءت.» ذهبت نبرة التقليد من صوته ومط فه للأمام قائلاً: «أنا فى ذكاء أى منهم. الجحيم، الفارق الوحيد بينى وبين من أنفقت حياتى فى خدمتهم هو فى مدى إقدامهم على المغامرة.» وأنثنى تجاهها ثم تابع: «ينبغى أن أكون قد حققت ثروة فى هذه السن يا بيج. لقد حصلت

على صيغة للتنبؤ بأن السوق سوف...»

كان والدها لا يزال يتحدث، بينما بيج لا تصغى له. كيف كانت هى وأمها بهذا العمى؟ ربما كان من الأفضل الابتسام على برامجه لتحقيق الغنى بدلاً من الإعتراف بالحقيقة.. بأن هذه فكرة خطيرة متسلطة عليه وكأنها إدمان قادة أخيراً إلى وضع حرج ميئوس منه.

فقط لو كان كوين موجوداً. كان سيعرف ما يفعله. لكنه سافر، وليس لديها ولو رقم تليفون يمكنها من الإتصال به. لن يعود قبل نهاية الأسبوع القادم. وفى ذلك الوقت، فإن والدها ربما يكون..

قالت: «حسناً.. حسناً. سوف أقرضك ما تحتاج إليه.»

ضحك والدها بصوت عال، وقال: «بوركت يا بنيتى. سوف أعيد كل بنس مع فائدته. إن صيغتى...»

قالت بيج بحدة: «لا أريد أن أسمع شيئاً عن صيغتك. أنت بحاجة للمساعدة يا أبى. أنت...» بدت على وجهه نظرة أنبأتها بأن توفر جهدها، ليس هذا وقت المحاضرات. فضلاً عن ذلك. فضلاً عن ذلك، فإن والدها لم يعد يدرك مشكلته مثلما تراها هى ووالدتها. وبتنهيده إستسلام، نهضت من مقعدها. وقالت: «فقط دعنى أحضر دفتر شيكاتى.. كم تحتاج؟»

زم شفتيه وأجرى يديه أسفل ياقة قميصه، وقال: «عشرة آلاف دولار.»

بدت كلماته وكأن صداها يتردد فى الحجرة. حدقت بيج فى والدها صامتة لما بدا كأنه دهراً.

«عشرة آلاف دولار؟»

أومأ، وقال بسرعة: «سوف أعيدها.»

«لكننى ظننت.. ظننت أنك تحتاج مئات قليلة.»

إغتصب ضحكة محدودة، وقال: «هل أتكبد سفر كل هذه المسافة لأجل مئات قليلة من الدولارات يا بيج؟ أنا أحتاج عشرة آلاف دولار.»

هزت رأسها قائلة: «ليس لدى هذا المبلغ.»

«ماذا تقصدين؟ إن زوجك رجل ثرى.»

«إن حسابى بالبنك يقل عن الألف يا أبى. بالدولار هذا يعنى..»

قال بلهجة غاضبة: «أنا أعرف ما يعنيه. هذا مستحيل يا بيج. لابد أن لديك أكثر من ذلك.»

«هذا كل ما أملك. باقى الحسابات بإسم كوين.»

ونظرت بيج لوالدها، وقالت بتؤده: «أنا آسفة. ليس لدى ما يمكننى عمله».

شحب لون أندريد جارونر، وقال: «سيقتلوننى. لقد فعلوها من قبل. الرجل الذى حدثنى عن هؤلاء الناس.. لقد حذرنى بأنه يعرف شخصاً إقترض منهم ولم يستطع الدفع وأن.. وأنه إختفى تماماً.»

إشتدت ضربات قلبها. وقالت: «إذهب للشرطة».

«الشرطة؟ سيزد ذلك من سوء الأمور. أنت لا تتحدث للشرطة عن ناس كهؤلاء، هذا إن أردت أن تُبقى على حياتك.» غاص والدها فى المقعد مرة أخرى. وأجرى يده خلال شعره الأشقر، وقال: «لابد أن تفكرى فى شىء ما. بالتأكيد، لابد أن لديك شيئاً ذا قيمة.»

إندفعت يدها إلى صدرها، وبحركة دفاعية بحثت عن خاتم كوين الياقوتى قبل أن تتذكر أنه على المنضدة فى حجرة النوم.

وكأنما قرأ والدها مايدور بتفكيرها فقال: «مجوهرات.. لابد أنه قدم لك مجوهرات.»

قالت سريعاً. «لا.. لاشىء» غير معقول أن تعطيه خاتم كوين. غير ممكن إطلاقاً. ضاقت عيناه، وقال: «نحن نتكلم بشأن حياتى يا بيج. أنت لن تبخلى علىَّ.»

«أبى. أنا...»

قال بلهجة خشنة: «فكرى يا ابنتى... هل توجد خزينة بالمنزل؟»

«لا» وفجأة تذكرت دخولها المكتبة هذا الصباح حيث كان كوين يقف أمام المنضدة التى يعود تاريخها إلى عصر حملات نابليون.

«خيراً؟»

أومأت. وقالت: «يوجد درج سرى..» نظرت لوالدها قائلة: «أنا حتى لا أعرف إن كان به أى شىء»

«إفتحيه.»

ملأ الكرب عينيها، وهمست: «هذا خطأ. لا يمكننى مجرد..»

«ما يحدث لى سوف يعذب ضميرك للأبد.»

ابتلعت ريقها، وقالت بتؤده: «حسناً. إنتظر فى الصالة.» وأغلقت باب المكتبة خلفه ثم سارت ببطء إلى المنضدة. وبعناية رفعت المفرش عن ركنها النحاسى. تحرك الدرج بسهولة، واندفع مفتوحاً.

كانت بداخله بعض المظاريف المرتبة بدقة. كان بالأول أوراقاً. وبالثانى جواز سفر كوين. ظفر قلبها متجاوزاً إحدى دقاته عندما وصلت للمظروف الثالث.

كان المظروف يحوى نقوداً. أوراق نقد أمريكية. أخرجتها وعدتها. ثمانية، تسعة، عشرة آلاف دولار.

وضعت بيج الأوراق النقدية على المنضدة وحدقت فيها. كيف يمكنها أخذ هذه النقود؟ إنه خطأ. حتى ليلة أمس كانت زوجة كوين بالإسم فقط. ومع صعوبة بدايتها، فإن كل ما قاما به يمكن أن يذهب أدراج الرياح إذا ما أقدمت على ذلك. وأحنت رأسها.. ليته كان موجوداً.

لكنه غير موجود. لقد عبر والدها المحيط ليخبرها أن حياته فى خطر. قلبت الأوراق بإبهامها مرة أخرى. هل ستكون النقود ذاتها مهمة بالنسبة لكوين؟ إنها تشك فى ذلك. إن زوجها رجل ثرى. لقد أنفق من الأموال ما يساوى ما تحت يدها الآن فى عصر ذلك اليوم حين أخذها للتسوق.

ولكن المهم أنها ستكون قد أخذت النقود دون علمه أو إذنه. سرقتها. سرقتها وأعطتها لوالدها، الرجل الذى حماه كوين ذات مرة. ولكن ما هى فرص الخيار أمامها؟ لا يمكنها أن تدع والدها يؤذى. بالتأكيد، سيتفهم كوين موقفها.

أخذت نفساً عميقاً، وفتحت باب المكتبة. دفعت بالنقود إلى والدها قائلة: «ها هى. والآن، إنصرف ولا تأتى مطلقاً لتطلب معونتى مرة أخرى.»

أخرج والدها أنفاسه بإرتياح، وقال: شكراً لك يا طفلتى العزيزة. شكراً لك أقسم، أننى عندما أخرج من هذه الورطة فلن أكررها مرة أخرى على الإطلاق.» ونظر لساعته ثم قال: «إذا أسرعت، فيمكننى أن الحق بأول طائرة عائدة إلى أمريكا هل يمكن أن تطلبى سيارة أجرة تليفونياً؟»

تقلصت معدتها لدى فكرة أن تتبادل معه حديثاً قصيراً أثناء

إنتظاره للسيارة الأجرة. بدا من الأسهل أن تصحبه بنفسها فى سيارة كوين الجاجوار إلى المطار.

التقطت معطفها من على المشجب، وقالت: «سأخذك للمطار. لقد ترك كوين سيارته فى الجراج.»

تنحنح والدها، وقال: «بيج؟» توقفت بينما تقبض يدها على مقبض الباب. وأجرى لسانه على شفتيه، وقال بصوت مبحوح: «أعرف أننى لم أكن ذلك الأب العطوف كما كان ينبغى. ولكن.. ولكننى أحبك يا ابنتى. فقط أردتك أن تعرفى ذلك.»

أحاطها بذراعيه. أذهلتها الحركة البسيطة. هل حدث أن إحتضنها من قبل على الإطلاق؟ إذا كان قد فعل، فإنها لا تستطيع تذكر ذلك. وقفت ساكنة بين ذراعيه ثم، وبتردد، وضعت ذراعيها حول عنقه.

وهمست: «أنا.. أنا أحبك يا أبى.»

لفتحتها هبة ريح باردة عندما فُتح الباب الأمامى. تباعدت بيج ووالدها كانت مديرة المنزل تقف فى المدخل تحدق فيهما.

قالت بيج: «نورا. أنا.. أنا لم أتوقع حضورك قبل المساء.»

رفعت مديرة المنزل حاجبيها، وقالت: «هذا ما أراه يا سيدتى. أرى أننى قد جئت مبكرة قليلاً.» وارتفعت ذقنها ثم أضافت: «أظن أن السيد فولر غير موجود.»

«كوين؟» واندفع فيضان من الدماء إلى وجنتيها، وقالت: «لا... لا، إنه.. إنه غير موجود هذا هو..» واستدارت لتقدم والدها، ولكن عندئذ طرأت لها فكرة أفضل. ستكون هناك أسئلة ليس لديها وقت للإجابة عليها، وقالت:

«كنا فى طريقنا للخروج الآن.»

استنشقت نورا أنفاسها متسائلة: «حقاً؟»

أومأت بيج، وقالت: «نعم. نحن.. نحن فى عجلة من أمرنا، ولذلك كنت فقط سوف..»

أفسحت مديرة المنزل الطريق، وقالت: «ماذا أقول للسيد فولر إذا إتصل؟»

«اخبريه أن...» ترددت بيج، وأخيراً قالت: «فقط أخبريه أننى قد خرجت.» زمت نورا شفتيها، وقالت: «؟أفهم يا سيدتى.»

«لست أدرى متى أعود. ربما أتأخر.»

إستنشقت مديرة المنزل أنفاسها مرة أخرى، وقالت: «نعم، نعم. أرى ذلك.»

الفصل الحادى عشر

(الرجال كالأطفال يا محبوبتى)

تنهدت بيج بضجر وهى توقف محرك الجاجوار. كانت تتوقع أن تعود متأخرة، ولكن بدا ذلك شيئاً سخيفاً. لقد إنقضت ساعات منذ غادرت إلى المطار. إمتد عصر ذلك اليوم إلى ليل بارد بلا قمر، وهطل المطر مرة أخرى بعد ما كان قد توقف لفترة.

كانت الشوارع هادئة، وكان المنزل مظلماً. ظنت بيج أن نورا ربما قد نامت.. وأحست بوخزة من الندم. حتى مديرة المنزل، التى تتعامل دائما بكياسة لا ترقى مطلقاً إلى ود حقيقى، كانت ستصبح الليلة وصيفة تقوم بواجبات الضيافة.

دلفت إلى المنزل واسندت ظهرها إلى الباب المغلق. كان جانبى رأسها يخفقان بالألم. ربما صداع بسبب التوتر. لقد تراكم منذ غادرت المنزل مع والدها منذ ساعات. لقد تآمر كل شىء ضدها: كانت حركة المرور إلى مطار هيثرو رهيبة، ثم كانت هناك حادثة على الطريق السريع أدت إلى تحويل مسار المرور إلى طرق بديلة. وكانت لا تزال غير مستريحة للقيادة على

www.elromancia.com

ما ترى أنه الجانب الخطأ من الطريق. عندما وصلا المطار أخيراً، كانت طائرة والدها قد أقلعت.

قال: «لا داعى لإنتظارك يا بيج. سأكون على ما يرام»

أومأت وبدأت فى الانصراف، ثم تنهدت، وافتعلت إبتسامة قائلة: «لا عليك يا أبى، دعنا نأخذ بعض القهوة.»

تحول والدها من القهوة إلى البراندى بعد فترة. وقال: «أريد شيئاً يخفف عنى التوتر.» وكان هذا ما فعله البراندى تماماً. لقد طغى عليه الندم على الماضى بل كاد يبكى، وأخذ بلا توقف كيف أنه كان فقط يريد الأفضل لها دائماً، حتى قالت له بيج أخيراً أنه الرجل الذى يداوم على هذا القول، لابد قد فعل بعض الأشياء الغريبة والغير ممكن الصفح عنها. ومع ذلك، فعندما ما حان أخيراً موعد ركوب طائرته، ضمها إليه وأغرورقت عيناها.

وعدها قائلاً: «سأرد كل دولار. أبلغى زوجك ذلك عنى.»

تنهدت بيج وهى تفك أزرار معطفها. قبل أن تفعل ذلك، كان يجب أن تخبر كوين أنها ستأخذ كل هذه النقود. يا إلهى، إنها ترهب ذلك! لكنه سيفهم، لو أنه أنصت بقلبه، وكانت متأكدة أنه على إستعداد لذلك. عندما يعود للمنزل، سيضعا جانباً كل سوء الفهم الذى باعد بينهما. لقد جمعهما الحب، ولكن يمكن للصدق والثقة فقط أن يجعلا زواجهما حقيقياً.

بدا الدرج شاهقاً شديد الانحدار كأنه جرف صخرى. كان رأسها قد بدأ يدق بقوة. حسناً، هكذا فكرت وهى تصعد حثيثاً إلى الطابق العلوى، سوف يذهب ذلك ببعض الأسبرين ونوم ليلة هادئة. وستسرى عنها مكالمة تليفونية من كوين

بنفس الدرجة وأكثر. لن تخبره بزيارة والدها أثناء المكالمة ــ من الأفضل أن يتم ذلك وجهاً لوجه ــ ولكن سماع صوته سيجعلها تشعر بتحسن.

توقفت على منبسط الدرج. ربما قد اتصل وهى بالخارج. لا، كانت نورا ستترك لها رسالة على المائدة بالردهة، ولا شىء هناك. الوقت متأخر، ولكن ليس لدرجة تمنعه من الإتصال. ستأخذ حماماً وترتدى ثوب نومها وتتعلق بالرجاء.

كانت حجرة النوم مظلمة. كانت الستائر تحجب الليل الممطر. رأت أن ذلك من عمل نورا. وغاصت فى الفراش. يا إلهى. إنها منهكة القوى. لقد أهلكتها زيارة والدها. الآن، هناك مجموعة جديدة من المشاكل أضيفت إلى القديمة.

وضعت يدها على حلقها، تبحث كالعادة، عن التعزى بخاتم كوين.

الخاتم! أين هو؟ هبت بيج واقفة على قدميها، خفقت ضربات قلبها على نحو غريب بينما أخذت تتحسس بيديها فى إرتباك بحثاً عن الخاتم الياقوتى فى مكانه المعتاد بين نهديها.. ثم أغلقت عينيها والتقطت تنهيده ارتياح.

ماذا حدث لها؟ إن الخاتم على المنضدة المجاورة للفراش، حيث تركته بعد أن كُسّرت السلسلة عندما كانت هى وكوين..

ولكن لم يكن الخاتم هناك. المنضدة الأخرى إذن. لابد أنها نسيت.

ولكن لم يكن الخاتم موجوداً. لقد أضاعتها. إنها..

«كفى عن ذلك» همست بصوت عال: «خاتم الياقوت لا تستطيع السير. لابد أنه بمكان ما. إنه.. إنه»

غمر الضوء الحجرة. «كوين؟» حدقت بيج غير مصدقة. وكررت ضاحكة: «كوين، لقد أزهقت روحي فزعاً»

كان يستند إلى الحائط، ولا يزال مرتديا نفس الثياب التي كان يرتديها هذا الصباح. إرتسمت ابتسامة على شفتيه.

وقال: «مفاجأة يا محبوبتي. لقد عدت مبكراً»

أحست أن هناك شيئاً غريباً في عينيه. كان لونهما شاحباً ويكاد يكون معتماً.

«ألست سعيدة برؤيتي يا بيج؟»

أخطت خطوة تجاهه، وقالت: «بالطبع. فقط لقد فوجئت بعودتك بهذه السرعة. قلت أنك ستمكث أسبوعاً.»

«نعم»

«هل.... هل كل شيء على ما يرام؟ أنت تبدو غريباً.»

أومأ قائلاً: «كل شيء على ما يرام. لم لا يكون؟»

لم يكن كل شيء على ما يرام. هناك مسحة باطنة غامضة في صوته، تحذير أرسل قشعريرة خلالها. هل علم بأمر والدها والنقود؟ لا، بالطبع لا. إنه مجرد ضميرها الشاعر بالإثم يتلاعب بها.

ابتسمت قائلة: «كان ينبغي أن تتصل تليفونياً. كنت سأقابلك في المطار»

طافت بها نظرته، وقال: «كيف كنت ستستطيعين ذلك يا بيج؟ لقد كنت بالخارج طوال المساء»

احتبست أنفاسها «كيف...» وخفضت عينيها تنظر لنفسها، ولمعطف المطر الذي نسيت أن تخلعه، ثم عادت ببصرها إليه، وقال: «حسناً. لقد خرجت لبعض الوقت.»

ابتسم ببرود، وقال: هل ستخرجين مرة أخرى؟»

«أخرج...أوه، لا، لا، أنا فقط نسيت أن أخلع معطفي. أنا...»

«بالطبع، كنت ستخرجين مرة أخرى» وانفرجت شفتاه في ابتسامة ساخرة، وتابع: «بعد أن تجدي هذا.»

ونظرت إلى يده الممدودة. الخاتم الياقوتي، ينبض بالضوء، متألقاً في كفه.

قالت بارتياح: «خاتمي. الحمد لله. كنت أخشى..»

«كنت تخشين ضياعه. سيكون ذلك بمثابة الجحيم، أليس كذلك؟ وعلى أية حال، فهو قيم جداً»

إنه يذكرني بليلة لقائنا، بمدى تغير حياتي، بمدى حبي لك.

كان هذا ما وددت أن تقوله، ولكن أوقفتها النظرة المرتسمة على وجهه. هناك شيء خطأ. تستطيع أن ترى ذلك في عينيه. كانت باردتين كما لم ترهما من قبل.

هل علم بزيارة والدها؟ لا، لا يمكنه ذلك. إنه... نورا! لقد أخبرته نورا. لم تعرفها بيج بوالدها، ولكن كل ما على مديرة المنزل أن تصف الرجل الذي رأته ــ طويل، أشقر، كبير السن ــ وسيعرفه كوين. تسارعت أنفاسها. هل أغلقت الدرج السري في المنضدة لعصر نابليون؟ ربما وجدته نورا مفتوحاً. ربما قد عرفت كوين كل شيء بالفعل..

«كوين؟» بدا صوتها لاهثاً وذو نغمة عالية وتابعت: «منذ.. منذ متى عدت؟»

ابتسم مرة أخرى، وأدركت أنها ستظل ابتسامته الشبيهة بابتسامة أسماك القرش لما بقي من حياتها.

مد يده مرة أخرى، وقال: «ظننت أنك تريدين خاتمك يا بيج.. ها هو، خذيه»

ترددت. ثم أغلقت أصابعها على الخاتم الياقوتي. للمرة الأولى، أحست بأنه بارد، كأن بريقه-الملتهب قد إنطفأ.

قالت: «شكراً لك» أحست في فمها بطعم رماد متخلف عن النيران، وابتلعت ريقها بصعوبة.

تركزت عيناه على عينيها، وقال: «أنت تريدين إصلاح هذه السلسلة. الجحيم، لا يمكنك معرفة ما ستفقدينه في المرة القادمة.»

ارتفع رأسها بحدة. كان يبتسم، كأنما قصد بما قاله الدعابة، ولكن كل غرائزها كانت تخبرها بشيء آخر. هناك شيء مروع يحدث. شيء مجهول.

تقدمت منه خطوة، وقالت: «كوين. ماذا حدث؟ لماذا عدت مبكراً هكذا؟»

لوى فمه قائلاً: «ليس مبكراً بما يكفي يا بيج»

بدأت خفقاتها تتسارع، وسألته: «ماذا... ماذا تقصد؟»

«لا عليك يا محبوبتي. لا تتصنعي الغباء. لديك الكثير من الصفات يا طفلتي، ولكن ليس من بينها الغباء. ربما لسوء الحظ.»

إضطرب قلبها. وببطء رفعت عيناها إلى عينيه ونظرت في أعماقها الخضراء الزرقاوية.

«لقد عرفت، أليس كذلك؟»

كان وجهه متجهماً، وقال: «نعم، عرفت. عرفت كل شيء»

«كيف... كيف عرفت؟»

«إن نورا تعمل معي منذ أعوام يا بيج. هل ظننت أنها لن تخبرني؟» وقبض على كتفيها بيديه. وتابع: «لقد إتصلت تليفونياً عصر اليوم، عندما أدركت أنني.. عندما أدركت أنني لم أترك رقماً حيث يمكن الإتصال بي لأي طارىء» التوى صوته وخالطه الغموض. واستطرد: «لقد أخبرتني عن.. عن ضيفك. وعدت للمنزل بمجرد أن وضعت سماعة التليفون.»

«والنقود؟ هل تركت الدرج مفتوحاً»

ساد صمت عميق، وقال كوين: «لا» وضحك بسخرية قاسية، وتابع: «لا، كان العثور على الدرج خاوياً ظناً في محله تماماً.»

أومأت بيج بضجر، وقالت: «أنا أفهم»

زفر نفساً كالفحيح من بين أسنانه، وقال: «أنت تفهمين؟» وقبضت يداه على طيات صدر معطفها، وكاد يقتلع قدميها من على الأرض، وقال: «أنت تفهمين؟ هل هذا كل ما ستقولينه؟»

هزت رأسها، وقالت: «لا. أنا.. أنا..»

من أين تبدأ؟ كان كوين أبيض الشفتين من الغضب، وكانت تعرف أنها مذنبة. لم يكن الوقت مناسباً لأن تخبره بأي شيء، فضلاً عن محاولة إفهامه لماذا أخذت نقوده وأعطتها لوالدها، ولكن صار الوقت ترفاً لم يعد بملكها.

«خيراً؟» كان صوته بارداً، وتابع: «لا تخبريني أن معين تفسيراتك قد نضب يا بيج لم يحدث لك ذلك من قبل البتة.»

«كوين، أرجوك. لم أود أن تعرف الأمر على هذا النحو. أنا... أنا أعرف أنك غاضب..»

ضحك قائلاً: «غاضب؟ هل هذا ظنك بي؟»

«لنقل تتميز غيظاً. ولكن.. ولكنك لا تعرف القصة الكاملة.»

إشتدت قبضته عليها، وقال: «لا تبددى جهدك. لقد تعبت من أكاذيبك.»

قالت بسرعة: «أنا لم أكذب عليك مطلقاً أنا...»

«أنت لم تفعلى أى شىء آخر على الإطلاق.»

«هذا غير حقيقى. فقط لو تنصت...»

«ما فائدة الإنصات؟ لن أصدقك حتى لو قلت لى أن الماء شىء رطب»

«كنت يائسة. ولهذا أخذت النقود. أنا..»

«نعم، أراهن أنك كنت كذلك» وتزايد مرارة صوته الساخر، وتابع: «لقد عرفت أنك لن تحصلى على سنت واحد منى.»

هزت بيج رأسها، وقالت: «لا. لقد كنت متأكدة أننى لو شرحت الأمور، فستعطينى النقود. ولكن...»

«دعك من هذا يا بيج. أنا لم أولد بالأمس.» إكفهر صوته عندما إنحنى تجاهها، وتابع: «ولماذا لا استمع لك وأنت تؤلفين قصصاً جميلة عن زائرك؟ ألا تجدين طريقة لإدعاء أن زائرك النبيل الأشقر الشعر كان القديس نيقولا، جاء فى زيارة مبكرة؟»

إرتفعت ذقنها، وقالت: «أنا لا أزمع الكذب يا كوين. أنت تعرف أنه كان هنا. ولكن فاجئنى. لم يكن لدى أية فكرة...»

«لم يكن لديك أية فكرة» كان صوته ساخراً بقسوة بينما جذبها تجاهه، وقال: «كم مكث فى منزلى؟»

«لم يمكث وقتاً طويلاً. أنا..»

«كم مكث» سأل بلهجة آمرة.

«أنا.. أنا لست متأكدة. عشرون دقيقة. نصف ساعة..» لمعت الدموع فى جانبى عينيها وقالت: «لم أستطع تمالك نفسى يا كوين. أنا..»

«يا إلهى، أى إمرأة أنت.» زأر وهو يدفعها بعيداً عنه، وتابع: «هل هذا هو العذر الوحيد الذى تقدمينه؟ لم تستطيعى! منع نفسك من.. من خداعى فى منزلى؟»

همست: «أعرف ما يمكن أن يوصف به ما فعلت. ولكنه توسل لى. أنا..»

إنكمشت وتراجعت إلى الحائط عندما إندفع تجاهها، كانت يده مرفوعة ترتجف بغضب محكوم بالكاد. وقف متواجهين لفترة بدت كأنها الدهر، حتى أنزل كوين يده أخيراً واستدار بعيداً عنها.

«أخرجى»

لا، لا.. هكذا حادثت نفسها، وهمست: «كوين.. أرجوك أنصت لى»

إستدار إليها مرة أخرى وأمسك بمعصمها. وقال من بين أسنانه: «لا تثيرينى. لقد فكرت أثناء جلوسى فى الظلام على مدى الساعات القلائل الماضية فى عشرات الطرق للإنتقام. أنصتى لى يا بيج. إنصرفى قبل أن تفقدى القدرة على ذلك.»

بدأت الدموع تجرى على وجنتيها، وقالت: «أتوسل إليك، فقط أعطنى فرصة للتوضيح»

أجفلت تحت ضغط أصابعه المتزايد، وقال: «لقد كدت تفلتين بفعلتك. عشرة آلاف دولار، الجاجوار... لولا أنك كنت

طماعة قليلاً..»

«عن أى شىء تتحدث؟ أنا....»

«إلى أى مدى ذهبت قبل أن تدركى أنك نسيت الخاتم الياقوتى؟ الجحيم، عندما رأيته على المنضدة عرفت أنك ستعودين.» غاصت أصابعه فى الجلد الرقيق بباطن معصمها، وتابع: «على أية حال، لم يكن هناك خطر. فمن المفترض أننى كنت خارج المدينة.»

«كوين، بحق السماء... لقد عدت لأننى أعيش هنا. هذا بيتى.»

«كانت غلطتى الحقيرة. لقد نفضت يدى هذا الصباح؟ أنا لم أقل (طلاق) مطلقاً، ولكنك تعرفين ما قصدته.» تحول صوته إلى دمدمة، وتابع: «وبتطبيق عقد زواجنا على ذلك، فقد أصابك الذعر. لا مال. لا بيت. لا سيارة. لا شىء.»

«لا. لا..»

إتقدت عيناه بنيران قاتمة وهو يجذبها إليه، وقال: «ولذلك قررت أن تأخذى أقصى ما يمكنك. أظن أنها وراثة فى العائلة.»

هزت بيج رأسها بقوة من جانب لآخر، وقالت: «عن أى شىء تتحدث؟ لم أكن مثل ذلك. أنا...»

«ولكن، لا بأس. إنه فقط سيزيد من قائمة الأشياء الرائعة التى سأحكيها لآلان إذا حاولت الأقتراب منه مرة أخرى.» أضاءت وجهه ابتسامة فى برودة الليل، وأضاف: «بدءا بوصف تصويرى لما فعلناه بالفراش ليلة أمس.»

كانت كلماته كسكين غاصت فى أعماق قلبها، وهمست: «أنت تكذب. إن ليلة أمس تعنى شيئاً ما.»

«بالتأكيد يا جميلتى جولييت. هل تذكرى عندما قلت أننى لم أكن أدع آلان مطلقاً يلهو بلعبة خطرة عندما كان صغيراً؟» وزم شفتيه، وتابع: «حسناً، إذا أردت التأكد أنه لن يلتقط اللعبة مرة أخرى.. إذا أردت التأكد أنها لن تستطيع أنه تؤذيه بعد ذلك..»

انهمرت الدموع من عينيها، وقالت فى توسل: لا، أرجوك...»

«الرجال كالأطفال يا محبوبتى. اللعبة التى إستخدمها غيرهم تكون ذات قيمة رخيصة بالنسبة لهم.»

غاص قلبها، واضطرب صوتها قائلاً: «لماذا... لماذا إنتظرت كل هذه المدة لكى.. لكى..»

وصل ضغط يده إلى حد لا يكاد يحتمل، وقال: «إن لك ذاكرة ضعيفة يا بيج. لقد قلت أنى سأجعلك تتوسلين لى أن آخذك. جذبها إليه، والتهبت عيناه وهى تنظر فى عينيها، وقال: «ولقد فعلت»

«لا» ولكن حتى وهى تهمس بالكلمة كانت تعرف أنه يقول الحقيقة. غير أن حق قلبها اليائس أعماها عنها. كان هذا حقيقياً ليس فقط فى الليلة التى قضتها بين ذراعيه. هذا ما قادها إليه إفتتانها به.

إحتبس غيبها فى حلقها، وقالت: «أنا على إستعداد لدفع حياتى ثمناً لعودتنا كما كنا ليلة أمس»

أظلمت عيناه، وهمس: «نعم. أراهن أنك كذلك.»

جذبها إليه قبل أن تستطع إيقافه، وأنقض فمه على فمها فى قبله قاسية تحاكى ما فعلاه ليلة أمس. صرخت بيج، وتلوت فى أحضانه الخشنة، ولكن بلا جدوى. عندما أنهى ما يريد، دفعها

عنه. حدقا فى بعضهما، ثم مسحت شفتيها بيدها.

وقالت فى همسة مهتزة: «أنت تثير اشمئزازى».

توترت عضلة فى فكة بينما أشاح بوجهه عنها.

«أخرجى من بيتى»

إرتجف يداها وهى تلملم أطراف معطفها معاً، وقالت: «سوف تسترد نقودك يا كوين. كل سنت تافه، حتى لو استغرق ذلك حياتى.»

ضحك قائلاً: «إنسى ذلك. الجحيم، ليس كل رجل يدفع عشرة آلاف دولار فى سبيل فترة قصيرة من...»

هرولت من الحجرة قبل أن يستطع إكمال جملته.. قعقع كعبى حذائها المرتفعين عبر الدرج ثم الصالة. القت نظرة خاطفة مفاجئة على وجه نورا، كانت متجمدة فى سخط محق، ثم صفق الباب خلفها بقوة.

كانت شوارع لندن باردة ومظلمة، كان الضباب كثيفاً كما لم تره من قبل. حث الغضب خطاها على الرصيف، وقصدت إلى الأضواء الشاحبة التى تلوح فى نهاية الشارع. حدد الغضب غايتها.. الفندق الوحيد الذى تعرفه، فندق كلاريدجز، لم يكن بعيداً عن بيت كوين فى ضاحية ماى فير. إهتزت خطواتها قليلاً عندما دلفت إلى الردهة الأنيقة، بدت متسخة الملابس بمعطفها المبلل، وشعرها الملتصق برأسها. لم يكن معها أى أمتعة، وبدا شك عميق فى عينى موظفة الاستقبال.

«هل لديك حجز يا سيدتى؟».

ابتلعت بيج ريقها، وقالت: «لا»

ابتسمت الموظفة بكياسة، وقالت: «فى هذه الحالة، أخشى أن...»

وبدون تفكير رفعت بيج ذقنها، وقالت: «أنا زوجة كوين فولر.» وبدت الكلمات كأنها تعويذه سحرية.

ثم إرشادها إلى جناح مميز وظهرت سلة مليئة بالفواكه وأبريق شاى، وأختفى معطفها وحذاءها المبللين، على أن يعودا جافين ونظيفين فى الصباح التالى.

صحب المدير ذاته خادمة الغرفة التى أحضرت لها ملابسها.

«لقد عثر على هذا فى جيب معطفك يا سيدة فولر» كان صوته مغلفاً باللوم.

عرفت بيج ما يتحدث عنه قبل أن يمد يده إليها بالخاتم الياقوتى. أحدثت رؤيتها له الشرخ الأول فى جدار الغضب الذى أحاط بها. أصدر قلبها خفقة مرتجفة، واستلزم الأمر منها جهداً لكى لا تمد يدها لتناول الخاتم.

قالت: «شكراً لك. ليتك تضعه على هذه المنضدة.. وأرجو إحضار فاتورة الحساب من فضلك سأنصرف هذا الصباح.»

كتبت شيكاً بمبلغ جعل لونها يشحب. ولكن كان بحسابها ما يكفى- بالكاد لإيجار الليلة وأيضاً ثمن تذكرتها من هيثرو إلى نيويورك. ولكن عندما وقفت فى الطابور إلى مكتب تذاكر الخطوط الجوية البريطانية، وجدت نفسها تتراجع فى إرتباك. وقبل أن تدرك ما تفعله، كانت تتبع الإرشادات متجهة إلى مترو الانفاق الذى سيعود بها إلى لندن.

لم يكن هناك معنى للبقاء فى انجلترا. وأيضاً لم يكن هناك معنى للعودة إلى كلاريدجز، ذاك المكان الذى تستطيع بالكاد تحمل تكاليفه فى ظروفها هذه. على الأقل.. كان هذا ما دار بخاطرها.. حتى وقفت مرة أخرى فى الردهة الأنيقة للفندق

المهيب. وعندئذ، وفى إندفاع مروع، أتتها الحقيقة.

إنها لم تأت إلى كلاريدجز ليلة أمس لقربه من المنزل، لقد جاءت بسبب ما يثيره ذلك من الذكريات. لقد جاء بها كوين إلى هذا المكان منذ أيام. كان غامضاً، قليل الكلام، وابتسم فى سرور عندما صاحت فرحة بسبب زيارتها.

قال وهو يرقب وجهها: «شىء رائع. من الصعب محاكاة طريقة إعداده.»

بعد أن أحضر لها نادل يرتدى ثياباً مميزة بعض الحلوى والساندويتشات اللذيذة، إرتسمت على وجه بيج ابتسامة عريضة وهمست: «أشعر كأنى أحد أفراد العائلة المالكة.»

قال كوين وقد تركزت عيناه الملتهبتان على عينيها: «أنت فعلاً تبدين هكذا. أميره فائقة الرقة والجمال»

كم كانت لحظة رائعة.. ولقد أمنت بها، وأمنت بما رأته فى وجهه وهو ينظر لها، وبما سمعته فى صوته. وكانت هناك لحظات أخرى، وأيام أخرى، شكلت ذكريات رفض قلبها أن يهجرها. لم تستطع أن تدفع نفسها للرحيل عنها.

ولهذا لم تستطع أن تغادر لندن.

أرسلت ببرقية لوالديها، مخافة أن تتصل بها والدتها فى المنزل فى ماى فير، وأيضاً خوفاً مما قد يبوح به صوتها إذا تحدثت تليفونياً إلى أمريكا. لم تكن بعد مستعدة للحديث بشأن ما حدث. بل وكانت أقل استعداداً لأن تحاول وتفسر لماذا لم تسافر لوطنها. كانت البرقية تزخر بالحماسة.

«خرجت فى رحلة إلى أدغال افريقيا لعدة أسابيع. سأتصل عندما يمكننى. كل حبى...»

فى نهاية اليوم، كان لديها سقفاً تحتمى به. لم يكن كبيراً،

مجرد حجرة علوية ضئيلة تسع سريراً فى شارع وضيع خلف قصر إيرل.

«يوجد موقد ذو شعلة واحدة، ومرحاض، وستضطرين فقط لتقاسم الحمام مع النزلاء فى الدور الأرضى.»

أخذتها بيج بدون تردد. كانت الحجرة مظلمة تفوح منها رائحة الرطوبة، ولكنها كانت رخيصة ونظيفة. نظرت لها صاحبة المنزل بشك عندما قالت أنها لا تملك أمتعة، ولكن عندئذ طافت نظرتها العدائية بزيلتها الجديدة، وتريثت نظرتها على الظلال الداكنة تحت عينى بيج وعلى الرجفة فى شفتيها، ثم طرقعت بلسانها.

«سأحضر لك كوباً منعشاً من الشاى. يبدو أنك بحاجة له»

إتصلت الأيام أسابيعاً. إقتربت الأعياد، وكان الجميع يتحدثون دائماً عن الجمال العتيق لأعياد الكريسماس الديكنزيه. وحتى فى غمرة يأسها، القت بيج نظرات خاطفة على مظاهر الفرح والإثارة التى إجتاحت لندن. كانت هذه هى أسوأ اللحظات، فقد بدا أنها تعطى تأكيداً رهيباً ومميزاً للألم الذى يغمرها. أحست بإمتنان عندما إنتهى موسم الأعياد أخيراً، ولكن تلاشى الفرح والإثارة التى إجتاحت لندن. كانت هذه هى أسوأ اللحظات، فقد بدا أنها تعطى تأكيداً رهيباً ومميزاً للألم الذى يغمرها. أحست بإمتنان عندما إنتهى موسم الأعياد أخيراً، ولكن تلاشى إمتنانها تحت وطأة الهجوم المفاجىء لصقيع يناير. وفى ليلة قاسية، ظهرت صاحبة النزل لدى الباب.

«أظن أنك قد تحتاجين بعضاً من البطاطين الإضافية. وهذا

إبريق كهربى قديم، إذا أمكنك إستخدامه».

كان الأخير مجرد هراء مهذباً، وكلتا المرأتان تعرف ذلك. كانت تستخدم كل شيء تقريباً. تجده فى طريقها. كانت أجرة إقامتها رخيصة، ولكن هناك تكاليف أخرى. الطعام. الملبس. ورغم أنها كانت تشترى أبسطها وأرخصها، إلا أن ذخيرتها المالية الهزيلة كانت سريعة التضاؤل. كانت قد سحبت كل نقودها من حساب البنك يوم أن إستأجرت الغرفة العلوية، وكأنها بإبقائها أموالها فى يدها ستتمكن بطريقة ما من زيادتها. ولكن، بالطبع، لم تستطع.

كانت قلقة. إنها بحاجة لوظيفة.. وهذا واضح. ولكن لم تكن هناك أى وظيفة.. على الأقل، لاتوجد وظيفة تناسب تأهيلها. كان وضعها يزداد تجهما مثل الطقس، وازداد عمق بأسها. وطوال الوقت، كان هناك صوت ضئيل يهمس فى أعماقها.

«ماذا تفعلين هنا؟» كان هذا السؤال يلح عليها.

فى البداية لم يكن لديها إجابة. لقد أبقتها الذكريات هنا، ولكن بعد فترة بدأت الذكريات تغيم وتشحب، كأنها صور فوتوغرافية حُفظت طويلاً فى صندوق مغلق.

لماذا لاتعودين للوطن؟ همس لها الصوت ذات ليلة أثناء نومها. فتحت بيج عينيها ونهضت من رقدتها، وجلست ترتجف من البرد فى الحجرة المظلمة.

جاءت الإجابة بسرعة، محمولة على عويل الرياح ولسعات المطر.

إنها لن تستطع مغادرة لندن. كوين هنا.. وهذا يعنى أنها أيضاً يجب أن تبقى هنا. إنها لاتزال تحبه، رغم مافعله بها،

وستبقى دائماً تحبه. لقد قسى عليها، وحط من قدرها، وأذاها بدرجة لم تحلم بها، ولكن لايمكن لشيء أن يغير مما تكن له.

طوحت بالبطاطين، وأجتازت الحجرة بخطوات مضطربة، غير عابئة بالبرد القارس. إلتقطت حقيبة يدها من على المنضدة الخشبية البالية بالقرب من الباب. وقلبت محتوياتها، باحثة بين المناديل الورقية وقطع العملة والأوراق النقدية المجمدة حتى عثرت يدها على خاتمها الياقوتى. أغلقت عينيها عندما تذكرت الليلة المروعة فى منزل كوين التى بدا فيها الخاتم بارداً وكأن بريقه قد خبا. وانهمرت على وجنتيها تلك الدموع التى حبستها طويلاً. عندما نامت أخيراً، كانت يدها تقبض بقوة على الخاتم، وكأنما أصابعها المرتجفة ستجد الدفء فى بريقه الملتهب الذى إتقد بينها ذات مرة.

فى الصباح، وقفت بيج فى أحد أقسام المجوهرات بمحلات هارودز، شاحبة الوجه، غير عابئة بالنظرات التى تحدق فيها ولاتستطيع المواءمة بين تلك المرأة الشابه بمعطفها الرخيص وحذاء الفينيل وبين تلك الزبونه التى تصر فى كياسة على أنها تريد فعلاً شراء تلك السلسلة الذهبية الغالية قلصت عملية الشراء ذخيرتها المالية المستبقية بدرجة كبيرة. ولكن ثقل السلسلة ومتانة المشبك بينما يتدلى الخاتم الياقوتى حول عنقها.. كل ذلك رسم ابتسامة على شفتيها.

حادثت نفسها بأن السلسلة لن تنكسر ولمست يدها الخاتم وهو يتدلى على صدرها. وأقسمت أنها لن تنزعه مرة أخرى.

عادت الى النُزل الذى تقيم به، وطرقت باب صاحبته. كان وقت دفع الإيجار. تطوحت السلسلة الذهبية أمامها، واستقطب الخاتم الياقوتى الضوء بينما تنقب فى كيس نقودها.

قالت صاحبة النزل: «كم هي جميلة تلك الحلية المقلدة.. أستطيع أن أدفع لك مبلغاً طيباً ثمناً لهذه يا عزيزتي.»

كانت إجابة بيج سريعة وملتهبة، قالت: «مستحيل» ومست يدها الحجر الكريم، وأضافت: «لن أفترق عن هذا مطلقاً.»

هل كان خيالها، أم أن الياقوت بدا فجأة نابضاً بالحرارة مرة أخرى؟

عندما إنقضى يناير وتبعه فبراير وبدأ مارس، أضيف لليأس شيئاً جديداً، الكسل الذى بدا أنه يتزايد مع كل يوم يمر، حتى أصبح أخيراً قوياً لدرجة أن صارت تجد صعوبة فى الخروج من الفراش فى الصباح. رأت أن الوقت قد حان لتوقف نفسها عن التصرف بهذه الحماقة. على أية حال، لم يمت الناس بسبب إنكسار قلوبهم لم تتوقف الحياة لفقدان الحب.

ولكن لم تجد كل محادثاتها الصامتة فى منتصف الليالى مع نفسها. تزايد إحساسها بالإنهاك مثلي تزايد إحساسها بالكآبة. وكانت هناك أمور أخرى: كان منظر الطعام يصيبها بالغثيان، ولم يكن فى ذلك بأس حقيقى، عندما رأت مدى حاجتها لتوفير ذخيرتها المالية المتناقصة بإستمرار. ولكنها أبدت إهتماماً مفاجئاً عندما لاحظت إرتعاشاً ضئيلاً فى يديها. أى صاحب عمل سيوظف كاتبه على الآلة الكاتبة ترتعش يداها؟ بدأ قدماها يتورمان، خاصة بعد ما قضت ساعات تجوب شوارع لندن بحثاً عن عمل. ولكن، كان على بيج أن تتجاهل كل ذلك.. إلى أن كان عصر أحد الأيام وهى فى وكالة للتوظيف المؤقت.

ابتسمت لها الفتاة الأنيقة فى المكتب الأمامى عندما دلفت من الباب.

قالت: «مرحباً.. أنا سعيدة برؤيتك يا آنسة جارونر.»

نظرت لها بيج فى دهشة، وقالت: «هل تذكرينني؟»

أومأت الفتاة، وقالت: «لقد فكرت فيك هذا الصباح. لدى عملية جديدة.. سيدة أمريكية. ستمكث هنا شهراً أو نحو ذلك، وتريد سكرتيرة. قالت أنها تفضل فتاة سافرت إلى أمريكا، ولقد فكرت فيك» وضاقت عينا الموظفة، وقالت: «ما هذا؟ هل أنت مريضة يا آنسة جاردنر؟»

هزت بيج رأسها، رغم أن الحركة أرسلت خلالها موجة من الغثيان، وقالت: «لا، لا، أنا بخير. فعلاً أنا...»

قالت الموظفة بلهجة رشيقة: «حسناً، أنت لا تبدين كذلك.. هل أنت متأكدة أنها ليست الانفلونزا؟ فالجميع يعانون منها.»

تمكنت بيج من الابتسام، وقالت: «أفضل ألا أكون مريضة. لا يمكننى تحمل ذلك»

نظرت لها الموظفة، وقالت: «إذا كنت مريضة، فستضيع الوظيفة يا آنسة جارونر. أظن أن الأفضل أن تذهبى لمستوصف ليلقى الأطباء نظرة عليك.»

«أؤكد لك أنه غير ضرورى»

«لا يمكننى أن أرسلك لإجراء مقابلة وأنت مصابة بالانفلونزا.»

كان صوت الموظفة حازماً. حدقت بيج فيها ثم تنهدت. عندما توازن بين وظيفة وبين تحمل نصف ساعة من الفحص الطبى، تكون الوظيفة هى الفائز الواضح.

قالت: «حسناً. سأحضر شهادة صحية وأعود لك.»

ما العمل إذا كان الانفلونزا؟ هكذا فكرت وهى تخطو إلى

الشارع. سيصف الطبيب الأسبرين والسوائل والراحة فى الفراش. وفكرت بسخرية.. إنها راحة الفراش التى لا تستطيع تحملها. لن تنتظر الوظيفة كل ذلك.

ولكن الانفلونزا تأخذ أسبوع واحد فقط. وبنهايته ستستعيد صحتها. وها هو الربيع على وشك القدوم، وبالتأكيد ستكون هناك وظائف أخرى. أسرعت خطواتها. سيكون من المريح أن تجد أن ما بها مجرد شىء بسيط يمكن علاجه وشفاءه. ستكون الانفلونزا شيئاً هيناً بالمقارنة بالقلب المكسور.

فيما بعد، تعجبت بيج من غبائها الذى لا يُصدق.

الفصـــل الثانى عشر

(لم استطع أن أضع المحيط بيننا)

بدت ساحة القديس جيمس مهجورة تقريباً وقد شملها البرد قرب إنتهاء ذلك اليوم. كان هناك أحد المارة العارضين يحث خطاه وقد دفع كتفيه للأمام ضد الريح الباردة، وسمعت بيج نباحاً بعيداً لأحد الكلاب. وفيما عدا ذلك كانت وحدها.

كم مضى عليها من الوقت وهى تقف على الجسر الصغير فوق مياه البحيرة الداكنة؟ ساعة، ساعتان.. ربما دهراً. بل إنها لم تذكر مجيئها إلى هنا، ولكنها دون وعى، وجدت نفسها تتعقب جزءاً من الطريق الذى سارت فيه مع كوين فى أول أيامها فى لندن، يومها مرا بمبانى البرلمان، والفرسان ثم إلى هذه الساحة. ولكنها لم تر فى طريقها أياً مما كان قد مرا به. كان عقلها معذباً، يطرح أسئلة ليس لها إجابات ويقدم إجابات بلا معنى.

إجتاحت البحيرة عاصفة ريح، وارتجفت بيج عندما شملتها برودتها. الجو هنا بارد ورطب. ولكن لا يوجد مكان آخر تذهب إليه. لا يمكنها تحمل حجرتها العلوية جوء الفقر البائس

www.elromancia.com

بها. ولا معنى للعودة إلى مكتب التوظيف. ماذا يمكنها أن تقول للموظفة المتعاطفة التى عثرت لها على وظيفة؟

«لقد ذهبت لزيارة الطبيب ويمكنك أن تطمئنى أنا لست مصابة بالانفلونزا.»

يمكنها أن تصنع نكتة من ذلك. يمكنها أن تقول: «أنا لست مصابة بأى شىء على الاطلاق. فقط لدى حمل صغير.»

حمل صغير. كأن الفصل الأخير من دعابة هزلية مزعجة، إلا أن ليس بها أى شىء مضحك. لقد فحصها الطبيب من رأسها إلى أخمص قدميها، ثم استدعاها إلى مكتبه.

وقال دون مقدمات: «لقد مضت عليك ثلاثة شهور تقريباً»

حدقت فيه بيج غير مصدقة، وقالت: «ماذا؟»

«أنت حامل. وإنه لشىء طيب أن جئت لزيارتنا. بدون الرعاية الملائمة، يمكن أن تفقدى جنينك»

واستطرد يخبرها بما يجب أن تفعله، وأنصتت، رغم أن خاطراً عنيداً ظل يلح بأن كل هذا بالتأكيد ليس له علاقة بها. كيف يمكن أن تكون حامل؟ لقد قضت ليلة واحدة مع كوين...

«... تلك الليلة الطويلة حيث استغل ضدها ما تشعر به تجاهه.»

لا يمكن أن تحتفظ بهذا الجنين. سيظل للأبد يذكرها بما فعله كوين بها.

تلك الليلة التى إمتلات فيها السماء بالورود والخيوط الذهبية. ليلة لن تنساها. لقد أخذها كوين إلى فراشه غاضباً، ولكن عندئذ عاد السحر الذى كان قد جمع بينهما على شاطىء

كوبكت كت. وتلاشى مع ضوء النهار، ولكن هكذا يكون السحر. يمكن فقط أن يحيا فى الأمال الليلية والاحلام التى ينيرها ضوء القمر.

ولكن ستكون ثمرة هذه الليلة حقيقة. سيظل طفلها ذكرى للسحر الذى كان.

أحست بيج أن قلبها يمتلىء بزهو قوى، وسمعت نفسها تؤكد للطبيب أنها ستفعل كل ما يجب عليها أن تفعله لحماية الطفل الذى ينمو فى رحمها.

قال أنها تحتاج لطعام مغذ. بل للكثير منه فهى تبدو نحيفة جداً. وهل هى تسرف فى أكل المواد النشوية ولا تأكل ما يكفى من البروتينات؟ وأنها لا يجب أن تجهد نفسها. وحالياً قد يكون من الأفضل أن تستريح يومين فى الفراش. ويجب أن تحظى بقيلولة طويلة كل يوم.

وامتدت القائمة، وظلت بيج تومىء موافقة. لم يصدمها الواقع إلا بعد أن خرجت من العيادة. وقفت على الرصيف ترتجف فى معطفها الرقيق، وتساءلت متعجبة.. أى شىء على الأرض يمكنها أن تفعله؟ وبدأت تسير، ببطء، وبحذر، واعية للحياة التى دبت بداخلها، حتى وجدت نفسها فى الساحة، تحدق فى المياه الداكنة، وقد أخذ شعورها بالنشاط والخفة يخبو سريعاً.

ارتجفت مرة أخرى ورفعت بصرها. سمعت صوت غريب لأقدام تقترب. كان أحد رجال الشرطة، حتى قبل أن يدنو منها، رأت أنه كان يراقبها. تنهدت بيج ورفعت مرفقيها من على حاجز الجسر. على أية حال فقد حان الوقت كى تنصرف. لا فائدة من الوقوف هنا.

رأت أن ما تحتاجه هو النقود. الفاكهة، الخضروات، واللبن، السمك، البيض.. كلها كانت أغلى كثيراً من مكرونة الباست التى تعيش عليها. وهى بحاجة لمعطف آخر، كانت قد إشترت معطفاً رخيصاً من أحد الباعة فى سوق مكشوف فى بداية الشتاء، ولكن لم يكن ثقيلاً بدرجة تحفظها دافئة.

قال الطبيب لا إجهاد. هل يعد صعودها الأربع مجموعات من الدرج إلى حجرتها العلوية إجهاداً؟ لم تفكر فى أن تسأله، ولكن بدا منطقياً أنه يعد إجهاداً.

غام الشارع فجأة، والتجأت بيج إلى عمود إنارة قريب وقبضت عليها لعله يسندها. كانت تعرف كم بقى من النقود فى حقيبتها. إن مامعها يكفى بالكاد لدفع إيجار أسبوعين آخرين وشراء بعض أصناف البقالة الملائمة. لم يكن من سبيل لتحمل الأشياء التى تلزمها إذا أرادت الاحتفاظ بجنينها.

«ابن كوين»

بالطبع كانت العودة إليه خارج نطاق المناقشة. إنها لا تعرف غيره فى لندن. وفى الحقيقة لم يكن أمامها خيار. يجب أن تعود لوطنها. ستكون هناك أسئلة، ولكن بيج تعرف قلب أمها جيداً. ستُقبلها جانيت جارونر وترحب بها، وستقيم فى كنفها الشهور التالية.

«آل فولر.» كيف نسيتهم؟ ماذا سيحدث عندما يعلمون بحملها؟ سيخبرون كوين، وعندئذ ستتفشى القصة البغيضة بأكملها. سيقول لهم أنه قد طردها وسيخبرهم بسرقتها وسرقة والدها. ربما يرفض الإعتراف بشرعية الطفل الذى تحمله ستكون الفضيحة لا تحتمل فى مدينة مثل جرنيتش.

إمتدت يدها إلى صدرها وتحسست الخاتم.

«يمكنك أن تبيعى هذا مقابل مبلغ وافر من النقود ياعزيزتى.»

التقطت نفساً عميقاً وحثت الخطى متجهة إلى مترو الإنفاق.

إختارت شارع بوند لإسمه وسمعته. هل توجد فعلاً محلات تبيع وتشترى المجوهرات الراقية؟. تجنبت المتاجر الأولى، وقد تهيبت أناقتها البالغة. ولكن أخيراً، فى شارع جانبى ضيق، نصبت بيج قامتها ودفعت باب المتجر الصغير. وقفت ساكنة، تستمتع بأدفء إستقبال شهدته.

«نعم سيدتى؟ هل يمكننى مساعدتك؟»

كان صاحب المحل رجلاً متقدماً فى السن. أقبل من الحجرة الخلفية يجر قدميه، واستقبلها بإبتسامة مهذبة، حتى بعد أن إقترب لدرجة تمكنه من رؤية أن ملابسها تقترب بالكاد مما ترتديه معظم زبائنه بالتأكيد.

أومأت بيج، وقال بعصبية: «أتمنى ذلك» إرتجفت يدها وهى تفك أزرار معطفها وسترتها الثقيلة تحته. ثم مدت يدها إلى باطن عنقها، وقالت: «أنا... أنا أريد أن أبيع شيئاً...»

ابتسم الرجل بكياسة، وقال: «أخشى أننا لا نشترى مجوهرات ياعزيزتى.»

ارتفعت رأس بيج، وقالت: «ولكن لافتتك تقول...»

أومأ قائلاً: «نحن نشترى القطع المتوارثة. القطع الفنية، والتحف، وكل ماله قيمة خاصة..»

سمعت شهقة أنفاسة عندما فكت مشبك السلسلة وسحبت

الخاتم الياقوتى من تحت صديرية ثديها .

قال بتؤدة : « هذا له قيمة خاصة »

ارتفع حاجب الرجل الكثفين ذوى اللون الأبيض ، وسأل : « قطعة متوارثة ؟ »

ابتلعت بيج ريقها ، وقالت : « ليس .. ليس بالضبط .. إن .. »

إقتلع صاحب المحل الخاتم من يدها ، وقال : « جميل جداً » ولكن كانت عيناه على وجهها وليس على الخاتم الياقوتى ، وأضاف : « وثمين جداً »

أومأت قائلة : « نعم ، أنا ... ربما كان كذلك . أنا .. »

وخفتت كلماتها . رقد الخاتم الياقوتى فى يد الرجل العجوز ، إلتهبت النيران الداكنة فى قلبه بوحشية . فكرت فى ليلة أن أعطاه لها كوين .

كان قد قال : « عندما تنظرين إلى الحجر الكريم ، فكرى فىّ .. فكرى فى كيف سيكون بيننا »

مدت يدها بسرعة وأخذت الخاتم من يد صاحب المحل ، وقالت : « الخاتم ليس للبيع . »

ارتفع حاجباه أعلى من ذى قبل ، وقال : « ولكنك قلت ... »

قالت بيج بصوت متزن : « أنا أريد أن أبيع السلسلة .. إنها من نوعية راقية . كما يمكنك أن ترى . » أخرجت الخاتم ومدت له يدها بالسلسلة ، وقالت : « هيا ، الق نظرة »

« من أين حصلت على هذا يا سيدتى ؟ »

« من محلات هارودز . ولكننى متأكدة أنهم لن يأخذونها مرة أخرى . ليس لدى إيصال الشراء ، أو الصندوق الذى

جاءت به ، و .. »

قال فى تبرم ، « ليست السلسلة ... الخاتم .. من أين حصلت عليه ؟ »

ابتلعت ريقها ، وقالت : « كان .. كان هدية ... إنظر ، إن لم تكن مهتماً بشراء السلسلة .. »

« دعينى أرى الخاتم الياقوتى . »

وفى إمتعاض ، فتحت يدها وناولته الخاتم . أمسك به وعرضه للضوء . ثم أخرج عدسة مكبرة من جيبه ووضعها على عينه . وأخيراً ، مط شفتيه والتقت نظرته بنظرتها .

وهمهم قائلاً : « هدية ؟ »

أومأت بيج قائلة : « نعم » .

« ولا تريدى أن تبيعيه »

هزت رأسها ، وقالت : « لا . السلسلة فقط . أنا .. »

قال : « حسناً » وعرض مبلغاً يصل بالكاد لنصف ما دفعته .

قالت بسرعة : « هذا غير ملائم » . والتقطت السلسلة من يده قائلة : « أنا أطلب أكثر من ذلك بكثير . أنا .. »

ثبتت عينا الرجل العجوز عليها ، وقال : « نعم ، أنا متأكد من ذلك » وأحست بالخجل عندما وجدته يتفحصها ببطء .

أصرت على رأيها قائلة : « هذا صحيح » وكانت تدرك تماماً ما يبدو عليه مظهرها . وأضافت : « ولذلك ، إذا كان هذا هو أفضل ثمن تعرضه .. »

« خمسة آلاف »

حدقت فيه فى إنشداه ذاهل : « ماذا ؟ »

« سأعطيك خمسة آلاف جنيهاً ثمناً للخاتم . »

«قلت لك أنه ليس للبيع. أنا ...»

هز كتفيه قائلاً: «عشرة»

«عشرة آلاف جنيه ..» وطرفت عيناها: «هل تمزح؟»

ابتسم الرجل العجوز، وقال: «حسناً. عشرون.»

قبضت بيج على حافة (فاترينة) العرض، وهمست: «أنت مجنون»

«خمسة وعشرون إذن. فقط يجب عليك الانتظار حتى أجرى مكالمة تليفونية سريعة.»

«أنت مجنون»

«يجب أن أتصل بالبنك. أنا لا أحتفظ بمثل هذا المبلغ تحت يدى.» وسدد بصره إليها ثم تنهد قائلاً: «ثلاثون ألفاً، وهذا بلا ريب سعرى النهائى.»

صرفت عينيها عن عينيه وحدقت فى الخاتم الياقوتى الذى يرقد كقطعة فحم ملتهبة فى يدها.

ثلاثون ألف جنيه. إنه شىء لا يصدق. لم يسبق أن رأت مثل هذا المبلغ جملة واحدة فى حياتها. إذا جمعت كل ما كسبته خلال سنين عملها، فلن يصل لهذا الرقم.

وبرقت برأسها التحويلات من الجنيه الإسترلينى إلى الدولار والعكس. إلهى العزيز، إلى أى مدى يمكن أن يكفى مثل هذا المبلغ! يمكنها أن تستريح، وتأكل كما ينبغى، وتلد طفلها، وتأخذ وقتها فى البحث عن الوظيفة الملائمة بعد أن يكبر الطفل لدرجة تمكنها من تركه مع مربية ...

«لا.» إنفجرت الكلمة من داخلها، وأطبقت يدها على الحجر الكريم.

رفع الرجل العجوز حاجبيه متسائلاً: «لا؟»

هزت بيج رأسها، وهمست: «لا .. أنا لا أستطيع مطلقاً أن أبيع الخاتم. إنه ... إنه ..»

«أنظرى، أنت تحتاجين النقود. دعينى أجرى مكالمة، ثم ..»

«أنت لا تفهم» وارتفع صوتها: «هذا الخاتم .. هذا الخاتم يعنى لى أكثر من كل أموال العالم. أنا ... أنا سأفكر فى حل. سوف .. سوف ..»

دار المحل بها. رأت نظرة الرجل العجوز المندهشة، وسمعت نفسها تصدر صوتاً كأنه أنين، أو صراخ، ثم سقطت، وسقطت، تغوص فى دائرة من الضوء الباهر متجهة إلى قاع سحيق لمخروط. مظلم ضيق، وعندما سقطت داخله، سمعت صوت الرجل العجوز يخبرها أنها سيكون بخير، ستكون على ما يرام، ستكون ..

ابتلعها الظلام.

صور. أحلام. وجوه، تروح وتجىء. رجال فى سترات بيضاء. صفارة إنذار، ثم رحلة متأرجحة خلال شوارع مظلمة. أصوات ومزيد من الأوجه، كلها متوترة بادية الاهتمام. ضوء باهر، وخزه إبرة محقن، نعومة ملاءات وبطاطين، ثم صوت، صوت مثابر، يرجوها، ويحثها، ويحاول إخراجها من الظلام الذى لا يزال يحيط بها. إنه صوت تعرفه.

«بيج»

حاولت أن ترد. ولكنها كانت متعبة جداً. متعبة لدرجة ..

«بيج، حبى ..»

تقلبت فى تململ.

«بيج .. إفتحى عينيك. أنظرى لى يا بيج. انظرى لى.»

أرادت ذلك. أرادت أن ترفع جفونها وترى من يتحدث لها بهذا الهمس القوى، الأجش، ترى من يمسك بيدها، ولكن كانت هناك راحة فى الظلام. كان من الأسهل أن تبقى فى أحضانه...

احتكت شفتان برقة بشفتيها.. «أرجوك، يا محبوبتى. انظرى لى»

محبوبتى.. هذا ما كان كوين يناديها به، ولكنه لم يقصده مطلقاً. إنه لم يقلها بهذا الأسلوب إطلاقاً.

«بيج. جميلتى جولييت. حبى.»

طفر قلبها. لقد عرفت الصوت، اللمسة، ملمس الشفتين على شفتيها.

«كوين؟» كانت همستها مترددة، ذاهبة الأنفاس. إستجمعت كل ما لديها من قوة لتقول إسمه.

أمسك بيديها، وأحست بدفء أنفاسه إزاء وجهها.

«بيج الحمد لله»

«كوين» تنهدت، وببطء إرتفعت أهدابها عن وجنتيها. إمتلأ قلبها بالسعادة. إنه كوين. كان رأسه منحنياً إليها، ووجه يبعد عنها ببوصات قليلة، وعندما نظرت إلى عينيه أدركت أنها يمكن أن تعيش لما بقى من حياتها على ما رأته فيهما.

أحاط وجهها بيديه ومس شفتيها بشفتيه. إذا كان هذا حلماً، فهى تتمنى ألا تستيقظ أبدا. همست باسمه مرة أخرى، واستمتعت بمذاقه على لسانها.

قال بقوة: «لا تتحدثى.. حتى أتاكد أنك على ما يرام»

نظرت وراءه، ورأت لأول مرة الجدران البيضاء، والأضواء

المميزة لسقوف المبانى العامة، والأثاث العملى بحجرة المستشفى.

«ماذا حدث لى؟ أين...؟» حاولت النهوض فى جهد عندما تركها وتراجع بضع خطوات عن الفراش، وقالت: «لا تتركنى.. كوين..» كان صوتها مثقلاً بالألم.

«نحن فقط نريد أن نلقى نظرة عليك يا سيدة فولر.» كان الصوت ناعماً، ومليئاً بنبرات الثقة المهينة. كان صوت إمرأة.. ممرضة، إبتسمت وهى تجذب الستائر حول الفراش، وأضافت: «سيستغرق ذلك دقيقة واحدة. وسينتظر زوجك بالخارج.»

زوجك. كانت الجملة مثل حبل الإنقاذ. تعلقت بيج لفترة بينما إنثنى على فراشها طبيب ذو معطف أبيض.

همست: «طفلى» وترنح قلبها خوفاً.

وأخيراً قال: «طفلك بخير» سمعت الباب يُفتح، ثم إزيحت الستائر. وأضاف الطبيب: «أنت شابة محظوظة جداً.»

«وحمقاء جداً» كان صوت كوين، صارماً وبارداً. وقال: «شكراً يا دكتور» ثم أصبحا بمفردهما.

راقبته بيج وهو يتقدم بإتجاهها. كانت عيناه غامضتين وقد زم شفتيه. وارتسمت على وجهه أمارات الغضب. بدأت نبضاتها تتسارع. يا لها من حمقاء! بالطبع لقد كانت تحلم. كوين هنا.. وهذا واقع ملموس. ولكنها أدركت من نظرة واحدة إليه أنه لم يهمس لها بكلمات حب رقيقة منذ لحظات ولم يقبلها على أنها أثيرة لديه.

عرفت ما حدث. لقد أصابها الإغماء، واستدعى صاحب المحل الاسعاف. وبحثت سلطات المستشفى فى حقيبة يدها، فوجدوا إسم كوين على دفتر الشيكات الذى لم تعد تستخدمه،

واتصلوا به. وما بعد ذلك فلم يحدث منه شيء. قبلاته، كلماته الرقيقة، كانت أشياء ود قلبها إلى أبعد الحدود أن تتخيلها إن ذلك يشبه يوم أن أجرت جراحة الزائدة الدودية وهى فتاة صغيرة. يومها أفاقت من المخدر ببطء، متأكدة أن أمها فى العماد تحادثها من عالم الجن. ولكنها كانت أمها تحثها كى تفتح عينيها.

أشاحت بيج بوجهها. إنها لا تريد أن ترى العبوس فى عينى كوين. من الأفضل أن تتذكر أحلامها الخاصة وهى تستعيد الوعى.

توقف بجوار الفراش وحدق فيها، وقال بلهجة آمره: «أنظرى لى»

إستدارت له ببطء، وقالت: «أنا.. أنا آسفة لأنهم أزعجوك.. أظن أننى كان يجب أن أتخلص من كل شيء يحمل إسمك، ولكن..»

وضع يديه حول خصره، وقال: «هل كنت فى لندن كل هذه الأسابيع»

أومأت بيج: «نعم»

قال: «هنا.. فى نفس المدينة اللعينة مثلى»

أومأت مرة أخرى، وقالت: «أنا لم أطلب منهم أن يتصلوا بك.»

«أى جحيم منعك من العودة إلى أمريكا؟»

ابتلعت ريقها؟ وقال: «أنا.. أنا.. مجرد أننى لم أفعل.»

رفع أحد حاجبيه عابساً، وقال: «لقد سألتك سؤالاً.»

هل تقول لأننى لم استطع أن أتركك؟ ولكنها همست: «لا أعرف»

قال بصوت رصين: «أنت لا تعرفين»

اغلقت بيج عينيها، وقالت: «هل لذلك أهمية فعلاً؟ أنا.. أنا قررت العودة الآن. أنا...»

سمعت فحيح أنفاسه، وقال: «لقد أصبت عين الصواب.. ستعودين. الآن. بمجرد أن ترتدى ثيابك.»

كان غاضباً جداً! إنزلقت دمعة من تحت أهدابها ومسحت عينيها بيدها.

«أنا.. أنا لا أملك ثمن تذكرة الطائرة يا كوين. أنا لا أستطيع التكفل بها..»

«هيا.» فتحت عينيها عندما أحست بذراعيه ينزلقان حول كتفيها.

سألت: «ماذا تفعل؟» رغم أن.. الإجابة كانت واضحة. كان يجلسها فى فراشها، ويزيح الأغطية، وأخذت يده تتحسس حزام ثوب المستشفى الفضفاض ويفكه عنها. وهمست: «كوين..»

ووضعت يديها على صدر الثوب، ولكن جذبهما بعيداً وتابع محاولة نزع الثوب قائلاً: «أين أوله من آخره.. هيا... سأساعدك فى إرتداء ملابسك.»

وبينما يزيح الثوب عن كتفيها همست: «لا.. كوين، لا تفعل. أنا لا أحتاج أى مساعدة.. أنا..»

سقط الثوب حتى خصرها، وزمجر: «نعم، أنت لا تحتاجى أيتها الصغيرة. والآن، توقفى عن الجدل..»

رفعت بصرها عندما خفضت كلماته وصمتت. طافت بها عيناه، بحلقها، بنهديها، ثم عادت نظرته إلى وجهها.

مد يده إليها هامساً: «بيج»

قالت بحدة: «لا تفعل»

كرر: «بيج... انصتى لى»

هزت رأسها ودفعت يده عنها قائلة: «لا» ماذا يحاول أن يفعل؟ هل يحاول أن يثبت سيطرته على جسدها؟ ولكن كلاهما يعرف ذلك. إن ما سار بهما أساساً فى هذا الطريق المظلم. قالت: «يمكن للمرضة أن تساعدنى. وليس أنت.»

إنعقدت الدماء فى وجهه، وزمجر: «أنا لازلت زوجك. والآن ارفعى ذراعيك»

«كوين، أرجوك..»

التهبت عيناه وهما ينظران فى عينيها، وقال: «إفعلى كما أقول يا بيج»

أغلقت عينيها عندما أرخى شيئاً حريرياً على رأسها. جذبه على جسدها واحتكت يداه ببشرتها.

«كوين، أتوسل إليك..»

احتبست الكلمات فى حلقها. أخر مرة قالت ذلك له، عاد التماسها إليها ليلازمها بألم لن تستطيع أن تمحوه البتة. لن تتوسل له من أجل أى شىء مرة أخرى، هكذا قالت لنفسها وهى تجلس بينما جردها من الثوب والبسها ملابسها، ليست تلك الملابس الرخيصة التى كانت ترتديها، وإنما ملابس من الحرير الرقيق والكشمير التى إشتراها لها بعد زواجهما بيوم. إرتجفت يداه عند مستاها. وارتجفت هى أيضاً. كان من المستحيل أن تشعر بحرارة أصابعه على جسدها. التقت عيناه بعينيها وتوردت وجنتيها وأشاحت بوجهها بعيداً.

«هل يؤذيك إلى هذا الحد أن تشعرى بيداى عليك يا جولييت؟»

حدقت فيه قائلة: «هل.. هل يؤذيك؟»

قبض كوين على كتفيها، وقال: «نعم عندما المسك.. هل تكرهيننى إلى هذا الحد؟»

ارتفع تنهدها إلى حلقها. وقالت: «أكرهك؟» وعضت على شفتها السفلى، وأضافت: «أكرهك؟ أو، كوين..»

وحادثت نفسها.. لا لا مزيد. لا تقولى أى شىء، لا تقولى لى أى شىء، لا تزيدى من الألم والحزن اللذين ستضطرين للحياة معهما لما بقى من حياتك..

ضغطت يداه يديها، وتمتم: «محبوبتى، محبوبتى جولييت.. جولييت...»

«لا تفعل» كانت صرخة من أعماق قلبها تحمل كل آلام الشهور الماضية. وكررت: «لا تفعل» وتعلقت الهمسة بينهما، وأضافت: «أرجوك يا كوين، إذا.. إذا كنت تذكر لى أى شىء طيب، إذا كانت قد مرت بيننا لحظة تهمك، أتركنى»

«بيج..»

هزت رأسها بقوة، وقالت: «مجرد.. مجرد أن أخرج من هنا وأتركنى بمفردى. ليتهم لم يتصلوا بك. أنا..»

«لقد إتصل بى ماكس»

رفعت إليه عينيها الممتلئتين بالدموع، وتساءلت «ماكس؟»

أومأ كوين، وقال: «تاجر المجوهرات» ارتسمت على فمه ابتسامة سريعة. وأزاح شعرها عن جانبى وجهها قائلاً: «جميلتى جولييت.. من بين كل تجار المجوهرات فى لندن، ذهبت إلى الرجل الذى كان من المؤكد أن يعرف الخاتم.»

هزت بيج رأسها، وقالت: «أنا لا أفهم»

ضحك بتؤده لدى النظرة المندهشة التى برقت على وجهها، وقال: «ماكس هو الرجل الذى باعه لى. لقد إشتريته منه فى إحدى النزوات منذ عامين. كنت أمر بمتجره ورأيته معروضاً فى الواجهة الزجاجية. كان شيئاً من أغرب ما يمكن. فأنا لا أحب ارتداء الحلى، لكننى أحسست أننى لابد أن اشترى هذا الخاتم. لقد جذبنى شىء ما فى قلب حجر الياقوت، اللهب الذى يتقد بحرارة لم أحسها من قبل مطلقاً.. حتى قابلتك».

أحاط وجهها بيديه وسدد نظراته إلى عينيها. كان صوته بالغ الرقة، كأنه عناق. ماذا يحاول أن يفعل؟ إن بيج تعرف رأيه فيها. لقد كرره عليها بما فيه الكفاية.

قالت: «كفى.. لا حق لك..»

«قال ماكس أنك رفضت أن تبيعى له الخاتم، لماذا؟»

«كوين أرجوك.. لماذا تفعل ذلك؟ لماذا...»

مس وجنتها بشفتيه، وقال: «لماذا لم تبيعيه له يا بيج؟»

أظلمت عيناها بالكبرياء، وقالت: «لم يقدم ثمناً كافياً.. كنت أعرف أن الخاتم يستحق أكثر من ذلك.»

ثبتت عيناه على عينيها، وقال: «قال ماكس أنك أخبرته بأن الخاتم يعنى لك ما هو أكثر من كل أموال العالم.»

ارتجفت الدموع على أهدابها، وهمست: «كفى أرجوك.. أرجوك..»

وقع فمه على فمها وقبلها مرة أخرى، وقال: «أخبرينى بالحقيقة يا بيج. لماذا لم تبيعيه؟»

«لأنه كان كل ما تبقى لى منك.» إنتظرت أن تسمع ضحكته، وعندما لم يحدث، إلتقطت نفساً طويلاً مرتجفاً، وقالت: «حسناً، لقد حققت استهزاءك بى. والآن، اتركنى»

وضع يده على بطنها، وقال بتؤده: «لم يكن هو كل ما لديك.. لديك طفلنا ينمو تحت قلبك.»

تسارعت نبضاتها. لقد عرف. لقد عرف. إنتظرت أن يقول شيئاً آخر، أن يغلف كلماته بالقسوة، لكنه كان صامتاً. وأخيراً، أومأت.

وهمست: «نعم»

عبس وجه كوين، وقال: «ولكنك كنت لن تخبرينى به.»

رفعت ذقنها، وقالت: «لا»

زم حاجبيه، وقال: «أنا أقدر ذلك. لقد كنت ستذهبين لتعيشى حيث لا يعلم إلا الله...»

«لدى حجرة رائعة تماماً خلف قصر إيرل.»

قال: «نعم. أنا أتخيل ذلك. ربما تتفق مع مظهرك.»

أظلمت عينا بيج، وقالت: «لا يوجد خطأ فى مظهرى.»

«بل يوجد بحق الجحيم! أنت شاحبة جداً نحيفة جداً..» احكم ذراعيه حولها، وتابع: «جميلة جداً.» وثنى رأسه وقبلها.

حاولت أن تنأى بنفسها عنه، ولكن كان ذراعاه قويين حولها. كان فمه صلباً وملحاً وآمراً. ثم أصبحت قبلته ناعمة، ممتلئة بالرقة، حتى أصبح يقبلها أخيراً مثلما قبلها ليلة لقائهما، وفى تلك الليلة التى قضياها معاً. بدت هذه القبلة كأنما تضم كل ما كانت تصلى كى يقوله لها. وخرجت أناتها ناعمة يشدد أحضانه حولها.. فقط لو كان يحبها.. فقط لو كان يرغب فى حبها.

ولكنه لم يفعل. لقد كرهها. لقد ظن أنها أوقعت بأخيه فى

مصيدة الزواج من أجل أموال آل فولر ولكى تحمى أباها. إنه يراها لصة وماكرة وعاهرة..»

استجمعت كل قوتها حتى تخلصت منه، وهمست: «اللعنة عليك.. اللعنة عليك حتى الجحيم يا كوين فولر.»

«هذا ما كنت فيه منذ أن تركتنى.»

أشاحت بوجهها كى لا يرى الألم فى عينيها، وقالت: «هل تكرهنى إلى هذا الحد؟ لقد أحللت بى من الحزى ما يكفي. أنت..»

«أنا أحبك.» إنتفض قلبها تحت أضلاعها عندما همس بالكلمة البسيطة التى إنتظرت كل هذا الوقت كى تسمعها. وكرر. «أنا أحبك.. هل تسمعينى يا بيج؟» قبضت يداه على كتفيها وسدد نظراته إلى عينيها، وقال: «كنت أحبك دائماً، حتى عندما حاولت إنكار ذلك أمام نفسى.»

لمعت الدموع على أهدابها. وهمست: «لا تلعب بى يا كوين. أنا.. أنا لا أستطيع تحمل ذلك. أنا.. أنا أحبك جداً.»

«أوه، جولييت» أحاطها بذراعيه وضغطها إلى قلبه. وقال: «لقد وقعت فى حبك من أول لحظة رأيتك فيه، فى قاعة رقص مليئة بالعفاريت. لم يهمنى أننى لم أعرف إسمك أو أى شيء عنك. لقد قال قلبى لى كل ما يلزمنى أن أعرفه.» إلتقط أنفاسه وخفف أحضانه عنها ببطء. أضاف. «ثم عرفت من تكونين»

قالت فى كآبة: «أننى كنت خطيبة آلان. كوين، لقد حاولت أن أفسر ما حدث. عرف آلان أننى لم أحبه. لقد تركته يقنعنى بخطبتنا. لقد قال.. لقد قال أننا سنكون

سعداء، وقد أردت أن أصدقه. ولم أعرف شيئاً مطلقاً عن والدى والنقود.. إنه مريض» قالتها فى إندفاع، ثم أضافت: «تسيطر عليه فكرة ربح..»

ضغط شفتيه على جبهتها، وقال: «صه يا محبوبتى، أنا أعرف كل شيء. لقد تحدثت مع آلان. ومع والدك.» وشدد ذراعيه حولها. وأضاف: «لقد إعترف بكل شيء إلى والدتك يا بيج. ولقد أقنعته بالانضمام لجمعية للعلاج النفسى. بالتأكيد يمكنهم مساعدته.»

هزت بيج رأسها، وقالت: «أنا لا افهم. متى تحدثت معهم؟»

تنهد قائلاً: «فى اليوم التالى لرحيلك عنى. لقد ذهبت إلى أمريكا بحثاً عنك».

«أو فعلت هذا؟»

أومأ كوين قائلاً: «بلى يا حبيبتى. لقد اكتشفت أننى قد ارتكبت خطأ رهيباً فيوم أن ذهبت إلى أدنبره، اتصلت بالمنزل كى أتحدث معك. ردت على نورا. وأخبرتنى..»

«أخبرتك بأن والدى قد جاء ليرانى.»

هز كوين رأسه، وقال: «لقد قالت أنها وجدتك بين ذراعى رجل طويل أشقر الشعر. أنا.. أنه ظننت أن جاك ويرد.»

بدا كل شيء يتضح فقالت: «تقصد أنك ظننت أن هذا الرجل البغيض وأنا..؟ أوه، يا الهى!»

كانت ضحكته مريرة، وقال: «بالضبط. لقد استنتجت مما حدث نتيجة خاطئة. أظن أن ضميرى كان ممتناً لهذه الفرصة.»

تراجعت بيج مستندة على ذراعية المحيطة بها وسددت نظراتها إلى عينيه، وقالت بتؤده: «أنا لا أفهم»

لاحت مسحة من الألم فى ابتسامة كوين، وقال: «لقد ملأنى الإحساس بالذنب لقد كنتَ على حق عندما قلتَ أننى أريدك لنفسى. كان أخذك من أخى لكى أحمية شيئاً، ولكن كان إعترافى لنفسى بأننى وقعت فى حبك شيئاً آخر. لم أستطع أن أوجه الحقيقة يا بيج» قبل طرف أنفها، وتابع: «هذا ما كان سبب لعدم رغبتى فى الحديث بشأن أسلوبى فى إجبارك على الزواج منى.»

«أوه، كوين، كان يجب أن نثق فى أحاسيسنا. أنا.. أنا لم تدب فىَّ الحياة حتى قابلتك..»

إشتد ذراعاه حولها، وهمس: «لم أعرف ليلة مثل تلك التى تقاسمناها يا جولييت. عندما استيقظت وأنت بين ذراعى، عرفت أننى يجب أن أذهب بعيداً وأحاول فهم حقيقة مشاعرى. لم أعرف ما الذى أصدقه. انك المرأة التى اكتشفت حبى لها، أم أنك المرأة التى إتهمتها فى صميم كيانها؟ هل يمكننى أن أحيا فى ظل معرفتى بأننى قد أخذتك من أخى، مهما كانت الظروف؟» وضحك بتؤده، وأضاف: «لم ينتصف اليوم، وأدركت أنه لا أهمية لأى من هذه الأسئلة. أنا أحبك الآن بصرف النظر عما حدث فى الماضى. المهم هو مستقبلنا. واتصلت بالمنزل لأقول لك ذلك.»

أغلقت بيج عينيها، وقالت: «وأخبرتك نورا أننى كنت مع رجل. ولكن.. كيف عرفت الحقيقة؟»

هز كتفيه، وقال: «ذهبت أبحث عن ويرد. كنت أريد أن أقتله.. ولكن إتضح أنهما ــ هو وزوجته ــ قد تركا المدينة

فى الصباح الباكر. أدركت أنه لا يمكن أن يكون ذاك الرجل الذى جاء إلى المنزل.» وتنهد ثم تابع: «بدأت أبحث عنك، وذهبت فى أثرك إلى كلاريرجز ثم إلى المطار.. حيث إنقطعت آثارك. ولكنى ظننت أنك بالتأكيد قد عدت إلى أمريكا.. ففعلت ذلك بدورى.»

قالت بتؤده. «بحثاً عنى»

«نعم. وعندها أخبرنى والدك بكل شىء، وعندئذ عاد آلان للوطن لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.»

وضحك متابعاً: «هل تصدقين أنه منهمك فى التودد إلى سنيوريتا (آنسة أسبانية) سوداء العينين؟»

ابتسمت بيج قائلة: «أنا سعيدة لأجله»

أومأ كوين قائلاً: «نعم، ولكن كنت أنت كل ما افكر فيه» وطبع قبلة على حلقها، وتابع: «كنت أوغل فى الجنون يا محبوبتى، أحبك، وأريدك، وأقلق عما قد يكون حدث لك.»

وضعت بيج ذراعيها حول عنقه، وقالت: «لم أغادر لندن البتة.. لقد أحببتك بدرجة تمنعنى أن أجعل المحيط بيننا»

تمتم: «جولييت. حلوتى، جميلتى جولييت.» رفعت إليه وجهها. وذهبت قبلة كوين بأنفاسها، ثم ابتعد عنها برقة قائلاً: «هل أنت متأكدة أن هذا طيب بالنسبة للطفل؟»

ابتسمت بيج، وقالت: «لا أظن مطلقاً أن الحب يمكن أن يؤذى طفلاً.»

سمعا طرقه متحفظة قبل أن يُفتح الباب. وقالت الممرضة فى سعادة: «يقول الطبيب أن السيدة فولر يمكن أن تخرج فى وقت الآن. إنه يسأل إن كنت تحتاجين أى شىء..»

ابتسم كوين لبيج وهو يحيطها بذراعيه ويوقفها على قدميها،

وسألها: «هل نحن بحاجة لأى شىء يا حبى؟»

طبعت قبلة على حلقه، وهمست: «نحتاج أن نعود للبيت.»

شدد أحضانه حولها، وقال: «أنت فى البيت» وكانت تعرف أنه على حق.

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة